حسين خلف الشيخ خزعل

تاريخ الجزيرة العربية

في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دار ومكتبة الهلال

حياة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف

حسين خلف الشيخ خزعل

مطابع دار الكتب
بيروت — لبنان

المقــدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَـا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

صدق الله العظيم

سورة آل عمران آية ٨ .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين .

أما بعد :

لقد خلق الله الانسان وجعل له ذاتيتين ، احداهما مادية ، مرتبطة ومقيدة بجميع مزايا الصور والحقائق الخاضعة لنواميس المادة ، التي من شأنها دائماً محاولة جلب الانسان الى تأثيراتها ، لتترك فيه عواملها التي تهبط به الى مستوى المادة الجامدة الصماء .

ويمكن التوصل الى ادراك هذه الذاتية المادية والوقوف على وصفها بالطرق التي يسلكها بعض المؤرخين ، الذين يحصرون جهودهم بالأرقام والأعداد لتدوين سيرة الشخص ، بتناول حياته المادية التي اجتازها منذ مولده وما مرت به من موجات الى حين وفاته . غير ان تدوين هذه المرحلة لا يُعْطي الصورة الكاملة التامة لذاتية ذلك الشخص من جميع نواحيها فان دلّ ذلك التدوين على شيء فانما يدل على جزء يسير من حياة الشخص المادية ونموه الجسدي دون سواهما .

وثانيهما ذاتية معنوية روحية ، وهي التي تمتاز بالميزات العقلية المحضة وتجتاز الحدود والقيود والسدود المادية ، وتحاول دائماً وابداً الانطلاق في الآفاق الواسعة الشاسعة البعيدة المدى ، وتغور في ابعد اعماق المعرفة ، وترتفع الى اعلى آفاق الوجود المعنوي والروحي .

واولى الناس بالاهتمام بتقصّي هذه القوة المعنوية واجدرهم بدراسة وبحث هذه الحقيقة الرفيعة ، والامتثال لواجباتها ولوازمها ، العلماء الروحانيون الأحرار ذوو الايمان الصادق ، الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ويحسون بأدق جوانب الحقائق ، ويدركون اغلب المعاني والغايات والأغراض المتجاوبة في قلب الوجود ، ويصغون لأرق احاسيس الضمير ، ولا يتأثرون بالعوامل والمنافع المادية ، ولا يصغرون ولا يهبطون امام ايّة قوة تريد ارغامهم والسيطرة على علمهم وعملهم ، ولا ينهارون في سبيل التصلب العنصري او ما تتطلبه جوانب المجاملة ، وما تحتمه النواحي العاطفية التي من شأنها التغاضي عن العيوب وطي الكشح عن السيئات واسدال الستائر على الاخطاء . وهم ايضاً اولئك الذين يقفون علمهم وعملهم لاصلاح ما اعوج من مفاهيم بعض الناس ، الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً سالكين من خلال ما يخالون في فجواته لتحقيق غاياتهم المادية طرق التلون والتغلب وعدم الاستقرار على مبدأ معين من المبادىء ، مرائين مذبذبين متملقين متصاغرين متضائلين ، وفوق كل ذلك عارضين شخصياتهم في معرض الأتقياء الورعــين ، ومتظاهرين بمظهر علماء الذين

الصادقين العاملين .

ومما لا ريب فيه ان كل ذاتية معنوية روحية لا بد لها ان تخلو بنفسها وتناجيها في خلوتها ، فمنها من تصدق مع ذاتها في هذه الخلوة والمناجاة . ومنها من تخدعها وتكذب عليها .

ولا يخرج علماء الدين عن هذا النطاق ، فان كان العالم الديني متهاوناً في واجباته غير ناظر الى الحياة الا بمنظار المنفعة الشخصية والمصلحة الفردية سالكاً شتى الطرق لمرضاة أولي السلطان والمال والشأن ، مضغياً في سمعه ، شاخصاً ببصره ، لاستماع اخفت الأصوات ورؤية ادق الاشارات التي تنطق او تشير بها تلك الفئة من الناس ليسخر لسانه وقلمه في مصلحتهم ، معتقداً ان الدين لم يخلق الا وسيلةً لطمع الطامعين وغايةً مرنةً لمقاصد القاصدين ، وليكون رجاله وعاظاً لمصالح وغايات السلاطين ، فقد كذب على نفسه وعلى ربه وعلى الناس جميعاً .

وهذا ما يفسد الحياة ويحط من القيم وينقص المعايير والموازين ويخلّ بالمقاييس ، فتصبح اذواق العوام هي المثل المتبعة وما تراه هو الحكم الفصل .

اما اذا كان العالم الديني بالغاً في الصدق المرتبة العليا من المراتب ، متجهاً الى عقيدته وحدها ، معتبراً الدين بين الناس كالقلب في الجسد – ان صلح صلح كل شيء وان فسد فسد كل شيء – استطاع ان يكون داعيةً اميناً صادقاً بين نفسه وبين ربه وبين الناس ، ونبراس الانسانية المرموق المخلد على مدى الزمان .

وفي فترة من أشد الفترات صعوبة ، فترة من تاريخنا الاسلامي الحديث كانت فيها جميع المظاهر تدل على الانحلال الخلقي والروحي ، وتبعث على التطير والتشاؤم ، فترة تلوّى بها الصدق ، وأُهملت تعاليم الدين الصحيح ، وتنوسيت طقوسه ، وعادت الى الناس جاهليتهم او كادت ، فالوازع الديني

معدوم او ضعيف ، والبدع السيئة متفشية ، والجهالة عامة ، فلا داع لمعروف ولا ناه عن منكر — الا من عصم الله — قيض الله للجزيرة العربية بل للاسلام اجمع رجلاً من هذا الطراز ، ثابت المبدأ والارادة ، قوي العزيمة ، مسلماً صادق الايمان لا يلين ولا يتضعضع ، عالماً فذاً دمث الأخلاق ، هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الرجل العربي الذي كانت حياته صفحة من انصع صفحات التاريخ العربي الطويل ، والمسلم الأمين الذي تجمعت في قلبه جذور الايمان الصحيح .

تأمّل هذا الرجل وأطال التأمّل في حالة المجتمع الاسلامي ، ودرس اوضاعه من جميع زواياه ونواحيه ، فتحركت في نفسه ، وهو المصلح الكبير ، صرخة العدل . فعقد العزم على انقاذ امته وابناء دينه من الظلام الذي غشيهم وصدهم عن الصواب ، فهام على وجهه ، وجاب الآفاق الاسلامية ، متنقلاً بلا راحة ولا هدوء بال ، مفتشاً عن الدواء الذي يشفي النفوس التي زاغت عن درب الصواب ، وينقذها من تلك الهوة السحيقة . فلم يجد سبيلاً للاصلاح والنهوض من الكبوة غير الرجوع الى الاسلام بعد ان يُجرَّد من البدع والتأويلات ويُصقل من الصدأ والترسبات ، التي خلفتها الأجيال ، والعودة به الى ما كان عليه في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين . فرفع صوته عالياً باعلان الثورة على كل ما احاط بالكتاب والسنة من البدع والزيادات مستهيناً في سبيل دعوته الاصلاحية بجميع المصاعب والمحن والمشاق لم ينكمش ولم ينكسف ولم تهن عزيمته امام اقوى الخصوم الذين تصاغر لهم الكثيرون من مدعي العلم وطأطأوا الرؤوس واطالوا الانحناء والركوع والسجود امامهم .

فلا غرو اذا ما قلنا ان جهاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سبيل عقيدته كان عملاً من اروع ما عرفه التاريخ الاسلامي . فما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب طالب مال ولا جاه ولا حكم ولا سلطان ولا مقام ولكنّه كان طالب حق وصدق وايمان ، مضحياً اكبر التضحية في سبيل هذه الغاية المعنوية

الروحية .

اذاً لا بد لمن يريد التعرض لتدوين حياة اي شخص من الأشخاص ان يتطرق لكلتا ذاتيتيه المادية والمعنوية الروحية معاً . وجلاؤهما على حقيقتهما واضحتين كاملتين شاملتين مستوفيتي الجوانب تامتي النواحي .

وقد سلكت بكتابي هذا على هذا الغرار ، ونحوت هذا النحو ، اذ قسمته الى جزئين ، افردت الجزء الأول منهما لسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المادية التي ابتدأت في عام ولادته سنة ١١١٥ ﻫ ١٧٠٣ م وانتهت بعام وفاته سنة ١٢٠٦ ﻫ ١٧٩٢ م . وأطلقت على هذا الجزء عنوان « حياة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب » .

واما الجزء الثاني فقد تناولت فيه حياته المعنوية الروحية ، والأمثلة الرائعة الرفيعة التي قدمها خدمة للدين الاسلامي وما حمل من المعاني السامية في سبيل دعوته الى الجهاد الروحي والديني ، كما ضمنته بعض المؤلفات والفتاوى التي أصدرها ودعوته « حقيقة الدعوة الوهابية » لكي اعطي الذين يقرأون ويدركون ما يقرأون فرصة للتأمل في الصورة الواضحة التي ترتسم فيها تلك الدعوة ، وليفكروا ويدركوا قوة تلك الشخصية العظيمة .

ومهما يكن من الامر فاني لا ادعي الكمال في عملي هذا ، ولا استبعد وجود بعض النقص فيه ، لأنه مهما كان فهو مجهود فردي ، وآمل ان يأتي من بعدي من يتمه على الوجه الأكمل ، وما الكمال الا لله تعالى وحده مالك الملك مجيب الدعوات .

كتب في بيروت يوم الاثنين في ١٤ ربيع الأول ١٣٨٨ ﻫ.
الموافق ١٠ حزيران ١٩٦٨ م.

المؤلف

نجد قُبيل قيامِ دعوة
الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب

نجـــد

نجد (معناها الأرض المرتفعة) وهو اسم يُطلق على المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة العربية وهو اكبر قسم في وسط هذه الجزيرة .

حدودها

ان حدود نجد غير معروفة تماماً لدى الجغرافيين العرب القدماء لذلك كثرت فيها الأقوال وتعددت الآراء ولكنّ حدودها التقريبية هي كالآتي :

شمالاً : جبل شمّر .

غرباً : الحجاز .

جنوباً : الربع الخالي .

شرقاً : الدهناء والاحساء .

وصف نجد

تخترق نجد من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال العارض التي تمتد بشكل قوس ينقسم الى الجنوب من سدير الى شعبتين : شرقية وغربية . وتنتشر في نجد عدد من الواحات اهمها من الشمال الى الجنوب : القصيم ، وسدير ،

والوشم ، والعارض (او وادي حنيفة) والخرج والحريق والافلاج ووادي الدواسر وغيرها .

العارض

كان العارض يعرف لدى الجغرافيين القدماء بـ جَوّ[1] و العَرُوض واليمامة .

وهو القسم الجنوبي الشرقي من نجد .

ويقع العارض اليوم بين سدير شمالاً ، والخرج والحريق جنوباً . وهو يكون القسم الاوسط من « طُوَيق » الشهير .

ولا تزيد مساحة القسم المعمور من العارض على مائة ميل مربع وقد قُدر لهذه البقعة الصغيرة وقراها ان تلعب دوراً رئيسياً لتقرير مصير نجد والقسم الأكبر من الجزيرة العربية .

بلدان العارض

وادي حنيفة[2] هو قلب العارض واشهر بلدان العارض في الشمال التي لعبت دوراً هاماً في ادوار حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي :

حريملا ، والعيينة ، والدرعيّة .

حريملا : تقع في الشمال الشرقي من سدوس وتبعد عنها نحو اثني عشر ميلاً وهي في منطقة خصبة كثيرة المياه ، بها كثير من اشجار النخيل

---

(١) جو في اللغة الوادي الواسع .

(٢) وادي حنيفة يبتدىء في غرب طويق ثم يتجه نحو الخليج العربي ولكنه لا يصل اليه حيث يفيض في الرمال وتقع عليه مدينة الرياض .

والفاكهة وآبارها عميقة .

العييّنة : كانت زاهرة في ايام النهضة الاولى للدعوة الوهابية وهي بلدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومسقط رأسه .

الدرعيّة : تقع الدرعيّة في الجهة الشمالية من وادي حنيفة غربي الرياض وتبعد عنها نحو واحد وعشرين ميلاً .

الوضع القبلي في نجد

تختلف مناقب وسجايا الناس باختلاف وضروب معاشهم واطوار طبائع اقليمهم .

فطبيعة بلاد العرب الجرداء لا تيسر الاستقرار ولا تشجع كثيراً على تعدّي البداوة فكان اغلب سكانها أهل بادية لا يألفون الحضر وسكنى المدن ولا يطيب لهم المقام والاستقرار بأرض معينة . يفضلون حياة الارتحال الدائم مع اسرهم وانعامهم في البوادي والهضاب فينصبون خيامهم واطنابهم حيث يجدون الأعشاب لرعي اغنامهم وابلهم ويقيمون فيها بعض الوقت ثم يرحلون من جديد لانتجاع مرعى آخر .

وهذه المراعي التي تنتجعها قبائل بدو شبه الجزيرة العربية كثيراً ، تنمو حول عين من عيون المياه او بئر من الآبار المنتشرة هنا وهناك في واحات تحيط بهذه العيون وتلك الآبار .

فكان طبيعياً ان تحتفظ القبائل البدوية بطابعها وبداوتها وتتجلى هذه البداوة في عاداتها واخلاقها .

ومما لا شك فيه ان للعادات احكام على النفس البشرية فالذين يتخذون البوادي مقراً لهم يضطرون بحكم طبيعة تلك البادية ان يسيروا على الطرق

الخاصة والخطوط الواضحة التي ترسمها لهم حياة البادية .

وقد أثرت البيئة التي تحيط بالقبائل البدوية تأثيراتها ففرضت عليهم تقاليد وعادات مميزة تأصلت فيهم فاتخذوا منها مناهج معينة في حياتهم لم يستطيعوا تحديها وتعديها .

ان متطلبات حياة البداوة لا تتعدى الحاجة الى ان يأكل البدوي وان تأكل ماشيته فاذا ما جاع البدوي وجاعت ماشيته اضطر الى سلوك ابسط الطرق البدائية التي عرفها الناس للحصول على رزقهم عن طريق الصيد فان لم تتحقق لهم رغبتهم في ذلك التجأوا الى الغزو اذا تمكنوا من ذلك وهم لا يجدون في الغزو غضاضة ما دام يحقق لهم ضرورة الحياة .

وهم بعد هذا وذاك مضطرون بحكم بيئتهم القاسية ان يكونوا خشنين ، قساة الطباع ، كخشونتها وقساوتها . كما انهم الى جانب ذلك بريئون كبراءة ارضهم الرملية ، صافون كصفاء صحرائهم واديمها الرائق ، لا تجد فيهم غلاً ولا حقداً ولا نفاقاً ولا رياء .

مزايا القبائل البدويّة العربية وسجاياها

وقد نجمت فيهم صفات حسنة كثيرة ، من اهمها حبهم للحرية والكرم ، والضيافة ، والشجاعة والاقدام ، وحفظ الانساب ، والأخــذ بالثأر ، والمروءة والنخوة .

حب الحريّة

الحرية : من مزايا البداوة حيث وجدت في بقاع الأرض ولا شيء احب اليهم منها . فالقبائل الدائمة التجوال والترحال تألف حياة الحرية الكاملة للفرد

وللاسرة وللقبيلة والمساواة بينهم ولا تعرف قانوناً ولا تخضع لنظام كالذي يخضع له المتحضرون من سكان المدن الذين يرضخون ويرضون النزول باسم القانون والنظام عن جانب من حريتهم للسلطات الحاكمة مقابل ما ينعمون به من طمأنينة واستقرار ورفاه ورخاء ، وجاه ومال .

البدوي يزهد في مثل هذه الحياة ولا ينخدع لشيء منها ولا يقيم عـلى ضيم ، ولا يصبر على ما دون حريته الكاملة وقد تمكنت تلك الحرية في طباع أهل البادية حتّى ظهرت في أقوالهم وافكارهم ونشأوا على الأنفة وعزة النفس الكاملة والدفاع دفاعاً مميتاً عن كرامتهم واعتزازهم ، على ان يكون دفاعهم متفقاً مع قواعد الشرف التي املتها عليهم حياة باديتهم الحرة ، وان يذودوا عن حريتهم بكل قواهم ، فان لم يستطيعوا دفاعاً عنها تخلّوا عن مواطنهم وارتحلوا عن ديارهم اذا لم يكن من هذا الارتحال بد .

ولا توجد الفة تامة بمعناها الصحيح بين البدو والحضر فأهل الحضر لا يألفون البدو كما ان اهل البادية قد يحتقرون الحضريين فاذا ما وصف البدوي حضرياً قال في الغالب (حضيري) تصغيراً لشأنه .

الكرم والضيافة

ان سعة آفاق البادية وعدم وجود اماكن متقاربة فيها من بعضها البعض وقلة موارد المياه وندرة مواد الغذاء حتمت على سكانها عندما يريدون السير ان يسيروا جماعات ويبتعدون عن مضاربهم اياماً فاذا لم يجدوا من يقريهم ويسقيهم ماتوا ، فاضطروا أن يحللوا لأنفسهم الغزو والاستيلاء على ما يُمنع عنهم باستعمال القوة والبطش .

فاذا ما امّت طائفة منهم احد احياء البادية فأول ما يحتاجون اليه هو الماء والطعام فان لم يعطوه طوعاً اضطروا إلى الاستحصال عليه باستلال الحسام .

وقد فرضت هذه العادة على العرب سكان البوادي ان يكونوا كراماً مضيافين فتأصلت في دمائهم هذه الصفات واشتهروا بها ، فالعرب ولا سيما البدو منهم قد انطووا على حب البذل والكرم والسخاء ، وهم يجدون اعتزازاً وسروراً في المنح والعطاء وكرم النفس .

لذلك صارت لهم شهرة واسعة بالضيافة واقراء الضيف برحابة صدر وفتح أبوابهم على مصراعيها لكل طارق وهم على استعداد ان يتنازلوا عن اللقمة الأخيرة التي بيدهم لمن يؤمّهم من الضيوف . الكرم من أفضل المناقب عندهم يتفاخرون بالضيافة ويتسابقون إلى المغالاة فيها حتى اوقدوا ناراً بجانب مضاربهم ليهتدي بها المارة ليلاً وسمّوها نار القرى .

المضايف او منازل الضيوف مستقلة في كل قبيلة من القبائل العربية البدوية ، بل في كل جماعة منهم سواء قلّت تلك الجماعة ام كثرت .

والمُضيف الأكبر يكون للامير منهم او الشيخ يحل فيه القاصد والشارد والوارد يقضي فيه ما شاء من الأيام .

وحيث لا يكون هناك امير او شيخ فكل بيوت الحي تكاد ان تكون مضايف . ولهم في ايواء الضيوف مصطلحات عامة ، فالضيف حيثما حل بادر أهل البيت الذي يحل به الى اكرامه واذا اتي بيتاً من بيوتهم ولم يكن صاحبه حاضراً قام مقام صاحب البيت من كان موجوداً فيه من الأهل او الاقارب وقد تقوم النساء مقام الرجل في غيابه .

ولا يسوغ لصاحب بيت آخر ان يدعو الضيف الى بيته واذا جرى ذلك عُدّ اهانة كبرى لصاحب البيت الاول .

وليس فقر الرجل او غناه سبباً يمنعه من قبول الضيف بل ان ذلك واجب مفروض ومحتم عليه اداؤه . وقد تنشب مشاجرات ومنازعات في التسابق الى ايواء الضيوف .

ولا يتأخر البدوي عن القيام بخدمة ضيفه ولا يدخر شيئاً في سبيل راحته

ولو كان عدوه اللدود كما وانه يكون متأهباً لحمايته . وافتدائه بنفسه وان لم يفعل ذلك عد لئيماً وتحدثت ببخله وخسته القبائل .

الشجاعة والاقدام

اهل البادية يعيشون غالباً بالغزو والتجوال ومتطلبات الغزو تحتّم على الذين يعيشون في البادية ان يكونوا دائماً متأهبين للقتال والحرب وهذا يتطلّب الشجاعة والاقدام . ولما كانت القبائل البدوية تعيش في تلك الصحاري الواسعة الشاسعة فهم محتاجون للدفاع عن أنفسهم وعيالهم ومواشيهم ، والدفاع عن كل ذلك بحاجة الى شجاعة واقدام فهذا ما دعا أهل البادية الى الشجاعة والاقدام . هذا بالاضافة الى ما للشجاع المقدام من المنزلة العظمى بين اقرانه ، والفخر لـه ولأبنائه واحفاده من بعده .

اما الجبان فليس له في البادية حق الحياة فان قُدّر له وعاش فيها فهو مهان محتقر دائماً وعرضة للهزء والسخرية مدى الحياة .

حفظ الانساب

ان اهل البادية مضطرون للمحافظة على انسابهم ومعرفة القبيلة التي ينتمون اليها والاسرة التي تتفرع منها وصلتها بكل فرع من الفروع وذلك للحفاظ على ارواحهم وصيانة دمائهم فعندما يتجول البدوي في اودية وشعاب البادية الواسعة الأرجاء الشاسعة القفراء فإن لم يكن له نسبٌ معروف قد لا يسلم او بالاحرى لا يسلم من الاعتداء عليه وذهاب دمه هدراً وضياعاً دون ان يطالب به او يثأر له احد .

الاخذ بالثار

من ايسر الامور بين القبائل العربية البدوية نشوب قتال اذا ما نبت

خلاف لم تتيسر تسويته خلال قواعد الكرامة والشرف . فاذا اشتعلت نـــار الحرب بينهم وقتل احد من تلك القبائل المتصادمة نشأت العداوة بين القبيلتين وأصبح من الواجب على قبيلته الأخذ بثأر قتلاها بدون صبر فتزداد نار الحرب لهيباً حتى تقتل من الاخرى من هم كفؤ لقتلاها او يتصالحون على الدية . وان اهملت احد القبائل او تقاعست عن الأخذ بثأر قتلاها او تهاونت فيه قلّت حرمتها واصبح من السهل اليسير الاعتداء على افرادها ، وعلى القبيلة نفسها دون خشية او رهبة . هذا بالاضافة الى تعرّض تلك القبيلة للطعن والذم والاحتقار من قبل اندادها من القبائل .

فعلى هذا ترى القبائل في البادية لا تتساهل عن الأخذ بالثأر حيث يتوقف على ذلك شرف القبيلة وحرمتها . وقد تستمر الحروب من اجل الأخذ بالثأر سنين طويلة اذا لم تجد تسوية للخلاف ولهم في هذه التسوية قواعد لا محـــل لذكرها هنا .

النجدة والحميّة

من نزعات العرب وسجاياهم الحميدة ، لا سيما قبائل البادية ، ان تدافع بقوة السلاح وترتكب المخاطر في سبيل من يستنجد ويلوذ بها من الناس .

وان شارك احد القبائل العربية البدوية احد في طعامه وان كان عدواً له اصبح دمه وماله محرماً عليه ووجبت عليه حمايته والذود عنه كذوده عن حرمه وذراريه .

الوفاء

ان الغدر سهل على البدوي لامكانه الفرار من القصاص والايغال في البادية حيث لا يستطيع خصمه الوصول اليه ، وليس ثمة وازع يخيفه او قوة تقبض

عليه ، ولا هناك دين يزجره فكان هذا امر يفضي الى ضياع الحقوق وفساد الأحوال فهذه الأمور جعلت العرب ترغب في الوفاء وتعظّم امرُه وتمتدح اهله فيرغب فيه الناس واصبح بتوالي الأجيال خـلـقاً لهم وصاروا يأنفون من اخلاف الوعد ويشهرون بمرتكبه ويبالغون في الثناء على اهل الوفاء .

الاريحيّة

لماكان البدو اهل خيال وذوي نفوس حساسة ، وذلك تأثراً بطبيعة بلادهم ، كان للاريحية عندهم شأن كبير فالرجل منهم تقيمه كلمة وتقعده وربما تجردوا للحرب نقمة على عبارة تطعن في كرا م فهم يتأثرون على الخصوص بأقوال النساء مدحاً او طعناً فيبذلون ما في وسعهم التماساً لثنائهن ّ وكثيراً ما يكون ذلك سبباً في ابتعادهم عن الرذائل وربما تعرض بعضهم للقتل خوفاً من ا تخفاف النساء .

طراز

الامارة والمشيخة عند البدو

للامارة وللمشيخة عند العرب مقام رفيع ولفظ الشيخ يدل عندهم على الشيخوخة والرئاسة معاً ولكل طائفة من القبائل البدوية امير او شيخ يرجعون اليه في امورهم . وكل من قدم كرماً وشجاعة وحزماً او تسلط بالقوة رضوا به رئيساً واذا تساوت المناقب في من يرشحونه للامارة فضلوا اكبر المرشحين سناً . ولا يفضل عندهم الامير على الشيخ ولا الشيخ على الامير الا بنسبة مقامه فقد يكون اميراً ودونه شيوخ وقد يكون شيخاً ودونه امراء .

والامراء والشيوخ هم الحكام المطلقين واصحاب النفوذ الأكبر ولهم السلطة بتقرير الحرب او السلم وعقـــد المعاهدات وقيادة القبيلة في الحرب

واختيار المكان الذي تحل به القبيلة واستقبال الضيوف والزوار والتفاهم معهم . وعلى الامير او الشيخ ان يحترم آراء كبار رجال القبيلة ولكنه غير ملزم بالأخذ بها لأن سلطته هي النافذة وهو يقضي بما يشاء ولا شافع لديه الا ذمته وما حملت .

وقد تستمرّ الرئاسة في اسرة الامير او الشيخ عدة اجيال وذلك يتوقف على موافقة قبيلته . وقد يعزل الامير او الشيخ وينتخب رئيس آخر من اسرته او من اسرة اخرى تساوي اسرته بالرفعة والمقام .

نظام الحكم
عند القبائل البدوّية

ليس للقبائل العربية البدوية نظام مكتوب ، ولا مجالس معقودة لاصدار الاحكام . فاذا ما اختلفوا في امر أشكل عليهم حله ولم ينزعوا الى تحكيم السيف ، رفعوه الى العارفة [1] واحكام العارفة مطاعة عند جميع القبائل وتقوم مقام الأنظمة النافذة .

وقد تصدر احياناً بعض احكام من العارفة مغايرة للحق يتحيز بها لجانب الرؤساء وذوي القوة والشدة والبأس خشية بأسهم وجورهم وشدتّهم . ومع كل ذلك فاذا ما عصى احد من القبيلة الحكم الذي يصدر من العارفة طرد ذلك العاصي من القبيلة ووصمه الجميع بصمة التمرد وعيروه بالانشقاق .

الــدين
عند القبائل العربية البدوّية

ان طبيعة حياة البادية الواسعة في عصف الرياح العاتية وبهامة سواد الليل

(١) العارفة هو الرجل الواسع الاطلاع بالسوابق التي جرت عليها العرب بقضاياها من القديم .

ودياجير الظلام الموحش والتيه والضياع والجوع والعطش ووجود الحيوانات المفترسة والصور الاخرى التي لا نهاية لها ، اولدت عند الذين يعيشون فيها شعوراً بضرورة معرفة الله ورجائه وخشيته ورهبته . فالبدوي يجد نفسه محتاجاً في كل حركاته وفي كل سكناته الى القوة الالهية وعظمتها ، ولكن شعوره بدائي لا يتقيد بنظام ولا باخوة ولا بمساواة ولا يمنعه ذلك الشعور من الاعتداء على الآخرين .

جاء الاسلام بصفاء تعاليمه بتوحيد الاله والاتكال عليه عند الشدائد ، والاعتماد عليه في الملمات وسياقة الرزق ودفع الضر واحلال الاخوة والالفة بين المسلمين بدلاً من التنافر والعداء وقد نصّ القرآن الكريم بالآية الآتية :

(لاَ تَجِدُ قَوْماً يؤمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومْ الآخِرِ يؤادّوُنَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَه وَلَوْ كَانُوا آباءَهُم أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إخوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم أوْلَئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الايمَانَ وَأيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ ألاَ إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُوْنَ .)

سورة المجادلة آية ٢٢

فصارت الاعراب بعد هذا تعتمد على الله في كثير من امورها وترهبه وتخشاه وترجوه وتستعطفه وتعتمد عليه وقد حلت الالفة والمحبة والصفاء بينهم بفضل تعاليم الاسلام .

ولكن هذه الحالة لم تدم على صفائها كما كانت عليه في العصور الاسلامية الاولى . فقد تساهلت تلك القبائل البدوية بعد ذلك وتهاونت بتعاليم الاسلام وبطقوسه الدينية وغيرها من الاحكام الشرعية وعادت العصبيات بشرورها كما كانت عليه قبل الاسلام ولم تحلّ القرون الاخيرة ولا سيما القرنين العاشر والحادي عشر الهجري حتى تنوسيت لديهم قواعد التوحيد وحلت محلها صور

مشوهة قريبة من عبادة الأوثان ، بعيدة كل البعد عن صفاء تعاليم الدين الاسلامي وفروضه ، بل كفروا بالكتاب كله ونبذوا الدين كله وانكروا البحث واستهجنوا من يعتقد به .

ونصبت القبائل العربية البدوية نفسها امراء على الصحراء معلنة حكم الطواغيت على شريعة الله عناداً مع اقرارها بأن محمداً رسول الله لكن كذبت تعاليمه وكفرت بها واصبحت تسلب وتنهب وتهدد سلامة المدن وتفرض على المارة ضريبة لقاء ما تدعيه من الحماية (الاخاوة) .

لمحة موجزة عن تاريخ اليمامة (نجد)

اليمامة[1] في العصور السالفة للاسلام

ذهب بعض المؤرخين الى ان العرب طبقتين : بائدة وباقية .

والعرب البائدة يطلق عليهم اسم العاربة او العرباء وهم الذين كانوا عرباً صرحاء خلصاً ذوي نسب عربي خالص . وأهمهم عملق وعبيل وجرهم الاولى ووبار وعاد وثمود وطسم وجديس .

ويرجّع المؤرخون القبائل الأربعة الأخيرة الى جد واحد هو سام ابن نوح فيقولون ان عاد وثمود وطسم وجديس ابناء ارم بن سام وبعضهم يرى ان طسماً تنتسب للاوذ بن سام وانها اقدم من جديس .

ولا جدوى من التعرض لهذا الاختلاف وصحة النسب والانتساب في بحثنا هذا الا من حيث الاستدلال به على تقارب العصر الذي عاشت فيه تلك القبائل .

(١) كان اسم اليمامة قديماً يطلق على منطقة واسعة الارجاء اما الآن فهي قرية صغيرة تقع على مجرى عين فرزان التي تفيض من الدلم وهي بقعة كثيرة المياه واسعة البساتين .

عاد وثمود

تاريخ عاد وثمود اشهر من تاريخ طسم وجديس لورود ذكرهما في القرآن المجيد ولبقاء بعض الآثار المنسوبة اليهما في بعض الجهات وقد ورد ذكر اسم ثمود في جملة البلاد التي غلبها سرجون ملك اشور سنة ٧١٥ ق . م وقد ورد ذكرها في كتب اليونان في القرن الأول للميلاد وبعده ومع كل ذلك فلا يزال تاريخها مجهولاً .

طسم وجديس

اما ما يتطرق له المؤرخون عن اخبار طسم وجديس فلا يصح أن يكون اساساً للبحث العلمي التاريخي وقد وردت فيه روايات متعددة متفاوتة عن ابادة طسم وجديس يقرب اكثرها من الخرافات واقربها للتصديق ما يأتي : —

كانت طسم وجديس قبيلتين من اصل واحد تسكنان اواسط الجزيرة العربية فكسرت جديس خراجها على ملك اليمن المدعو حسان اسعد ابو كرب (الذي حكم من أول القرن الخامس الميلادي الى عام ٤٢٠ م) فغزا الملك المذكور طسماً لانها كانت اشد بأساً من اختها جديس [١] فلما هزمها سهل عليه هزيمة اختها وقضى عليهما جميعاً .

ولم يبق من تلك القبيلتين الا شراذم تفرقوا في البلاد واندمجوا بين القبائل العدنانية والقحطانية التي انتشرت فكان منهم من سكن الجبلين اجا وسلمي حتى استولت طي على تلك البلاد وهم فيها ، ومنهم من سكن البحرين ثم اندمج في سكان تلك البلاد . ومن القبيلتين من بقي في محله حتى ظهر الاسلام

(١) كانت امرأة من طسم متزوجة من جديس تدعى زرقاء اليمامة وكانت حادة البصر فانذرت الجديسيين حينما ابصرت الغزاة من مسافة بعيدة ولكنهم لم يصدقوها فصبحهم العدو وقضى عليهم وقتل الزرقاء وكان اسمها يمامة فسمى الاقليم باسمها .

فنسي اصله واختلط مع الآخرين وصار يعرف باسم (الصعافقة)[1] .

عَنَزَة وبنو حنيفة

وقد روى المؤرخون عند تفرق القبائل العدنانية لطلب مواقع الرعي والكلأ ان عشيرة من قبيلة عنزة سارت يتقدمها رتس بن هزان (المدعو عبد العزى[2] ابن عمر بن اسد بن ربيعة العنزي) حتى بلغت اليمامة فرأت بلاداً واسعة كثيرة النخيل والأشجار وفيها البيوت والقصور فسكنتها ثم قدم عليهم ابناء عمومتهم من بني حنيفة من بكر بن وائل بقيادة عبيد بن ثعلبة فسكنوا معهم واختلطوا بهم ثم تغلبوا على البلاد وذلك في اوائل القرن الخامس الميلادي .

اليمامة في العصر الاسلامي

لما سطع الاسلام بنوره كانت زعامة اليمامة وما حولها لهوذة بن علي السُّحَيْمي الحنفي . وثمامة بن أثال الحنفي . ولما بعث النبي (ص) رسله إلى ملوك العرب يدعوهم الى الاسلام بعث سليط بن عمرو إلى هوذة وثمامة ملكي اليمامة وهذا نص كتابه الى هوذة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي ! سلام على من اتبع الهدى ، واعلم ان ديني سيظهر ، الى منتهى الخف والحافر ، فاسلم تسلم ، واجعل لك ما تحت يديك » .

فأجاب هوذة النبي (ص) بالكتاب الآتي : —

(١) الصعافقة نسبة لعين مار كانت مشهورة هناك عرف اهلها بامتهان الفلاحة والزراعة .
(٢) هو الآب الرابع لمجاعة بن مرارة الحنفي ومجاعة هو الذي اسره خالد بن الوليد في حرب الردة التي سيأتي ذكرها .

« ... ما احسن ما تدعو اليه واجمله وانا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تتهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر اتبعك . »

فلما وقف النبي (ص) على جوابه قال : (لو سألني سَيَابَةً من الأرض ما فعلت . باد وباد ما في يده .)

ولم يلبث هوذة الا قليلاً ثم توفي .

اما ثمامة فقصد مكة معتمراً واهلها اذذاك مشركون فوافته خيل النبي (ص) فأسرته فأتي به إلى النبي (ص) فأمر بربطه بسارية من سواري المسجد. وكان اذا مر به قال له : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فيقول : « عندي خير ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تريد المال فسل تعط . » فأمر النبي (ص) باطلاقه فأعلن ثمامة اسلامه . وذهب إلى مكة معتمراً فقالت له قريش : صبأت يا ثمامة ؟ فقال : لا ولكنني اسلمت . ووالله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن محمد .

ثم عاد إلى اليمامة فمنع اهلها ان يحملوا الى مكة شيئاً فكتب اهل مكة إلى النبي (ص) : « انك تأمر بصلة الرحم وقد قطعت ارحامنا . قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع . »

فكتب النبي (ص) الى ثمامة ان يخلي بين اهل اليمامة وبين حمل الطعام الى مكة .

وفد اليمامة الى النبي
وخبر مسيلمة الكـــذاب

لما استقام الأمر للنبي (ص) في المدينة قدم عليه عام الوفود (العاشر من الهجرة) وفود من جزيرة العرب ومن ضمنهم وفود اليمامة ووادي حنيفة فأعلنوا اسلامهم وكان فيهم مَجّاعَةَ بن مُرارة بن سُلَمى والرَّحَّالُ بن

عَنْفَوة ومسلم بن حبيب فأكرمهم النبي وحباهم . وكتب لمجاعة كتابين : احدهما يتضمن اعطاءه مائة من الابل من اول غنيمة يغنمها المسلمون من بني ذُهْلِ بن وائل جيران بني حنيفة وابناء عمهم واعدائهم . وثانيهما اقطعه فيه مقاطعات من ارض حنيفة وهذا نصهما :

(١)

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي لمجاعة بن مرارة بن سُلْمى : اني اعطيتك مائة من الابل من اول خُمُسٍ يخرج من مُشركي بني ذهل . »

(٢)

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجاعة بن مرارة بن سُلمى اني اقطعتك الغورة وغُرابة والجبل فمن حاجك فاليّ . »

ولما رجعت الوفود الى بلادها ادعى مسلمة بن حبيب ان النبي (ص) قبل مشاركته في النبوة . وشهد له على ذلك الرحال بن عنفوة الذي كان معه في الوفد فتبعه فريق من الناس خدعوا به وصدقوا اقواله او تخادعوا له واظهروا له التصديق ليتحللوا من آداء الزكاة وقد مال اليه آخرون لكونه من بني حنيفة .

ولكن مسلمة لم يصب نجاحاً في حياة النبي (ص) وقد حذر النبي (ص) الناس منه وسماه الكذاب وذلك لما كتب الى النبي الكتاب الآتي : —

« من مسلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك ، اما بعد فقد أُشرِكْتُ معك في الأمر . فلنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً

قوم يعتدون . »

فأجابه النبي بالكتاب الآتي : —

« من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب : اما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام على من اتبع الهدى . »

عصر الخلفاء الراشدين

(١) خلافة ابي بكر

لما انتقل النبي (ص) الى رحمة ربه وآلة الخلافة من بعده الى ابي بكر الصديق كان الاسلام في غاية الاضطراب بسبب الردة ومن اسبابها ان بعض القبائل دانت للاسلام ولم يتمكن الاسلام من عقولهم وقلوبهم فلما توفي النبي (ص) تبادر الى اذهانهم ان الدعوة الى النبوة امر هين وظنوا انفسهم يستعينون على تأييد دعواهم بقبائلهم وهي اكثر رجالاً من قريش فكيف يستطيع هؤلاء السيادة على جزيرة العرب كلهم وهم قليلون . فادّعى النبوة غير واحد منهم طليحة الاسدي من بني اسد ، وسجاح التميمية من تميم ، ومسلمة بن حبيب من بني حنيفة من اليمامة ، وغيرهم . واستعان كل منهم بقبيلته وانصاره فدعا ذلك الى اضطراب الاحوال في سائر القبائل ، فمنهم من رفض الاسلام وتابع اولئك الدعاة ومنهم من اكتفى بالامتناع عن اداء الزكاة .

واشتد امر الردة واستفحل المرتدون حتى حمل بعضهم على المدينة نفسها وهي عاصمة المسلمين فهاجموها وكادوا يأخذونها لو لم يدافعهم ابو بكر دفاعاً جميلاً وقد تصرف في محاربة المرتدين تصرف الرجل الحكيم الحازم فعقد الألوية للقتال وسير الجيوش لمحاربة المرتدين .

وكان مسيلمة الكذاب من الذين قد قوي امرهم بعد وفاة النبي (ص) وانقاد له بنو حنيفة . ولما سير ابو بكر الجيوش لقتال المرتدين بعث عكرمة

ابن ابي جهل لقتال المرتدين من أهل اليمامة وامده بمدد مع شُرحَبيل بن حسنة ولكن عكرمة تسرع بالحرب قبل وصول المدد اليه فهزم جيشه فكتب الى ابي بكر يخبره بالأمر فأمره ابو بكر بترك جبهة اليمامة والمسير بمن معه لمساندة الجيش الذي بعثه الى عمان ومهرة . وكان ثمامة قد ثبت على اسلامه ورفض الانقياد الى مسيلمة . ولما ورد ابا بكر خبر فشل عكرمة في حرب اليمامة اصدر امره الى ثمامة لجمع ما يستطيع من الجيش والالتحاق بجيش شرحبيل .

وفي اثناء اشتباك عكرمة بن ابي جهل بحر به مع اهل اليمامة كانت سجاح التميمية قد تقدمت بجنودها لغزو بني حنيفة ولما بلغت بجيشها اليمامة خشي مسيلمة أن تلهيه في القتال مع مقابلة جيش المسلمين الزاحف عليه بقيادة شرحبيل فصالحها على ان يدفع لها نصف غلات اليمامة فوافقت على ذلك .

وكان ابو بكر قد اوعز الى خالد بن الوليد الالتحاق بجيش شرحبيل وثمامة ولكن شرحبيل وثمامة وقعا بالخطأ الذي وقع به عكرمة من قبل حيث استعجلا القتال قبل وصول مدد جيش المدينة الذي كان بقيادة خالد فخسر المعركة فترك ثمامة اليمامة والتحق بالعلاء بن الحضرمي لقتال المرتدين من اهل البحرين ولما وصل خالد بجيشه الى اليمامة انضم اليه شرحبيل مع من كان معه وانضاف اليهما جمع غفير من القبائل العربية حتى بلغ جيشهم بضعة عشر ألفاً وكان عدد بني حنيفة وحلفائهم وأتباعهم يربو على الأربعين الف مقاتل .

وخشي ابو بكر ان يؤتى الجيش الاسلامي من الخلف فبعث جيشاً آخر بقيادة سَليط بن عمرو ليكون ردءاً لخالد .

ولما بلغ خالد بجيشه « ثنية الاحيسي » وجد مجاعة بن مرارة مع ثلاثة وعشرين فارساً من قومه نياماً وارسان خيلهم في ايديهم تحت خدودهم لم يشعروا بالجيش حتى نبهوهم من نومهم واتي بهم إلى خالد فظن خالد انهم جاؤوا لاستقباله فقالوا له : ما شعرنا بك وانما خرجنا نثأر لنا في بني تميم

وبني عامر فأمر بهم فقتلوا جميعاً الا مجاعة فقد استبقاه وحمله معه موثوقاً ، وعسكر خالد على مقربة من اليمامة ولما سمع مسيلمة بقرب جيش خالد خرج ببني حنيفة فنزل « عقرباء » وجعل ريف اليمامة وحدائقها خلفه . ولما دارت رحى الحرب كان اول من لقي جيش المسلمين الرحال بن عنفوة فقتـــل ثم دارت الدائرة على جيش المسلمين فقُتل الكثير من وجوههم وقرّاء القرآن وكان في مقدمة شهدائهم يومئذ زيد بن الخطاب ولكن هذه الخسارة لم تثن عزم المسلمين ولم تفت في عضدهم فلموا شعثهم وأعادوا الكرة للقتال فانهزمت اهل اليمامة امامهم فاتبعوهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً والتجأت فلولها الى حديقة كانت لمسيلمة بجوار البلدة تعرف « بحديقة الرحمن » فغشيهم فيها المسلمون واستمر القتال في تلك الحديقة فقتل مسيلمة وطرح في احد آبارها[1] .

وكان مجاعة بن مرارة الحنفي قد شهد الوقعة مع خالد وهو اسير فلمّا رأى أن الحرب قد أنهكت المسلمين واتعبتهم ولكنها لم تقلل من عزيمتهم خشي النتيجة وأخذته الرحمة على قومه من سيوف المسلمين الذين عاهدوا الله على عدم اغمادها ما لم ينالوا النصر المبين فأراد مجاعة ان يحتال لخلاص قومه فقال لخالد : ان اهل اليمامة لم يخرجوا جميعهم لقتالكم ولم يقتل منهم الا القليل وقد بلغ منكم الجهد والتعب كما أرى فهلمّ لأصالحك عن قومي . فصالحه خالد على أن يأخذ ما لدى بني حنيفة من ذهب وفضة وسلاح وان يأخذ نصف السبي . ثم استأذن مجاعة خالداً بالذهاب الى قومه لمشاورتهم فأذن له فأمرهم بأن يعمدوا الى الحيلة ويقلدوا النساء السلاح ويشرفنّ من الحصون ثم رجع الى خالد وقال له : ان قومي ابوا قبول ما صالحتك عليه فان شئت ان تقبل ربع السبي وتدع ربعاً . وكان خالد ومن معه حينما رأوا النساء في الحصون ظنوهن رجالاً فقبلوا الصلح وكتب خالد كتاباً بذلك هذا نصه : —

« هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير و ..

---

(١) سميت هذه الحديقة بعد هذه المعركة « حديقة الموت » لكثرة ماجرى فيها من القتل .

و ... قاضاهم على الصفراء والبيضاء وربع السبي والحلقة والكراع وحائط في كل قرية ومزرعة على ان يسلموا ثم انتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد ابن الوليد وذمة ابـي بكر خليفة رسول الله وذمة المسلمين على الوفاء » .

وبعدما توثق مجاعة من الصلح فتحت ابواب الحصون، فلم يجد خالد فيها الا النساء، فقال لمجاعة : ويحك خدعتني؟ فقال له مجاعة : قومي ولم استطع الا ما صنعت . فلم يندم خالد على ما فرّط، بل اقرّ الصلح واعاد الأمن الى نصابه في اليمامة وتركها بعد ان ولى عليها سمرة بن عمرو العنبري (من تميم) وذلك في السنة الثانية عشرة من الهجرة .

(٢) خلافة عمر بن الخطاب

ولمـا آلت الخلافـة الى عمر بن الخطاب تمكن هـذا الخليفة من كبح جماح القبائل العربية بفضل انتشار رايات الاسلام لموجات الفتوح في الأرجاء الشاسعة لأعظم امبراطوريتين في ذلك العصر، هما الأمبراطورية الفارسية والأمبراطورية الرومانية الشرقية. فتوغلت الجيوش الاسلامية في ارجائهما البعيدة، وقد ساهمت قبائل نجد بحمل الوية الفتح الاسلامي الى اقصى تلك الاطراف وادناها، وقاتلت في سبيله واصدقت القتال، وكان لها جهد كبير في حروب العراق والشام ومصر وغيرها. وهذا التوسع في فتوح البلدان لم يسمح للقبائل النجدية ولا لغيرها بالاشتغال بما دونه، اما من تخلف من قبائل نجد عن الاشتراك في تلك الفتوح فقد تركت وشأنها لم يتعرض لها احد بشيء .

(٣) خلافة عثمان بن عفّان

ولما تولى عثمان ادارة شؤون الخلافة اراد ان يترك الامور على ما كانت عليه في عصر عمر، ولكن رهطه الامويين ايقظوا لمصالحهم الخاصة مشاعر

الكراهية والبغضاء التي كانت كامنة في صدور القبائل العربية . واجّجوا نيرانها فاندلع منها لهيب بضراوة في معظم القبائل العربية (ومن ضمنها قبائل نجد) فكان الخليفة عثمان هو طعمة ذلك اللهيب .

(٤) خلافة الامام علي

ولما آلت الخلافة الى الامام علي، رفعت الفتنة العمياء رأسها، واستيقظت من رقدتها ، وهاجت الثورات الداخلية الضارية ، فألهته تلك الثورات عن الاهتمام بإصلاح شؤون عرب البادية ، لم يتمكن من تغيير حال من احوالها فترك الامور على علاتها تعصف بها الميول كما تهوى وتشاء .

اليمامة في العصر الاموي

عندما تسلط معاوية بن ابي سفيان على الخلافة والحكم، تمكن بحذقه ودهائه من المحافظة على اتصاله اتصالاً حسناً بجميع القبائل العربية، وان كان قد اتخذ الشام مقراً لحكمه ، ولكن لم يمنعه ذلك من مراعاة ومواصلة تلك القبائل التي في وسط الجزيرة العربية .

اما الخلفاء الامويون الذين جاءوا من بعده، فقد أهملوا شؤون الجزيرة العربية وقبائلها ، اهمالاً كبيراً شاملاً ، لفقرها وجدبها وعدم الحاجة الماسة اليها في مراميهم ومقاصدهم، وصاروا يكتفون بايفاد ولاة يمثلونهم ، فكان لهم والٍ او عامل في مكة ، ومثله في المدينة ، وثالث في الطائف ، وآخر في اليمامة ، وكان واليهم الذي في اليمامة هو المشرف على شؤون القبائل في نجد .

اليمامة في العصر العباسي

ولما تولى بنو العباس زمام الخلافة واستتب لهم الحكم ، سلكوا في بادىء

الأمر الطرق التي سلكها بنو أمية من قبلهم مع العرب، بقليل من التغيير والتبديل، ثم انحرفت سياستهم عن العرب وجزيرتهم، فأهملوا امرها، وصارت ترسل العمال الى اليمامة والبحرين من قبل ولاة مكة او المدينة او العراق وربما جعلوا اليمامة والبحرين لعامل واحد، فبقيت تلك البلاد مغمورة لا يعنى بها المؤرخون الا بما له صلة بعناية الخلفاء، كمكة والمدينة وطريق الحج واخبار القبائل التي تخرج عن الطاعة وتتعرض للحجاج بسوء.

ثورة
اسماعيل بن يوسف في الحجاز

بعدما تسرب الضعف لجسم الدولة العباسية طمع فيها ولاتها وحكام امصارها، واستقلوا بالحكم مع احتفاظهم بسيادة اسمية للخليفة العباسي القابع في قصره ببغداد، والقانع بما يرسل اليه من النزر اليسير من المال، وكان موسى الجون ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط لما اختفى اخواه محمد وابراهيم طالبه ابو جعفر المنصور باحضارهما فضمن له ذلك، ولكنه عجز عن تنفيذ ما ضمن، فشدد عليه المنصور، فاختفى ثم عثر عليه فضربه الف سوط، وعندما قُتل اخوه محمد الملقب (بالمهدي) في المدينة اضطر موسى المذكور الى الاختفاء مرة ثانية، وبقي مختفياً الى ان مات، وكان من عقبه اسماعيل واخوه محمد الملقب (الاخيضر) ابنا يوسف بن ابراهيم بن موسى المذكور، فاغتنم اسماعيل ضعف الخلافة العباسية، وأعلن أمره في الحجاز عام ٢٥١ هـ ٨٦٥م وسمي (السفاك) ثم قصد مكة، فهرب عاملها جعفر بسباسات، وانتهب منزله ومنازل اصحابه، وقتل جماعة من الجند واهل مكة واقام في مكة خمسين يوماً، ثم سار إلى المدينة فتوارى عاملها، وحاصرها حتى مات اهلها جوعاً، ودام حصاره للمدينة الى ان وصلتها جنود الخليفة العباسي المعتز بالله، فرفع عنها الحصار، ورجع اسماعيل الى مكة وحاصرها حتى جهدها الحصار، ثم رحل عنها

بعد ان دام حصاره لها زهاء شهرين، واتجه الى جدة، واستولى على اموال التجار ورجع الى مكة مرة ثانية ، وكان قد وصل اليها محمد بن عيسى بن المنصور وعيسى بن محمد المخزومي بعثهما المعتز مع جيش كبير لقتاله ، فتواقعوا بوادي عرفات واقتتلوا فانسحب الجيش العباسي الى مكة . اما اسماعيل فقد رجع الى جدة ثانية واستباحها . وتوفي اسماعيـــل سنة ٢٥٢ هـ ٨٦٥ م ايام حرب المستعين والمعتز ، ولم يعقب .

دولة
محمد الأخيضر وبنيه في اليمامة

تولى الامر بعد اسماعيل اخوه محمد بن يوسف الملقب (بالاخيضر) ، وكان يكبر أخاه اسماعيل بعشرين سنة ، واليه ينسب الاخيضرون . و توجه الى اليمامة فملكها واتخذ قلعة الخضرمية مقراً له . وكان له من الولد اربعة محمد وابراهيم و عبد الله ويوسف .

يوسف بن محمد

ولي الأمر في اليمامة ، بعد محمد ، ولده يوسف . وكان له اربعة اولاد هم اسماعيل وحسن وصالح ومحمد ، وقد اشرك ولده اسماعيل معه في الامر في حياته .

اسماعيل بن يوسف

وبعد وفاة يوسف انفرد ولده اسماعيل بملك اليمامة ، ودام له الامر الى ان مات .

الحسن بن يوسف

وعندما توفي اسماعيل ولي الأمر بعده اخوه الحسن بن يوسف، وبقي فيها إلى ان مات .

احمد بن الحسن

وتولى الامارة بعد الحسن ولده احمد . وفي عصره هاجمت القرامطة اليمامة عام ٣١٧ هـ ٩٢٩ م ، ودارت معركة بينهم وبين الاخيضرين، تعد من اعنف المعارك ، قتل فيها عدد من مشاهير الاخيضرين، وعلى اثر هذه المعركة زال حكم بني الاخيضر من اليمامة وانتهى امرهم .

وبزوال بني الاخيضر لم تحكم اليمامة حكماً قوياً، ولم تقم فيها اية دولة ذات شأن، بل اصبحت خاضعة للدويلات التي حكمت البحرين، كالقرامطة (التي حكمت من اواخر القرن الثالث الهجري الى عام ٤٦٧ هـ ١٠٧٤م) والعيونيين والجبريين الذين منهم جود بن زامل وابنه مقرن، وكل هذه الدويلات اتخذت الاحساء قاعدة للحكم، وبعد مقتل مقرن بن زامل الجبري من قبل البرتغاليين عام ٩٢٨ هـ ١٥٢٢ م استقل كل امير بنجد بما تحت يده .

أشراف مكة

اغتنم الشريف ابو محمد الموسوي فرصة ضعف الدولة العباسية فأنشأ في مكة في القرن الرابع الهجري شبه حكم مستقل، شمل معظم انحاء الحجاز (وهذه هي النواة الاولى لحكم الأشراف الهواشم في الحجاز) مع خضوع اسمي لسلاطين القاهرة الايوبيين والمماليك والأتراك .

وكان اشراف مكة المتأخرون يجدون انفسهم حالّين محلّ الخلفاء العباسيين كما كانوا يعتبرون بلاد نجد من ضمن مناطق نفوذهم ، وكانوا يأخذون من امرائها وشيوخها الأموال ، ويغيرون عليهم اذا امتنعوا عن اداء ذلك .

الحالة في نجد حتى سقوط
الدولة العباسيّة

يمكن القول بأن الفترة التي امتدت من القرن الرابع الى ان حطم الضعف اوصال دولة الخلافة العباسية . واودى بوحدتها وقضى على كيانها حتى سقوطها امام غارات المغول المدمرة عام ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م. كانت فترة مضطربة في حياة نجد، فقد تفرقت بلادها، ولم تقم فيها اية امارة قوية ضابطة، ولا رئيس عام قاهر، يرعى مصالح الناس، ويسهر على امنهم وسلامتهم، ويقيم احكام الشريعة ويجبي الزكاة ويمنع العدوان ويعاقب الجناة ويردع الظالم وينصر المظلوم ويهتم بالمشاريع الاصلاحية، التي هي دعامة العمران، بل كانت نجد منقسمة بين عدد كثير من الامراء والشيوخ، وكل امير او شيخ منهم متفرد بامارته حاكم بأمره على بلده، مدينة كانت ام قرية، يحكمها حكماً مطلقاً، حسبما تشتهيه اهواؤه وتمليه مقاصده، فهو الذي يطرح الضرائب، ويسن القواعد لجبايتها .

فقد كانت نجد في تلك الفترة اشبه ما تكون بحالة ملوك الطوائف، بعهدهم الرهيب، او بعبارة اوضح كانت في حالة من الفوضى كحالة الانسان في دوره البدائي ، حيث لم تكن سنن ولا انظمة ولا قوانين .

نجد في العصر العثماني

ولما حلت سنة ٩٢٣ هـ ١٥١٧ م وظهرت الدولة العثمانية على المسرح السياسي في جزيرة العرب، (وان كانت الجزيرة العربية لم تشتمل بالحكم العثماني المركزي المباشر ، بل اكتفت الدولة العثمانية بالسلطة الاسمية عليها) كان كل قطر من اقطار الجزيرة العربية مستقلاً بذاته ، ولا سيما نجد فقد كانت العصبيات فيهـا قائمة على قدم وساق ، لكل عشيرة دولة ، ولكل قرية مشيخة تعتز بسلطانها وتشيد باسمها ، ولكل حاكم من

اولئك الحكام حوزته الخاصة ، يحكمها حكماً مطلقاً، لا تربطه بجاره اية رابطة ، وكان اولئك الحكام في حالة حرب دائمة، او على اهبة الاستعداد عندما تسنح الفرصة للتعدي على جيرانهم ، اذا ما بدا من اولئك الجيران ضعف .

وكانت سياسة الدولة العثمانية يومئذ تحبذ هذه الحالة. وتسعى لانتشارها وتشجع بدورها بعض حكام السوء ، وتناصرهم وتشد ازرهم. ليسود الجهل وتنتشر البدع ويتهاون في امور الدين، ليبقى ذلك الشعب رازحاً تحت نير عبوديتها أطول وقت ممكن .

نجد في القرن الثاني عشر الهجري

وما كاد يحل القرن الثاني عشر الهجري حتى انتشرت الفوضى في نجد وعم الانقسام، وتوسعت الفرقة، وتفرقت الكلمة، وتعددت الامارات والمشيخات فكانت الامارة في العيينة لآل معمر، وفي الدرعية لآل سعود، وفي الرياض لآل دواس، وفي الاحساء لبني خالد، وفي نجران لآل هزال، وفي حائل لآل علي، وفي القصيم لآل حجيلان، وفي حدود نجد الشمالية وجنوب العراق لآل شبيب . هذا بالاضافة الى وجود عدة امارات ومشيخات اخرى صغيرة في غربي نجد وفي وادي الدواسر، وفي قحطان، وغيرها ، وربما قسمت القرية الواحدة بين عدد من الرؤساء .

وقد كانت جميع هذه الامارات والمشيخات في حالة غير طبيعية، وبدون استقرار ، والفوضى سائدة في ربوعها، والفتن متراكمة فيها ، تخبو تارة ثم تعود الى الظهور في اول فرصة مناسبة .

والخلاصة ، لم يكن لتلك الكتل البشرية نظام سياسي معروف ، ولا مدنية بيّنة ، فجميع الانظمة والشرائع كانت لديهم مجهولة، او اكثر من مجهولة،

وكانت الفتن متراكمة كتراكم السحب، والعداء سائداً وشاملاً جميع جهاتهم، والحروب بين الحكام قائمة دائماً كأنها جزء من طبيعتهم.

وكانت البلاد تعيش ابداً في رعب دائم، وخوف غير منقطع، من جراء عدو يأخذ بالقهر، وحليف يأخذ بالغدر، ولم يكن للسكينة والحرية والامن والراحة مقرّ في تلك البلاد.

ففي الحروب المستمرة تقتل الابناء، وتدمر المباني، وتقطع الاشجار، وتتلف الزروع. وفي فترة السلم (ان كان هناك سلم) يحبس الناس في بلدانهم لا يستطيعون الابتعاد عنها الا لمسافات يسيرة، لان الطرق لم تكن مرصودة ولا مؤمنة من غزو القبائل البدوية.

الوضع الديني في نجد

كانت بنجد في عهد طسم وجديس (بتلٌ) [1] يتوجهون اليها بالعبادة وكان يقع احدها في القرية الخضراء (حجر اليمامة) [2].

وبعد فناء طسم وجديس تفشت بين القبائل العربيـة النازلة في نجد وفي غيرها من مواقع الجزيرة العربية الديانة الوثنية، وعبادة الأصنام، فكان لقبيلتي اياد وبكر بن وائل صنمٌ يُدعى (ذو الكعبين) و (كعبة سندار)، كما تسربت اليها الديانة المجوسية، فاعتنقها بعض من قبائل تميم. وفي القرن السادس الميلادي دخلت نجد الديانة المسيحية، وانتشرت بين قبيلة تغلب بن وائل.

كما انتشرت أيضاً الديانة الصابئة (التي تعبد النجوم)، فعبدت بعض قبائل تميم (الدبران)، وعبدت حمير الشمس، وعبدت كنانة القمر، وعبدت لخم

(١) بتل جمع بتيل او (بيت ايل) اي بيت الله وكانت هذه البتل على اشكال مكعبة تشبه الصوامع وتشاد من الطين ويكون ارتفاعها بين المائتين والخمسمائة ذراع.

(٢) موقع حجر اليمامة هو المكان الذي تقوم عليه مدينة الرياض اليوم.

وجذام المشتري، وعبدت طي سهيلاً، وعبدت قيس الشعرى، وتعبدت اسد لعطارد .

وليس معنى هذه العبادات ان العرب لم يكونوا يعرفون الله ويعتقدون بأن الأصنام الممثلة في هياكل عباداتهم هي الخالقة للعالم . بل انما كانت عبادتهم وتعظيمهم لها ضرباً من التدين لتقربهم الى الله زلفى.

ولما اشرق الاسلام بنوره في مكة، واستقر في المدينة، اعلنت بعض قبائل نجد اسلامها للنبي (ص) عام الوفود، غير ان السنوات القليلة التي عاشها النبي (ص) بعد عام الوفود كانت اقصر من ان توطد دعائم الاسلام بين جميع القبائل القاطنة في شبه الجزيرة العربية الشاسعة الارجاء، وينكشف لها على شكله الحقيقي، وتتفهم صفاء تعاليمه الخالية من الشوائب، تفهماً عميقاً .

واما من اسلم من قبائل نجد فلم يكونوا في الحقيقة يمثلون جميع القبائل النجدية، ولم يمكنهم بعد الشقة وصعوبة المواصلات وبطء وسائط النقل من تبليغ اسلامهم الى تلك القبائل .

وعندما انتقل النبي (ص) الى رحمة ربه، وقامت حروب الردة، انتظم فيها كثير من تلك القبائل العربية التي لم تدخل الاسلام من قبل، وممن لم يقفوا وقوفاً تاماً على مبادئه، اوممن لم يتفهموا حقيقة تعاليمه . وقد انتهت حروب الردة بفوز الاسلام، كما اشرنا اليه سابقاً (عندما تعرضنا الى الحالة السياسية في نجد وتفقهنا اسباب الاهمال التي شملت نجد في العصر الأموي وما بعده من العصور) . وما كادت تحل العصور الأخيرة المظلمة، حتى كانت نجد مرتعاً للخرافات، واهملت اهاليه تعاليم الدين الاسلامي، وتركوا اوامره جانباً وحلت محلها صور شوهاء تعاون على دعمها الجهل وفساد الحكم، حتى اوشكت ان تزول معرفة معاني التوحيد من قلوب الناس، ويتغلب الباطل على الحق وتقترب الأمة من حافة الهاوية والضلال، ولم يبق لذكر الله اثر الا في افواههم وامسى الدين الاسلامي لديهم ذكرى بعيدة غامضة، ولم يبق منه الا اسمه

ومن القرآن الا رسمه. وتناسوا اداء الزكاة، وتساهلوا في حج البيت، واهملوا صيام شهر رمضان، وتقاعسوا عن اقامة الصلاة، وحلت محلها عقائد فاسدة تتنافى مع اصول الدين الصحيحة، وصاروا يستغيثون بالجن، ويذبحون لهـا ويجعلون لها الطعام في زوايا البيوت لتشفي مرضاهم، ويتبركون بقبور الاموات ويقدسونها، ويحجون اليها وينذرون لها، وقد تفشى لديهم الاعتقاد حتى في الاشجار والاحجار، واخذوا يطلبون منها قضاء حاجاتهم، ويتوسلون بها لدفع كروبهم ورفع الاذى والضر عنهم. ويحلفون بغير الله في ايمانهم. ومن امثلة ذلك أنـه كان في (الجبيلة)[1] قبر لزيد بن الخطاب (اخي الخليفة عمر) يتذرعون اليه لتحسين حالهم واجابة ملتمسهم. وكان في الدرعية كهف يقدسونه ويزعمون انه كان ملجأ لبنت احد الامراء، التي فرت هاربة من تعذيب احد الطغاة وارادت ان تتخذ في احد الجبال الصخرية مخبأ تحتمي به من ذلك الطاغية فانشق احد جبال الدرعية عن كهف فأوت اليه، وكان أيضاً في الدرعية مقام لرجل اعمى يدعى (تاجاً)، كانت الناس تتذرع اليه ليدفع عنهم السوء ويجلب لهم النفع، وكانوا ينسبون اليه الكرامات، ويدعون انه كان اعمى ويأتيهم من بلد الخرج لتحصيل النذور دون ان يقوده احد، ليدله على الطريق.

وفي بلدة منفوحة كانت العوانس من النسوة يتوسلن (بفحل نخل) كان هناك، لاعتقادهن ان من تؤمه منهن تتزوج لعامها، فكانت الفتاة منهن عندما تستلمه تخاطبه قائلـة «يا فحل الفحول ارزقني زوجاً قبل الحلول».

ومع كل هذا فلم تكن نجد يومئذ خالية من علماء الدين — معاذ الله — الا انهم كانوا منقسمين الى قسمين، قسم قليل منطوٍ على نفسه يعرف الباطل ولا يستطيع الجهر بمحاربته، ويفضل الانصراف الى عبادة الله في معبده يائساً من الاصلاح، والقسم الاكبر منهم كانوا رجال دين اسماً لا حقيقة، فلم يكرسوا حياتهم ولم يجهدوا انفسهم لاصلاح الدين، بل كانوا لا يهتمون إلا بصالحهم

(١) الجبيلة قرية تقع بالقرب من مدينة العيينة.

ولا يطبقون من تعاليم الاسلام وانظمته الا ما يتفق مع اهوائهم ونزعاتهم ، منغمسين في البدع ، يكتبون للناس الحجب والطلاسم ، ويتقاضون منهم مقابل ذلك الاجور من المال ، ويقبلون منهم النذور التي تنذر لغير الله ، ويشجعونهم على الايمان بقدرة الاولياء على جلب الخير ، واستطاعتهم دفع الضر والبلاء .

هكذا كانت حالة الدين في نجد او حالة اللادين في نجد .

وكانت عامة اهل نجد يومئذ قد سئمت تلك الحالة وملتها وتمنت زوالها . اما خاصتهم واصحاب العقل والرأي منهم فكانوا يتطلعون ويتوقعون سماع صوت رجل ديني ملهم ، يخاف الله ويخشاه ، لينقذهم من الضلال ، ويطهر بلدهم من ادران الشرك والبدع والخرافات ، ويأخذ بيدهم لقواعد الدين . كما كانوا يتشوقون الى قيام زعيم دنيوي سياسي عادل مخلص ، قوي الشكيمة ، ليرفع راية الوحدة ويشهر سيف الحق لتبديد الظلم وطيّ اعلام التفرقة .

وفي لجة تيارات هذا الجهل القاتم المتلاطم ، وفي غياهب هذا الظلام البهيم المترامي الاطراف ، البعيد الاغوار ، وفي صلب دياجير هذه الفوضى الضاربة الاطناب ، قيض الله لنجد ، او للجزيرة العربية ، بل للعالم الاسلامي ، ارتفاع صوت مصلح ديني من الطراز الأول ، يدوي في أواسط الجزيرة العربية ، ويدعو لمحاربة الشرك ، ونبذ البدع ، وترك الخرافات ، والرجوع الى تعاليم الدين الاسلامي الصحيحة . ذاك هو صوت الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي ابت عليه كرامته ان يكون له هدف الا رضوان الله والايمان به والدعوة لسبيله ، وارتفعت بجانب ذلك راية خفاقة تلوح في الآفاق لجمع الكلمة ومحاربة الظلم والطغيان ، هي راية الأمير محمد بن سعود .

فقد اجتمعت اهداف هذين المصلحين المنقذين ، وتوحدت كلمتهما ، فكانا كروح واحدة في جسدين ، ما اختلفا قط ، وما ترددا في تنفيذ مبادئهما التي سارا عليها ، وهي الانقاذ من الشرك والخلاص من الضلال والظلم والطغيان .

لقد اغضبت مراميهما بعض امراء ومشايخ واكابر اهالي نجد، ولم يرتضوا شيوع هذه الدعوة ، لانها تفسد عليهم قوانين كثيرة وقواعد جمة وضعوها ليسيّروا الناس عليها، حسب مراميهم ومقاصدهم، وبالرغم من كل ذلك ادرك بعض اهالي نجد، ان ارتفاع ذلك الصوت، وخفوق تلك الراية، جاءا لانقاذهم فخفوا لنصرتهما وتقلدوا السلاح للقتال في جانبهما .

احوال الدولة العثمانية
والبلاد العربية التابعة لها

استعرضنا في ما مر بنا الأحوال التي كانت سائدة في نجد قبيل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته ونرى اتماماً للبحث ان نستعرض بصورة خاطفة ما كانت عليه الأحوال في الدولة العثمانية، والبلاد العربية التي كانت خاضعة لها في ذلك الحين .

حالة الدولة العثمانية

كانت حالة الدولة العثمانية (صاحبة الخلافة) في خلال القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر مرتبكة ، بسبب الانحدارات التي منيت بها في شرقي اوروبا . فقد اجتمعت شعوب تلك المناطق من اوروبا ، وحكوماتها على منازلتها ، وطردها من اراضيها . وقادت روسيا تلك المعارك ، فانزلت بالدولة العثمانية افدح الخسائر . وما زالت وراءها حتى طردتها نهائياً من تلك القارة (في اوائل القرن الثاني عشر) ولم يبقَ بيدها منها سوى منطقة صغيرة. هي ولاية ادرنة الواقعة في جوار عاصمتها (الاستانة). فهذا الانحدار قلل كثيراً من اهمية الدولة، واضعف معنوياتها ، حتى امست غير قادرة على بسط السيطرة التامة على ما تبقى من اقطار امبراطوريتها .

احوال البلاد العربية

اما الحالة في البلاد العربية، التي كانت تحت كنف الدولة العثمانية ، فكانت تقسم الى قسمين. منها ما هو تحت سيطرتها المباشرة ، تتلقى منها الاوامر ، ومنها ما هو مشمول بسيادة اسمية ، وأهم تلك البلاد هي :

مصر

كانت مصر يومئذ بيد المماليك، الذين يتوارثون حكمها في ظل سيادة اسمية وهمية للدولة العثمانية ، التي كانت تكتفي باتاوة سنوية مقطوعة، ملقية حبلهم على غاربهم ، ينهبون ويسلبون ، ويسومون الناس سوء العذاب .

العراق

وكان العراق خاضعاً للدولة العثمانية، يتولاه باشا يعينه السلطان ، ويقيم في بغداد يتلقى اوامره مباشرة من العاصمة ولا يهمه غير رضا السلطان .

سوريا

أما في سوريا فكان هناك باشوات ، يقيمون في المدن والعواصم الكبرى مرتبطين بالسلطان . وأما المناطق الاخرى فكانت بيد الرؤساء والشيوخ، يحكمون فيها بما يشاءون.

الحجاز

كانت الحجاز تحت سيطرة الاشراف الهاشميين ، وكان نفوذهم يشمل

عالية نجد ، وكان حكمهم مطلقاً لا تربطهم بالدولة العثمانية الا سيادة اسمية من بعيد .

اليمن

أما اليمن فكانت السيطرة فيه للأئمة الزيديين، وكانت عاصمتهم جعدا، وكان يقيم الى جانب أولئك الأئمة باشا تركي ، مقرّه في صنعاء ، ويسيطر على بعض الاجزاء الساحلية .

تهامة

كان الأشراف من آل خيرة مسيطرين على تهامة ، لا تربطهم بالدولة العثمانية الا رابطة سيادة اسمية خفيفة .

عسير والسراة

كان الأمر في عسير والسراة لشيوخها ، ورؤساء القبائل فيها ، لا يدينون للدولة العثمانية بسيادة ولا تربطهم معها الا رابطة الخلافة الاسلامية .

وقد كانت هذه البلاد من ادناها الى اقصاها، تعيش في سبات عميق، وقد تسرب الضعف في كيانها، وعم الجهل ارجاءها، فالتعليم يوشك ان يكون مفقوداً او معدوماً والذين يقرأون ويكتبون في داخل المدن قليل بل اقل من القليل .

أما الوضع الاقتصادي ومشروعاته ، فلا وجود لها ، والأمن مفقود وطرق المواصلات غير مأمونة . وفوق كل هذا وذاك، فقد تكاثرت في ربوعها البدع ، وعمتها الخرافات ، وأُهمل الدين ، وتشوّهت تعاليم الاسلام .

قبيلة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وأسرته ومولده ونشأته

القحطانيون والعدنانيون

قسم علماء الانساب القبائل العربية الباقية إلى ذريتين مختلفتين هما :

القحطانيون ، والعدنانيون .

القحطانيون

وقالوا ان مواطن القحطانيين كانت في اليمن وقد اطلق على القحطانيين فيما بعد اسم الحميريين (نسبة الى حمير احد ابناء عبد شمس ملكهم القديم) ، وان بعض المؤرخين يسمون القحطانيين باليمنيين ، نسبة الى موطنهم الأصلي اليمن .

العدنانيون

اما مواطن العدنانيين ، فهي في الحجاز وهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل ، ويطلق عليهم البعض اسم المضريين (نسبة الى مضر بن نزار بن معد ابن عدنان) وكثيراً ما يستعاض عن اسم المضريين او العدنانيين في التاريخ العربي باسماء البطون كقريش وبكر وتغلب وتميم .

بنو تميم

تميم هو بن مرّ بن ادّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان .

وكانت تميم من أقوى القبائل العربية واكثرها عدداً واشهرها تاريخاً .

ديار بني تميم

تكاثر بنو تميم وتحضروا وتفرقوا وتوغلوا وانتشروا في معظم الاقاليم واكثر البلدان العربية، فاحتلوا جانباً كبيراً من الساحل الشرقي لبلاد العرب ومعظم بلاد نجد، وجزءاً من البحرين وغيرها، وامتدت ديارهم جنوباً حتى فيافي الدهناء، كما امتدت شمالاً بشرق الى ضفاف نهر الفرات وجاورهم في الشمال بنو اسد، وفي الجنوب الغربي باهلة وغطفان. وامتزج بنو تميم في ديارهم ببطون من عبد القيس وحنيفة (وخاصة على الشاطىء الشرقي الجنوبي) كما امتزجوا ببكر وتغلب.

وبنو تميم بدو خلقاً فلم تكن لهم مدن بالمعنى الصحيح، وكانوا يؤمون حجراً والاحساء والجرعاء [1] في المواسم والاسواق ولكنهم لم يكونوا اصحاب هذه المدن بل كانوا يستولون عليها وتظل في حوزتهم زماناً ثم يرتحلون، وان صلة بني تميم بهذه المدن كصلة البدو بالحضر يزعجون سكانها ويخطفونهم طلباً للفدية ويحاربونهم احياناً ويسالمونهم احياناً أخرى.

ثم تحضر كثير من بني تميم واستوطنوا نجد، وانعدمت بينهم المميزات التي تميز الافخاذ والعشائر ولم يعد بالامكان تفريقهم الى فرق كما يُفعل بالقبائل المحافظة على عصبيتها. غير انه يمكن حصر الموجودين منهم في نجد في ثلاثة بطون، هي:

بطن سعد بن زيد مناة بن تميم. وبطن عمرو بن تميم. وبطن حنظلة بن الك بن زيد مناة بن تميم.

(١) بطن سعد بن زيد مناة ابن تميم

ويتفرع من سعد عدة فروع، منها العناقير وتسكن في ثرمداء، ومن العناقير

(١) الجرعاء كانت تعرف عند المؤلفين القدماء باسم جره GERRA

(الشيخ عبد الله العنقري) ، وآل ابي عليان ، وآل معمر .

(٢) بطن عمرو بن تميم

ويتفرع بطن عمرو ، الى عدة فروع من اهمها فرعان : المزاريع ، والنواصر.

المزاريع

وتتفرع المزاريع إلى ثلاثـــة بطون : آل مرشد ، ويسكنون الحُلوة . وآل عون ، ويسكنون القويع . وآل حماد ، ويسكنون الحوطة .

وآل حماد هم اكثر بني تميم الموجودين في نجد، وينقسمون الى اسر عديدة اهمهـــا : آل مرشد ، وآل حسين ، وآل قاضي ، وآل فوزان ، وآل فارس ، وآل قاسم . ومعظم هذه الاسر : تسكن الروضة .

وآل هوثيل : يسكنون نمير .

وآل عطية : } يسكنون المجمعة .
وآل عساف : }

وآل بكر : يسكنون الرياض .

والهلالات : يسكنون عرَفة .

النواصر

والنواصر تتفرع إلى عدة اسر منها :

آل مقبل : ويسكنون أُخْرُما

وآل حضان : ويسكنون شقراء .

والحماضاء : ويسكنون القصب .

واهل الداخلة كلهم نواصر .

(٣) بطن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

وتتفرع حنظلة الى عـــدة بطون منها :

الوهبـــة

والوهبة تنسب الى ابيها وهب بن قاسم بن مسعود بن عتيبة بن سبيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن مسعود بن مالك بن حنظلة، ويتفرع من الوهبة اسر كثيرة ، منها :

آل بسام : ويسكنون مدينة عنيزة ، تولوا القضاء في هذه المدينة .
آل شبانة : ويسكنون المجمعة ووشى وظَلَم وجَوَى .
آل معيوف : ويسكنون جلاجل .
آل منيف : ويسكنون الحوطة .
آل منقور :ويسكنون الحوطة وتولوا فيها القضاء .
آل مغامس : ويسكنون الحطامة .
آل عبدالكريم: ويسكنون حُرْمة .

الخرشان :
آل جاسر : ويسكنون الوشم
آل ابي حسين :

آل فايز :
آل مسند : يسكنون وثُيْثَة
آل عمر :

آل عتيق :
آل مسعد : يسكنون القصب

المعاضيد : يسكنون اشيقر واليهم ينتسب آل ثاني امراء قطر .
آل طويق : يسكنون العيينة واليهم ينتسب آل معمر امراء العيينة .
وآل مشرف : يسكنون العيينة وهي اسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

آل مشرّف

ومشرف الذي تنتمي اليه الاسرة هو مشرّف بن عمرو بن معضاد بن ريس ابن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب .

وقد اشتهر في آل مشرّف اناس عرفوا باستقامة خلقهم ونزاهتهم وانصرافهم لطلب العلم والتعمق فيه ومن اشهرهم الشيخ سليمان .

الشيخ سليمان
آل مشرّف

هو الشيخ سليمان بن علي بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد ابن مشرّف .

كان مقر هذا الشيخ في مدينة العيينة، وكان حسن الخلق ظريفاً متواضعاً ذا هيبة ووقار .

اخذ العلم عن علماء اجلاء من أشهرهم الشيخ احمد بن محمد بن مشرّف ثم صار من اعلم علماء نجد في زمانه وكانت له اليد الطولى في فقه المذهب الحنبلي ، واليه انتهت الرئاسة الدينية في نجد ، فكان طلاب العلم يكاتبونه في امورهم ويضربون اليه آباط الابل ان اشكل عليهم شيء ليظفروا منه بالفتاوى الرشيدة التي يستعصي على غيره من علماء الدين حلها .

تولى القضاء بالعيينة، في ايام اميرها عبد الله بن معمر التميمي، وقربه ذلك الأمير اليه وصار يشاوره في معظم اموره ويصحبه معه في بعض حروبه، فعلا

صيتُه بين الأمراء والرؤساء في مختلف جهات نجد علواً كبيراً. وفضلاً عن غزارة علم الشيخ سليمان وحسن خلقه، وعلو منزلته، فقد اشتهر ايضاً بالجود والكرم وكثرة البذل واكرام طلبة العلم والفقراء والمحتاجين الوافدين عليه.

وكانت تتطلع وتطمح اليه انظار طلاب العلم وتلامذة الفقه لأخذ العلم عنه، وقد تتلمذ لـــه اكثر علماء نجد، واستقوا منه علم التفسير والحديث، وكان لهذا الشيخ ولع وشغف عظيم بنشر العلم وتدريسه، ومن شدة شغفه لذلك كان يؤوي طلابه وتلامذته في داره وينفق عليهم من خالص ماله. كما كانت داره ملجأ وملاذاً لكل خائف ومظلوم، وله مصنفات عديدة واجوبة كثيرة في المسائل الفقهية، ولا سيما في المناسك، وله كتاب يدعى «تحفة الناسك في احكام المناسك» (طبع في مصر عام ١٣٥٤ هـ ١٩٣٠ م) .

توفي الشيخ سليمان عام ١٠٧٩ هـ ١٦٦٨ م .

الشيخ عبد الوهاب
ابن سليمان

خلف الشيخَ سليمان في منصب القضاء في العيينة ولدُه الشيخ عبد الوهاب، فقد كان عالماً جليل القدر، فقيهاً — على مذهب الامام احمد بن حنبل — وله معرفة واسعة في الحديث والتفسير، وغيرهما من العلوم الدينية الاخرى، وبالاضافة الى علمه فقد كان مثالاً للعدل والفضل، مشهوراً بين الناس بالتواضع وسهولة الاخلاق وكرم الطباع ولين العريكة.

باشر التدريس في مسجد العيينة في الفقه والتفسير والحديث وافاد الناس من فيض علمه.

مولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تنفس صبح الحيـــاة عام ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م في مدينة العيينـــة من بلدان العارض في نجد عن مولد طفل للشيخ عبد الوهاب فبشر به والده فسماه محمداً تبركاً وتيمناً باسم النبي محمد (ص) . ولم تحدث ضجة لمولد هذا الطفل ولم تقم له مراسم كبيرة ، ولم يفكر احد من الناس بأنه سيكون لهذا الطفل اسم في فم الزمان ، وعنوان مجد خالد لهذه الاسرة ، وعبقرية فذة للإسلام .

نشأته

تفتحت عين هذا الطفل كما تفتحت عيون آلاف من اطفال قبيلته عـــلى مناظر البادية الخلابة الواسعة الصفاء، ولكنها لم تلهه في اللعب كما ألهت غيره من الأطفال، بل وهبته بصفائها ذهناً وقاداً وحدة ادراك وقوة ذكاء وسرعة حافظة، واكسبته الواناً من الصور المليئة بالمشاهدات والغاصة بدقة الملاحظات.

ورأى النور في بيت عماده العلم والايمان والقضاء والزعامة الدينية، فلم تقع عيناه الا على قاض او فقيه او طالب علم، فأبوه كان قاضي العيينة وعالمها الديني ، وعمه ابراهيم بن سليمان كان مجتهداً فقيهاً، وابن عمه عبد الرحمن بن ابراهيم كان عالماً متطلعاً، واخوه الأكبر سليمان كان من طلاب العلم البارزين المجدين في طلبه .

وترعرع في ظل رعاية اب فياض في العلم ، ولم يترك داره ليذهب الى المكاتب ، كما يفعل الصبيان الآخرون ، بل كانت داره هي المدرسة ، وابوه هو

المعلم الأول . وقد حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العاشرة، ثم قرأ مبادىء الصرف والنحو وقواعد اللغة العربية وبعض كتب الفقه والحديث على مذهب الامام احمد بن حنبل ، (الذي هو اكثر المذاهب المعروفة تمسكاً بالقرآن والسنة النبوية) وبعض كتب التفسير . وكان يسعى دائماً لتفهم ما يقرأ تفهماً دقيقاً ، عن روية وتبصرة ، وذلك ما اثار اعجاب والده بحدة فهمه وادراكه لدقائق الامور فاستبشر به خيراً وتفرس فيه النبوغ وكتب الى احد اصدقائه مكبراً اياه .

وكان الفتى حريصاً على المزيد من طلب العلم، فأخذ يواصل دراساته على رجل يدعى الشيخ عبد الرحمن بن احمد من اهل بريدة، هاجر من بلده إلى حريملا، ثم إلى العيينة، فلازمه الفتى، واتم عليه دراسة علوم اللغة العربية، كما درس عليه علم الحديث من كتابي صحيح البخاري ومسند الامام احمد بن حنبل .

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره اتبع الشيخ حسان التميمي في بلاد القصيم وتتلمذ لــه في علم الفقه والتفسير، ولما اجتمع له شرطا : العلم وبلوغ سن الرشد رآه ابوه اهلاً للتقدم في الصلاة فأقامها ثم زوّجه بفتاة من قومه .

وما كاد يبلغ العشرين من عمره حتى ظهرت عليه علامة النجابة بأبهى واوضح صورها، وتوسعت مداركه وارتقى تفكيره وتوقد ذهنه واشتد ذكاؤه . فأدرك ما كان عليه قومه من الضلال وتفشّي البــدع وما كانت عليه بلاده من حالات الفوضى والانحلال . فلم ترقــه الطريقة التي كان يسير عليهــا علماء الدين في نجد، وهي طريقة السكون والهدوء، فجاشت نفسه بما تجيش به نفس كل مصلح غيور على دينه وامته، وعقد العزم على انتهاج منهج السلف الصالح بالدعوة لنبذ البدع وتطهير ما علق بالاسلام من الأوهام والخرافات وانقاذ المسلمين من الضلال، فبدأ يستخدم فصاحته وعلمه في مناقشة انداده واضرابه ومن كان اكبر منه سناً، في وجوب محاربة فساد الحالة ، وينكر عليهم كثيراً من الامور المغايرة للتعاليم الصحيحة للدين الاسلامي، وقد استحسن البعض منهم ما كان يدعو اليه ولكنه لم يجد منهم اذناً صاغية واستعداداً للقيام بمساعدته والخف لنصرته ورفع اصواتهم الى جنب صوته .

رحـــلات

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الرحـــلة الأولى

لما ادرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب بثاقب بصيرته ، تقاعس قومه عن سماع صوت الحق وان القول لا يغني شيئاً، عقد العزم على الابتعاد عن جو نجد المليء بالجهل المطبق، جاعلاً وجهته الديار المقدسة في الحجاز لغرضين، اولهما : اداء فريضة الحج، وثانيهما : مواصلة طلب العلم والسعي الى حملته للتزود بجانب اكبر من المعرفة والوقوف على دقائق اصول الدين، حتى يتمكن بواسطتها من محاربة تلك البدع ، وقرع الحجة بالحجة ودحض الدليل بالدليل .

فسأل أباه الحج والاستزادة في طلب العلم فأذن له بذلك، ووفر له اسبابه . فأمّ الشيخ مكة المكرمة ، وكان لا يزال في مطلع الشباب فشهد موسم الحج وادى فروضه ومناسكه . ثم اجتمع ببعض علماء الدين في مكة، واخذ عنهم شيئاً من العلم ، ثم توجه إلى المدينة المنورة، فزار مرقد النبي (ص) واجتمع بكثير من الشيوخ الأتقياء والعلماء، فأخذ الفقه عن المحدث السيد محمد حياة السندي، وبعض العلوم الدينية الأخرى على الفقيه النجدي الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن يوسف آل سيف[1] ، فأجازاه، وبعد ان مكث في المدينة قرابة الشهرين انكر استغاثة بعض الناس عند مرقد النبي (ص) بعبارات وكلمات تقرب من الشرك، فاستنكر ذلك وترك المدينة بعد ان ادرك الغرضين وحقق الغايتين وذلك عام ١١٣٦هـ ١٧٢٣ م .

(١) آل سيف كانوا رؤساء بلدة المجمعة الواقعة في ناحية سدير من نجد .

الرحلة الثــــانية

عاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الحجاز إلى العيينة وعكف على متابعة دراسته على ابيه، ومباحثته في الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل، وكان يدون مباحثه ودروسه بيده، وكان سريع الكتابة حسن الخط، بحيث كان يخط بالخط البديع الجميل في المجلس الواحد كراساً واحداً من غير سآمة ولا نصب .

ولم يكف عن المجاهرة بآرائه وعن الدعوة إلى مبادئه، بوجوب الرجوع الى تعاليم الدين الصحيحة، ولما يمكث في العيينة كثيراً حتّى اشتدت معارضة بعض اهليها له وأخذوا يقابلونه بالاستهزاء والسخرية ويوغرون صدور اولي الشأن على عدائه ويحرضون رعاع الناس على الطعن به وايذائه، فوقع من اجل ذلك خلاف بين اسرته وبين مناوئيه واشتد حتّى كادت ان تقع الفتنة ، فرأى الشيخ ان انجع واحسن وسيلة لتهدئة تلك الحالة: الابتعاد عن ذلك الجو والارتحال الى بعض البلاد الاسلامية الاخرى والاتصال بمن فيها من اعلام الدين للحصول على زاد من العلم اوفر واكثر ودرس حالة المجتمع الاسلامي . فترك العيينة في اواخر عام ١١٣٦ هـ ١٧٢٤ م ومر بطريقه في الاحساء واجتمع بعالمها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي، فأطلعه الشيخ المذكور على كراريس كان قد استخلصها من صحيح البخاري وعلق عليها في المسائل التي تختص بكيفية الايمان بالله، وكانت مغايرة لما كان يعتقده بعض علماء الاحساء، فأعجب بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب اعجاباً كثيراً ثم قصد العراق.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في البصرة

واول مدينة حل بها في العراق هي مدينة البصرة، حيث اجتمع بأحد علمائها الاجــلاء الشيخ محمد المجموعي ونزل في مدرسته الواقعة في محــلة المجمعة

(احدى محلات البصرة الشهيرة) ولم يعرّف نفسه لأحد. ولم يظهر الا بمظهر طالب علم بسيط. وصار يثابر على الدرس بجد ونشاط الى ان عرفه بعض من تجار نجد، فأرادوا التقرب اليه فلم يعرهم انتباهاً واهتماماً، فأخذ اولئك التجار يحدّثون الناس عن مدى علمه ومقدار فضله وفي الوقت نفسه ذكروا لهم ما كان يدعو اليه الشيخ محمد في نجد من نبذ البدع وترك المنكرات، وحذروا اهالي البصرة من دعوته. فرفع اهالي البصرة امره الى متسلم البصرة عمر آغا فأرسل المتسلم المذكور رئيس شرطته ليأتيه بالشيخ محمد، فلما اجتمع به، وجده على جانب كبير من العلم والفضل ورجاحة العقل فأكبره وأكرمه واجله اجلالاً وافراً وهيّأ له مسكناً ومؤنة وصار يتردد لزيارته في داره، ويحث الأهلين على صحبته والاقتباس من فيض علمه، فالتفّ حول الشيخ جم غفير من اشراف واعيان وعلماء البصرة منهم الشيخ انس بن درويش(1) والشيخ شهاب الدين الموصلي قاضي البصرة.

وصارت الناس تزدحم لسماع دروس الشيخ محمد وحضور مباحثه حتى كان ينصب له كرسياً عندما يريد التحدث إلى الناس ويحدق به المستمعون من كل جانب، وكان الشيخ محمد المجموعي وأولاده لا يفارقون المحاضرات والدروس التي يلقيها وكانوا يستفيدون منها فائدة جمّة. وكان الشيخ يرى ويسمع عند بعض الجهال من الخرافات الكثيرة فهاله ما رآى وما سمع من انتشار البدع والافراط في تقديس قبور الأولياء والصالحين والتوسل بها إلى درجة العبادة، وصرف الحقوق الربانية لغير الله. فبدأ بانكار ذلك، وانطلق يدعوُ الى تركها. وقد كبر وعز على بعض أهالي البصرة ان يسفّه الشيخ آراءهم ويخرجهم عما وجدوا عليه آباءهم، فأخذوا يوجهون اليه الاسئلة المحرجة ليوقعوه بالشبهات ولا سيما في ما يختص بقداسة الأولياء والتوسل بقبورهم. فكان يجيبهم بأجوبة ناضجة دقيقة ناتجة عن عمق وروية بحيث تزيل الالتباس وتوضح الحق

---

(1) الشيخ انس هو احد جدود اسرة آل باش اعيان الشهيرة بالبصرة والتي ترجع بنسبها الى العباس ابن عبد المطلب عم النبي (ص).

وتدفع الشبهات . وكان من ضمن اجوبته عندمـــا يسأل عن ذلك قوله : « لا تصلح العبادة كلها الا الله وحده دون سواه ، ويخطيء من يدعو غيره . وان قداسة الأولياء واحترامهم هو باتباع هديهم وسلوك منهجهم لا بتقديس قبورهم » .

فأضحت للشيخ منزلة كبيرة في نفوس مستمعيه وعلا اسمه وارتفع صيته وكبر مقامه وكثر مريدوه . وقد دبَّ دبيب الحسد بنفوس اعداء الشيخ في البصرة واخذوا يتربصون به الدوائر .

ولما نقل عمر آغا عن منصب متسلمية البصرة عام ١١٣٨ ﻫ ١٧٢٦ م ، وحل محله جرجيس آغا نحّى جرجيس آغا قاضي البصرة شهاب الدين عن كرسي القضاء وعيّن محله قاضياً آخر يدعى حسين الاسلامبولي ، فانتهز اعداء الشيخ هذه الفرصة ووشوا به لدى القاضي الجديد لحمله على الفتك به او الحط من كرامته مدعين: بأن الشيخ يتحدث للناس بأحاديث غريبة ويفسر القرآن بتفاسير مغايرة للدين والشريعة الاسلامية ، فبهت القاضي الجديد لسماعه هذا الخبر ، وارسل الى الشيخ يطلب مقابلته فتقبل الشيخ ذلك الخبر برحابة صدر . ولمّا قدم القاضي لزيارة الشيخ في داره ومعه تلاميذه وثلة من حاشيته خف الشيخ لاستقبالهم الى باب الدار وعانق القاضي واجلسه في صدر المجلس . وبعدما استقر بالقاضي المقام خاطب الشيخ قائلاً : « لقد بلغني عنك ايها الشيخ انك تحدث الناس بأحاديث لا تعهد في كتب السنة وتفسر الكتاب بوجوه لم ينزلها رب السماء . أتريد ان تحدث امراً في الدين ؟ ام اشتبه عليك طريقه ؟ فعليك ان تمتنع عن تلك الشبهات الواهية والا فيهدر دمك وتهتك حرمتك » . فأجابه الشيخ معتذراً وحلف له بالله ، بأنه لم يقل شيئاً مما نقل اليه. واخذ يظهر الاخلاص ويُبدي براءته من اتيان البدع ومخالفة السنة والكتاب . ثم قال له : « اني رجل غريب طالب علم قد حللت ضيفاً بأرضكم فان رفقتم بي فمثلكم من يكرم الضيف وان اسأتم لي فـــلا حيف ولا ضرر . » فلما سمع القاضي من الشيخ هذه الكلمات لم يشك في صدق لهجته وصحة كلامه فاعتذر اليه مما بدا وآمنه وطلب اليه ان يصحبه الى داره ، فذهب معه وقام القاضي

باكرامه . وبعد ثلاثة ايام ارسل اليه القاضي يطلب منه النزول عنده في داره ليتولى في مدرسته تدريس اللغة العربية والاحكام الشرعية .

وكان القاضي المذكور مشهوراً بمعرفة علم الهيئة والهندسة، فطلب اليه الشيخ ان يعلمه شيئاً من ذلك، فقرأ عليه شرح المأمون على كتاب اقليدس وكتابي المجسطي والجمقيمني في الهيئة .

وكان اتصال الشيخ مع القاضي المذكور على هذا الشكل قد زاد في سخط اعدائه وأثار في نفوسهم كوامن الحسد مرة ثانية، فتآمروا عليه وعقدوا العزم على الايقاع به ، فجاءه قسم منهم ظهراً وعلامة الشر بادية في وجوههم وهددوه بالقتل او الرحيل من البصرة ، فآثر الشيخ السلامة والنجاة بنفسه فغادر البصرة متوجهاً الى مدينة الزبير مشياً على الأقدام مخلوع النعلين ، طاوي الحشا ، ظامىء الشفتين في وقت الهجير ، فلما توسط الطريق خارت قواه من شدّة العطش والحر حتى عجز عن مواصلة السير ،وكاد ان يموت لو لم يوافه رجل مكاري من اهالي الزبير يُدعى ابا حميدان فسقاه الماء واركبه على دابته واوصله الى مدينة الزبير سالماً .

وكان هذا اول عناء لقيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سبيل دعوته واول نازلة نزلت به ، ومع ذلك فلم يزده هذا الا ثباتاً في دعوته ورسوخاً على عقيدته وازدراءً للباطل .

ولما وصل الشيخ مدينة الزبير ، همّ بالسفر إلى الشام للاتصال بعلمائها والتزود من علمهم، ولكن وافته الأنباء بانتقال والده الى حريملا . وسبب ذلك انه لمّا وقع الوباء المشهور في العيينة عام ١١٣٨ هـ ١٧٢٤ م الذي افنى اغلب سكانها كان من ضمن ضحايا ذلك الوباء صاحب العيينة عبد الله بن معمر نفسه، فتولى الحكم من بعده حفيده محمد بن حمد الملقب بخرفاش[1] فوقع خلاف بين الأمير الجديد وبين القاضي الشيخ عبد الوهاب ادّى الى تنحية القاضي عن

(١) خرفش الشيء اي خلطه .

منصب القضاء وتعيين قاضٍ آخر مكانه فلم يطب بعد هذا للشيخ عبد الوهاب المقام في العيينة فتركها مع اسرته وقصد حريملا فرحبت به حريملا وولّته قضاءها .

العودة الى حريملا

اما الشيخ محمد فحالما وقف على هذا النبأ صرف النظر عن السفر الى الشام، وعقد العزم على العودة الى نجد لمقابلة والده والاطمئنان عليه في حريملا وقد سلك طريق الحساء، ونزل في مدينة الحساء على صديقه عالم الحساء الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي، واقام لديه اياماً حافلة بالبحث والمطالعة . ثم ترك الحساء واجتاز صحراء الصمان حتى وصل مدينة حريملا واستقر فيها الى جانب والده يقرآن ويتدارسان العلوم ، معقولهـا ومنقولها ، وكان الشيخ محمد يظهر لوالده انكاراً شديداً لما يأتيه الجهال من البدع والشرك في الاقوال والافعال .

ما اكتسبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب

من التجارب والعبر والمواعظ

في رحلته الثانيـــة

استنكر الشيخ محمد عبد الوهاب اثناء رحلته الثانية غاية الاستنكار ما كان يقوم به بعض الفرق من المسلمين امثـــال النقشبندية والمتصوفة والدراويش وغيرهم من تقديس قبور الاولياء والصالحين الى درجـــة تدنو من العبادة . ومما زاده استنكاراً تأيد ومناصرة بعض حكام المسلمين لهذه البدع .

وقد لمس وشاهد بعينه ضعف المسلمين وعجزهم عن مقاومة السلطات الحاكمة المنحرفة بمشربها عن الدين الاسلامي حتى اصبحوا ضحية رخيصة للطامعين . فلم يطق صبراً على احتمال ذلك .

فدفعته فكرة ايمان قوية ورأى لا سبيل لانقاذ المسلمين عما هم فيه الا الرجوع الى تعاليم الدين الاسلامي الحنيف الغير ملوث ولا مشوب بالبدع والخرافات والعودة الى نصوص كتاب الله المجيد واحاديث الرسول الكريم الصحيحة والسير على طريقة السلف الصالح وتوحيد كلمة المسلمين والابتعاد بهم عن التفرقة البغيضة ، ومحاربة البدع والخرافات التي ادخلت على الاسلام عبر العصور الغـــابرة والابتعاد عن تأويلات بعض الناس

المتلبسين بلباس أهل الدين الذين اولوا الدين لمقاصدهم ولمقاصد اسيادهم كما يحلوا لهم ويطيب . وقد اضاعوا بتأويلاتهم تلك كثيراً من حقيقة الدين الاسلامي واندفعوا وراء مطامعهم ومصالحهم الخاصة غير مقيمين وزناً للنصوص الصريحة الواردة بكتاب الله المجيد ولا لاحاديث وسنة الرسول الكريم الصحيحة الواضحة .

فعقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب العزم بعد — الاتكال على الله — القيام بكل قواه المستمدة من عقيدته الصلبة بالدعوة لتوحيد الله تعالى والرجوع الى تعاليم الدين الاسلامي الصحيحة ، ولمحاربة تقديس الاولياء وجعلهم واسطة بين الله وعباده ، والمناداة بهدم اضرحة ومزارات الاولياء والصالحين وازالة معالمها كي لا يفتتن بها ضعاف الايمان من المسلمين . لان النبي ﷺ قد حارب بدعة تقديس الهياكل وعبادة الاصنام الموروثة من الجاهلية .

ثم رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان يقرن عمله هذا ايضاً بمحاربة الميوعة والبهرجة في المظهر والملبس وطريقة العيش والتنعم بالملذات الدنيوية الممجوجة .

وكان هدفه من ذلك :

أولاً : ان يتمسك العرب بوحدانية الله تعالى الذي هو وحده مصدر كل شيء في الوجود وحده .. وحده لا شريك له والذي لاتصح العبادة لاحد سواه .

ثانياً : تجديد فكرة القوى العربية على اساس ديني ثابت ناسباً انحراف العرب عن خط السير الاسلامي وانقسامهم الى شيع وفرق متعددة وابتعادهم عن خلقهم العربي الاصيل سبب تلاشيهم الذي جعلهم في متناول النفوذ الغير عربي .

ثالثاً : ان يجعل من بلاد العرب موطن الاسلام الاول مصدر بعثه الجديد ولا طريق لذلك الا ان يتمرس ابناؤها على حياة الرجولة الحقيقية القاسية حتى يسهل عليهم فيما بعد ذلك الكفاح والجهاد المرير الى ان يعودوا بالتعاليم الاسلامية كما بدأت على ايديهم .



الشيخ محمّد بن عَبْد الوَهّاب

في حريملا

حريمـــلا

حريملا بلدة تقع بقرب مدينة سدوس اول بلاد اليمامة من جهة الغرب، وكانت اراضيها ملكاً لآل ملحم امراء العيينة .

وفي سنة ١٠٤٥ هـ ١٦٣٣ م وقع اختلاف بين آل حمد من بني وائل وبين آل مدلج (من التويم) فخرج علي بن سليمان بن حمد آل ابي رباع واشترى حريملا من حمد بن عبد الله آل ملحم ، ونزلها هو وبنو عمه سويد ابن راشد آل حمد، ونزلها معهم آل عدوان وآل مبارك والبكور وغيرهم من بني وائل وغرسوها .

وعاد الشيخ محمد الى نجد من رحلته الثالثة الطويلة التي قضاها في انحاء كثيرة من العالم الاسلامي اوائل عام ١١٥٢ هـ ١٧٣٨ م ، وقد مكنته هذه الرحلة من الاتصال بطائفة كبيرة من المفكرين وذوي الميول الاصلاحيـة ودرس عليهم كثيراً من كتب اللغة العربية والفقه والحديث والتفسير والحكمة والعلوم الاخرى وشاهد بنفسه ما كان عليه بعض علماء الدين من الجهل الفاضح بأحوال الدين وفروعه وفرائضه وانصرافهم الى مهـام الدنيـا ومتابعتهم لأهواء الحكام وميول السلاطين المستهترين بشؤون الحكم السالكين سبل الاستبداد .

فأضافت كل هذه الدراسات معلومات على معلوماته وهيأ له هذا التطواف الطويل المليء بالأحداث تجارب حافلة بالعبر والمواعظ وافاضت نفسه بمعرفة

الحياة ورسمت فيها صوراً لم ترتسم لغيره. فهم الحياة على شكلها فهماً حقيقياً ، فهم خيرها وفهم شرها ، وهذا العلم الحقيقي للحياة زاد من صلابته لعقيدته وقد عاهد ربه على اعلاء كلمته ونصرة دينه وقرر البقاء في حريملا تحت كنف ابيه الذي كبر سنه وجثت عليه الشيخوخة بثقلها الموحش يساعده في شيخوخته ويتفرغ للقيام بدعوته الاصلاحية لانقاذ مجتمعه الاسلامي من الأمراض والأسقام التي انتابته ومحاربة البدع والخرافات التي احاطت به .

الشيخ محمد في كنف ابيه

لازم الشيخ محمد اباه براً به واشرف على خدمته دون ان يخلد الى السكون والراحة او يلزم جانب الهدوء، بل استمر على عادته يواصل الدرس والتدريس والقراءة والبحث مع ابيه ومع بعض الناس الآخرين ويقرر لهم عقيدته في حقيقة الاسلام وما ينطوي عليه من المعاني السامية والحكمة الرفيعة . وكان ابوه كشيوخ بلده في ذلك الحين يحفظ علماً مما في كتب الفقه التي الفها المتأخرون، ولما سمع من ابنه علماً عميقاً وكلاماً لا عهد له بمثله انصاع لما يدعو اليه وقبل مقالته وصدقها ولكنه لم يجاهر بها الا امام قلة من الأصحاب الذين يثق بمروءتهم وكتمانهم السر، وفسح لابنه المجال اول الامر باقامة حلقات التدريس ليبيّن للناس ما هم عليه من الخطإ والضلال، فاشتدت حماسة الشيخ محمد للعمل في سبيل انقاذ قومه ، وأخذ يجاهر بمبدأه ويدعو الناس للعودة الى الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، غير ان مجتمع نجد لم يكن يومئذ مستعداً لقبول ما يدعو اليه الشيخ لأن تلك الدعوة كانت تفوق مدارك القوم فأخذوا يعارضونها ويوجهون اليها الطعن ويكيلون النقد لصاحبها .

فخشي الوالد عواقب الامر ونصح لولده بلزوم الاعتدال والتأني وعدم الاندفاع في دعوته، وبالعدول والكف عن توجيه اللوم والطعن لأهل نجد في ما يعتقدون خوفاً عليه من الاذى والاصابة بالمكروه، فتردد الشيخ محمد قليلاً

في بادىء الأمر عن استماع نصيحة والده، ولكنه اضطر اخيراً تجاه اصرار والده المتواصل وهو يراه في تلك الحالة من الضعف والقدم بالسن الى الاعتدال في القاء دروسه . وقد تزوج في خلال تلك الفترة وبقي في شبه عزلة حوالي سنتين الى ان توفي والده الشيخ عبد الوهاب في اواخر عام ١١٥٣ هـ ١٧٣٩ م وتولى منصب القضاء في حريملا محل والده اخوه الشيخ سليمان .

الشيخ محمد يستأنف
دعوته في حريملا

ما كاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب يسترد حريته بعد وفاة ابيه حتى جاشت نفسه الكبيرة المليئة بالايمان الصادق، وابى عليه ضميره ان يبقى عاكفاً على السكون ، راكناً للهدوء ، فانطلق من مكمنه ناشراً دعوته جاهراً بها للناس حاثاً اياهم على ترك البدع ونبذ الخرافات منكراً عليهم اشد الانكار ما يفعله الجهال . مستهجناً طرق الضلال في الأقوال والافعال ، منحياً عليهم باللائمة لتقاعدهم عن الفروض الدينية واهمالهم لقواعد الدين الاسلامي، مبالغاً في تعنيفهم على ذلك في اوسع نطاق، لا يخشى عدواناً ولا يحذر زاجراً ولا يخاف في الله لومة لائم .

ثم اخذ يرسل دعاته ورسائله الى بلدان العارض لنشر دعوته، وهذه اول رسالة ارسلها لأهل العارض يدعوهم فيها الى الايمان وهي بمثابة البيان الأول ، وهـــذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فاعلموا، رحمكم الله، ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس بشيراً ونذيراً ، مبشراً لمن اتبعه بالجنة ، ومنذراً لمن لا يتبعه بالنار . وقد علمتّم اقرار كل من له معرفة ، ان التوحيد الذي بينه للناس هو الذي أرسل الله به رسله ، وان الذي عليه غالب الناس من الاعتقادات في الصالحين وفي غيرهم هو الشرك ، الذي قال الله فيه : ان من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار .

فاذا تحققتم هذا ، وعرفتم انهم يقولون ، لو يترك اهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله ؛ ونحن ما جئناكم في التكفير والقتال ، لكن لننصحكم بهذا الذي قطعتم انه دين الله ورسوله ، ان تعلموه وتعملوا به ان كنتم امة محمد باطناً وظاهراً .

وأنا أبين لكم هذا بمسألة القبلة : ان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأمته يصلون ، والنصارى يصلون ، ولكل قبلته ، صلى الله عليه وسلم ، وأمته ، بيت الله . وقبلة النصارى ، مطلع الشمس . فالكل منا يصلي ، ولكن اختلفنا في القبلة ، ولو ان رجلاً من أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، يقر بهذا ، ولكن يكره من يستقبل القبلة ، ويحب من يستقبل الشمس ، أتظنون ان هذا مسلم ؟ وهذا ما نحن فيه ، فالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله بالتوحيد وان لا يدعو مع الله احداً ، لا نبي ولا غيره ، والنصارى يدعون عيسى رسول الله ، ويدعون الصالحين ، يقولون ليشفعوا لنا عند الله . فاذا كان كل (مطوع) مقراً بالتوحيد ، فاجعلوا التوحيد مثل القبلة واجعلوا الشرك مثل استقبال الشرق ، مع ان هذا اعظم من القبلة .

وأنا أنصحكم وأنخاكم (استثير نخوتكم) لا تضيعوا حظكم من الله ، وتحبوا دين النصارى على دين نبيكم ، فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه انه عرف ان التوحيد دينه ودين رسوله ، وهو يبغضه ويبغض من اتبعه ، أتظنون ان الله يغفر لهذا ؟

والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة : وأما القلب الخالي من ذلك ، فلا حيلة لنا فيه » .

شاع خبر الشيخ محمد في نجد كلها وتحدث الناس عن دعوته ولهجوا بذكرها ، فانقسم الناس فيها قسمين : قسم صدقها وانحاز اليها وقسم آخر كذبها ونصب لها العداء ، ولعل اكبر من ربحتهم الدعوة يومئذ الى جانبها هم امير العيينة عثمان بن معمر التميمي وثنيان ومشاري ولدا سعود في الدرعية وغيرهم.

كما انقسم أهل حريملا نفسها بالنسبة الى الدعوة قسمين : مؤازرين مناصرين ومخالفين معادين . وكان الشيخ في حريملا مستمراً على القاء محاضرات الدرس في علوم الحديث والتفسير ، وكان مريدوه مداومين على الحضور ملازمين مجلسه لاستماع خطبه ومواعظه مزدادين به تعلقاً وله تعظيماً وتوقيراً . واما خصومه ومخالفوه فكانوا متصدين لعدائه والحط من شأنه وتحريض العامة عليه وهم الأكثرية .

وكانت الرئاسة يومئذ في مدينة حريملا تتنازعها اسرتان هما من قبيلة واحدة (من آل ابي رباع) ولم يستقم امر البلد لاحد من رؤساء تينك الاسرتين فكان الأمر فيها يدنو من الفوضى او هي الفوضى بذاتها . وكان لاحدى الاسرتين عبيد يقال لهم (الحميان) قد اشتهر بين الناس فسقهم وفسادهم ، فزجرهم الشيخ محمد وحذرهم ونهاهم فلم ينتهوا ، فأراد الشيخ ان يجعل حداً لفسادهم وفجورهم ، فكبر ذلك عليهم وهمّوا باغتيال الشيخ فجاءوا داره تحت جنح الليل وحاولوا تسلق جدرانها وبصر بهم الجيران فصاحوا بهم ومنعوهم عن تسلق الجدران وهموا بهم ليقتلوهم فلاذ اولئك العبيد بالفرار ونجا الشيخ من القتل .

ترك الشيخ لحريملا

عندئذ انكشف للشيخ ان لا بقاء له بعد هذا في حريملا ، وان من الخير

له ان يهاجر الى العيينة مسقط رأسه ودار نشأته وموطن اسرته وذويه واصدقائه .

وكان امير العيينة عثمان بن معمر تربطه مع الشيخ روابط صداقة قديمة، وكلاهما ينتسب الى قبيلة بني تميم، وفوق كل ذلك فقد سبق لعثمان بن معمر ان اعلن تصديقه وتأييده للدعوة التي يدعو اليها الشيخ محمد .

فما كاد عثمان بن معمر يرده خبر عزم الشيخ على القدوم الى العيينة حتى رحب بذلك كل الترحيب، فترك الشيخ حريملا وقصد العيينة وكان ذلك في عام ١١٥٦ هـ ١٧٤٣ م .

فترة بقاء الشيخ محمد
في حريملا واثرها

ان الفترة التي قضاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حريملا والتي لم تتجاوز الأربعة اعوام هي الفترة التأسيسية الاولى من مراحل الدعوة، فقد كان الشيخ خلالها قد اعد نفسه للوثبة الكبرى التي هيأتها له العناية الالهية وألهمته اياها القدرة العلية .

الشيخ محمّد بن عَبد الوهّاب

في العيينـــة

العيينة وامراؤها آل ملحم

كانت منطقة العيينة ملكاً لقبيلة اليزيد التي ترجع في نسبها الى بني حنيفة من بكر بن وائل، فاشتراها منهم حسن بن طويق بن ملحم التميمي في اواسط القرن التاسع الهجري ، وانشأ عليها مدينة العيينة وتولى الرئاسة فيها .

حسن بن طويق بن ملحم

يُعتبر حسن بن طويق المؤسس الأول لامارة الاسرة التي عُرفت فيما بعد بـ « آل معمر » في العيينة وكانت منطقة حكمه تمتد من الوصيل الى بلد الجبيلة الى بكين (الجبلين المعروفين في تلك الناحية) الى حريملا .

حمد بن حسن

ولما توفي حسن تولى الامر بعده ولده حمد . ومن اهم الحوادث التي جرت في عصر حمد التجاء الامير ربيعة بن مانع امير الدرعية اليه في العيينة عندما اضطر الى الفرار من الدرعية تخلصاً من مضايقة ولده موسى .

معمّر بن حمد

وبعد وفاة حمد آلت امارة العيينة إلى ولده معمر (الذي انتسبت اليه

اخيراً أسرة آل معمر) . وكان معمر من افاضل الرجال ومن احسن الحكام سيرة واستقامة .

احمد بن معمر [1]

خلف معمراً على الرئاسة ولده احمد وبقي مديراً لها الى ان وافته المنون عام ١٠٥٦ هـ ١٦٤٦ م .

ناصر بن احمد بن معمر

حكم العيينة بعد وفاة احمد ولده ناصر ، ولم يستقر بالحكم طويلاً حتى ثار عليه عمه دواس بن حمد بن احمد ونحاه عن الحكم واستخلصه له ، وذلك عام ١٠٥٧ هـ ١٦٤٧ م .

دواس بن حمد بن احمد

تولى الحكم بعد تنحية ناصر دواس بن حمد ، ولكن ايام امارة دواس ابن حمد على العيينة لم تدم طويلاً حتى ثار عليه ابن اخيه محمد بن احمد ابن معمر فقتله عام ١٠٥٨ هـ ١٦٤٨ م وتولى الأمر بعده .

محمد بن احمد بن معمر

تمت الرئاسة في العيينة لمحمد بن احمد بن معمر بعد مقتل دواس ؛ وبقي يدير شؤونها الى ان توفي عام ١٠٧٢ هـ ١٦٦١ م .

---

(١) بعد ان تولى احمد تغير اسم آل ملحم حكام العيينة واصبحوا يدعون (بآل معمر) .

عبد الله بن محمد بن حمد آل معمر

بعد وفاة محمد تولى شؤون الحكم في العيينة ولده عبد الله، وكانت ايام عبد الله في العيينة من احسن الايام وكان هو من اشهر الحكام لم يذكر مثله في زمانه ولا قبل زمانه في نجد من حيث ابهة الرئاسة وقوة الملك وكثرة العدة والعدد والعقار والثروة وكانت العيينة في عصره من اجل بلدان نجد واكثرها خيراً . ودام حكمه الى عام ١١٣٨ ﻫ ١٧٢٦ م حيث وقع في العيينة الوباء المشهور الذي افنى اكثر اهلها وكان الامير عبد الله اميرها احدى ضحايا ذلك الوباء .

محمد بن حمد بن عبد الله آل معمر
الملقب بخرفاش

بعد وفاة عبد الله ولي الرئاسة في العيينة حفيده محمد بن حمد بن عبد الله، وما كاد يستقر له الامر حتى جرى خلاف بينه وبين قاضي العيينة الشيخ عبد الوهاب بن سليمان آل مشرّف (والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) واستحكم ذلك الخلاف حتى اضطر الشيخ عبد الوهاب الى ترك العيينـة والهجرة الى حريملا بأهله وذويه في عام ١١٣٨ ﻫ ١٧٢٦ م .

واستمرت ايام محمد بن حمد في حكم العيينة الى ان ادركته الوفاة عام ١١٥٣ ﻫ ، ١٧٣٩ م .

عثمان بن حمد بن عبد الله آل معمر

وخلف محمداً في الرئاسة اخوه عثمان آل معمر وفي عصر هذا الأمير ترك الشيخ محمد بن عبد الوهاب حريملا وقصد مدينة العيينة مسقط رأسه

فرحب به عثمان أجمل ترحيب واستقبله بالاكرام والتبجيل وأنزله على الرحب والسعة.

حث الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأمير عثمان على النهوض لمناصرة الدعوة التي يدعو اليها وقال له: «اني لارجو ان انت قمت بنصرة كلمة «لا اله الا الله» ان يظهرك الله فتملك نجداً واعرابها». فآمن الأمير عثمان بالدعوة ووعد الشيخ بالمساعدة والنصرة والسير تحت لوائها. عندئذ أعلن الأمير عثمان بن معمر بين الرجال المقربين اليه تاييده للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته كما اوعز لأهالي العيينة بوجوب توقير الشيخ واكرامه واتباع اوامره وتجنب نواهيه واتباع ما يدعو اليه. فانتمى الى الدعوة كثير من أهالي العيينة بعد هذا الاعلان وازداد أتباعها واشتدت قوة وبأساً.

استقرار الشيخ في العيينة

اطمأن الشيخ الى مقامه في العيينة وارتاح كل ارتياح لما بلغه وناله من تأييد الأمير عثمان بن معمر لدعوته وعكف على القاء الدروس والتعليم وكانت حياته بالعيينة في بادىء الأمر حياة هدوء ووقار وكان يتعيش في داره معتزلاً المداخلة في شؤون السياسة وكانت حكمته وهيبته وفصاحته ومعرفته وعزة نفسه تضمن له العزة والاحترام، وقد تزوج الشيخ في العيينة من السيدة «الجوهرة» كريمة الأمير عبد الله بن معمر وعمة الأمير عثمان. وكان للشيخ في العيينة املاك يتعيش من ريعها اغنته عن العيش على مائدة الأمير عثمان.

استمر الشيخ على هذه الحالة مدة يواصل التدريس ويعظ الناس ويرشدهم للامر بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع الى صفاء الدين الاسلامي ويتشدد بالنكير وتوجيه اللائمة الى الذين ينعكفون على قبور الموتى من شيوخهم واوليائهم الصالحين وينادونهم ويتشفعون بهم دون الله. ويطعن بكثير من

البدع التي كان يروجها الجهال والمشعوذون والمخرفون ليفسدوا بها افكار الناس ويحرفوا اعتقاداتهم. والى جانب اشتغاله بالتدريس والتدوين وتعليم الطلاب تلك المبادىء ، كان يكاتب ويراسل بعض علماء الدين والقضاة الذين في نجد للدخول في الدعوة وجذب الأحزاب الى تأييدها ، ويجادل من الناحية الثانية الآخرين الذين انطلقوا لمقاومة الدعوة وصد الناس عن اتباع سبيلها ويدحض شبهاتهم ويكذب مفترياتهم .

وكان يومئذ لكل مدينة او قرية في نجد مرشدها الديني الخاص يعلم ابناءها القرآن ويؤم اهلها في الصلاة ويرشدهم في فروض الدين ويقضي بينهم في مشاكلهم الدينية . وكان معظم هؤلاء المرشدين الدينيين قد شبوا وشابوا على تقديس القبور والطواف بمشاهد الاولياء والصالحين وطلب المعونة والمساعدة منهم والاستغاثة بهم . فلما أظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته لمحاربة البدع ورفع صوته بها عالياً لنبذ تلك التقاليد التي الفوها وآمنوا بها والعودة الى توحيد الله والركون اليه وحده ، تكتلت هذه الفئة ضده وراحت تؤلب العامة عليه وتقذفه بالكفر والمروق عن الدين .

ودارت بين الشيخ وبين بعض هؤلاء مكاتبات ومساجلات حاول الشيخ خلالها جهده اقناعهم بصحة ما يدعو اليه وانه تابع لا مبتدع ولا يروم ويقصد من وراء ذلك غير اصلاح امر المسلمين وانقاذهم من هوة الجهل السحيقة ونجاتهم من الانغماس في البدع ، وهذه بعض النماذج من تلك الرسائل التي كان يرسلها الى تلك الفئة من الناس :

وهذه رسالة كتبها الى احمد بن محمد بن سويلم وثنيان ، وقال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى الاخوين : أحمد بن محمد ، وثنيان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، :

فقد ذكر لي عنكم ان بعض الاخوان تكلم في عبد المحسن الشريف يقول : ان اهل الحسا يحبون على يدك ، وانك لابس عمامة خضراء ، والانسان لا يجوز له الانكار الا بعد المعرفة ، فأول درجات الانكار معرفتك ان هذا مخالف لأمر الله .

وأما تقبيل اليد فلا يجوز انكار مثله ، وهي مسألة فيها اختلاف بين اهل العلم ، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس ، وقال : هكذا أمرنا الله نفعل بأهل بيت نبينا . وعلى كل حال فلا يجوز لهم انكار كل مسألة لا يعرفـون حكم الله فيها .

أما لبس الاخضر ، فانها احدثت قديماً تمييزاً لأهل البيت لئلا يظلمهم احد أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم . وقد أوجب الله لأهل بيت رسول الله ﷺ على الناس حقوقاً ، فلا يجوز لمسلم ان يسقط حقهم ، ويظن انه من التوحيد ، بل هو من الغلو .

وقيل انه ذكر عنه انـه معتذر عن بعض الطواغيت ، وهذه مسألة جليلة ينبغي التفطن لهـا ، وهي قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ... »[1] فالواجب عليهم — اذا ذكر لهم عن احد منكر — عدم العجلة ، فاذا تحققوه اتوا صاحبه ، ونصحوه ، فان تاب ورجع ، وإلا انكر عليه ، وتكلم فيه .

فعلى كل حال نبهوهم على مسألتين :

الاولى : عدم العجلة ، ولا يتكلمون إلا مع التحقق ، فان التزوير كثير .

الثانية : ان النبي ﷺ كان يعرف المنافقين بأعيانهم ويقبل علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله . فاذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم ، جاهدهم .

والسلام .

---

(1) سورة الحجرات آية ٦ .

وهذه الرسالة ارسلها الى اهل الرياض ومنفوحة، والى عبد الله ابن عيسى قاضي الدرعية وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد قال الله تعالى : « وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ »[1] . وذلك ان حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد » ، الله ارسل محمداً ﷺ ليبين للناس الحق من الباطل ، فبين ﷺ للناس جميع ما يحتاجون اليه في أمر دينهم بياناً تاماً ، وما مات ﷺ حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها. فاذا عرفت ذلك ، فهؤلاء الشياطين من مردة الانس ، الذين يحاجون في الله من بعد ما ستجيب له — إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة ان لا اله إلا الله، وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم ا— قاموا يجادلون، ويلبسون على الناس، ويقولون : كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الاموات ؟ آل فلان اهل ضيف ، آل فلان اهل كذا ، وكذا ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى « لا إله إلا الله » ، ويتبين ان الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر ، ودعاءهم كفر ينقل عن الملة ؟ فيقول الناس لهم : انكم قبل ذلك جهال ، لأي شيء لم تأمرونا بهذا ؟

وأنا اخبركم عن نفسي : والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم واعتقد من عرفني ان لي معرفة ، وانا ذلك الوقت لا اعرف معنى « لا إله إلا الله » ، ولا اعرف دين الاسلام قبل هذا الخير الذي منّ الله به، وكذلك مشايخي —

(١) سورة الشورى آية ١٦ .

ما منهم رجل عرف ذلك . فمن زعم من علماء « العارض » انه عرف معنى « لا إله إلا الله » أو عرف معنى الاسلام قبل هذا الوقت ، أو زعم عن مشايخه أن احداً عرف ذلك ــ فقد كذب ، وافترى ، ولبس على الناس ، ومدح نفسه بما ليس فيه . وشاهد هذا ان عبد الله بن عيسى ــ ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره اجل منه ، وهذا كلامه واصل اليكم ان شاء الله . فاتقوا الله عباد الله ، ولا تكبروا على ربكم ولا نبيكم ، واحمدوه سبحانه الذي منّ عليكم ، ويسر لكم من يعرفكم بدين نبيكم ﷺ ولا تكونوا من الذين بدلوا نعمة الله كفراً ، وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار .

وإذا عرفتم ذلك، فاعلموا ان قول الرجل : « لا إله إلا الله » نفي واثبات ، إثبات الالوهية كلها لله وحده ، ونفيها عن الانبياء والصالحين وغيرهم . وليس معنى الالوهية انه لا يخلق ولا يرزق ، ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله ! فان الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقرون بهذا ، كما قال تعالى : « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ؟ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ »(1) . فتفكروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار انهم مقرون بهذا كله له وحده لا شريك له . وإنما كان شركهم انهم يدعون الانبياء والصالحين ويندبونهم ، وينذرون لهم ، ويتوكلون عليهم ، يريدون منهم انهم يقربونهم الى الله ، كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى : « ... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَى .. »(2) .

إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من « الخرج » وغيرهم ــ مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وانهم يترشحون له ويأمرون

(1) سورة يونس آية ٣١ .
(2) سورة المزمر آية ٣ .

به الناس كلهم كفار مرتدون عن الاسلام . ومن جادل عنهم ، او انكر على من كفرهم ، أو زعم ان فعلهم هذا لو كان باطلاً فلا يخرجهم الى الكفر . فأقل احوال هذا المجادل انه فاسق ، لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه بل لا يصح دين الاسلام الا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم كما قال تعالى : « ... فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ... »[1] . ومصداق هذا انكم اذا رأيتم من يخالف هذا الكلام وينكره فلا يخلو : إما ان يدعي انه عارف ، فقولوا له : هذا الامر العظيم لا يغفل عنه فبين لنا ما يصدقك من كلام العلماء . اذا لم تعرف كلام الله ورسوله . فان زعم ان عنده دليلاً ، فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على اهل المعرفة ويتبين لنا انك على الصواب ونتبعك ، فان نبينا ﷺ قد بين لنا الحق من الباطل .

وان كان المجادل يقر بالجهل ، ولا يدعي المعرفة ، فيا عباد الله كيف ترضون بالافعال والاقوال التي تغضب الله ورسوله ، وتخرجكم عن الاسلام ، اتباعاً لرجل يقول : اني عارف ، فاذا طالبتموه بالدليل عرفتم انه لا علم عنده ، او اتباعاً لرجل جاهل ، وتعرضون عن طاعة ربكم وما بينه نبيكم ﷺ وأهل العلم بعده ، واذكروا ما قصه الله عليكم في كتابه لعلكم تعتبرون ، فقال : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ »[2] . وهؤلاء اهلكهم الله بالصيحة ، وانتم الآن اذا جاءكم من يخبركم بأمر رسول الله ﷺ اذا انتم فريقان تختصمون ، افلا تخافون ان يصيبكم من العذاب ما اصابهم ؟

والحاصل ان مسائل التوحيد ليست من المسائل العادية ، بل البحث عنها ، او تعلمها ، فرض لازم على العالم والجاهل ، والمحرم والمحل ، والذكر والانثى . وانا لا اقول لكم : اطيعوني ، ولكن الذي اقول لكم : اذا عرفتم

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ .

(٢) سورة النحل آية ٤٥ .

ان الله انعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد ﷺ والعلماء بعده فلا ينبغي لكم معاندة محمد ﷺ .

وقولكم : اننا نكفر المسلمين ، كيف تفعلون كذا ، كيف تفعلون كذا ؟ فإنا لم نكفر المسلمين ، بل ما كفرنا إلا المشركين .

والعجب كل العجب ، ان الذي يدعي المعرفة يزعم اني لا اعرف كلام الله ولا كلام رسوله ، بل يدعي اني اعرف كلام المتأخرين مثل « الاقناع » وغيره . وصاحب « الاقناع » قد ذكر ان من شك في كفر هؤلاء السادة والمشايخ فهو كافر . سبحان الله ! كيف يفعلون اشياء في كتابهم : ان من فعلها كفر ، ومع هذا يقولون : نحن اهل المعرفة ، واهل الصواب !

وكذلك ايضاً من جهالة هؤلاء وضلالتهم ، اذا رأوا من يعلم الشيوخ وصبيانهم ، او البدو شهادة ان لا إله إلا الله ، قالوا : قولوا لهم يتركون الحرام . وهذا من عظيم جهلهم ، فانهم لا يعرفون إلا ظلم الاموال . وأما ظلم الشرك فلا يعرفونه ، وقد قال الله تعالى : « ... إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . (١) واين الظلم الذي اذا تكلم الانسان بكلمة منه ، او مدح الطواغيت ، او جادل عنهم خرج من الاسلام ، ولو كان حائماً قائماً — من الظلم الذي لا يخرج من الاسلام بل : اما ان يؤدي الى صاحبه بالقصاص ، واما ان يغفره الله ؟ فبين الموضعين فرق عظيم .

وبالجملة ، رحمكم الله ، اذا عرفتم ما تقدم ، ان نبيكم (ص) قد بين الدين كله ، فاعلموا ان هؤلاء الشياطين قد احلوا كثيراً من الحرام : في الربا ، والبيع ، وغير ذلك ، وحرموا عليكم كثيراً من الحلال ، وضيقوا ما وسعه الله ، فاذا رأيتم الاختلاف ، فاسألوا عما امر الله به رسوله .

وسلام عليكم ورحمة الله .

---

(١) سورة لقمان آية ١٣ .

وهذه أرسلها الى عبد الرحمن بن ربيعة احد علماء اهل ثاذق ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الرحمن بن ربيعة سلمه الله تعالى ،

وبعد :

فقد وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة ، وتذكر ان مرادك اتباع الحق ، منها : مسألة التوحيد ولا يخفاك ان النبي ﷺ لما بعث معاذاً الى اليمن ، قال له : ان اول ما تدعوهم اليه ان يوحدوا الله ، فان هم أجابوك لذلك ، فأعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات ، الى آخره . فاذا كان الرجل لا يدعى الى الصلوات الخمس إلا بعدما يعرف التوحيد ويقاد له ، فكيف بمسائل جزئية اختلف فيها العلماء ؟

فاعلم ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل من اولهم الى آخرهم ، افراد الله بالعبادة كلها ، ليس فيها حق لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهم . فمن ذلك لا يدعى إلا إياه ، كما قال تعالى : « ... وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا »[1] . تدعوا مع الله احداً » . فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ، ثم دعا نبياً او ولياً عند قبره ، فقد اتخذ إلهين اثنين ، ولم يشهد إن لا إله إلا الله ، لأن الإله هو : المدعو . كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير ، أو عبد القادر او غيرهما ، وكما يفعل قبل هذا عند قبر زيد او غيره . ومن ذبح لله الف ذبيحة ، ثم ذبح لنبي او غيره ، فقد جعل إلهين اثنين ، كما قال تعالى : « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »[2] الآية . والنسك هو الذبح ، وعلى هذا فقس .

---

(١) سورة الجن آية ١٨ .

(٢) سورة الانعام آية ١٦٣ .

فمن اخلص العبادات كلها لله ، ولم يشرك فيها غيره ، فهو الذي شهد ان لا اله الا الله ، ومن جعل فيها مع الله غيره ، فهو المشرك الجاحد لقوله « لا إله الا الله » وهذا الشرك الذي ذكره قد طبق اليوم مشارق الأرض ومغاربها الا الغرباء المذكورين في الحديث (وقليل ما هم) وهذه المسألة لا خلاف فيها بين اهل العلم من كل المذاهب .

فاذا اردت مصداق هذا ، فتأمل باب « حكم المرتد » في كل كتاب ، وفي كل مذهب ، وتأمل ما ذكروه في الامور التي تجعل المسلم مرتداً ، يحل دمه وماله ، منها : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهـم كيف حكى الاجماع في « الاقناع » على ردته . ثم تأمل ما ذكروه في سائر الكتب ، فان عرفت ان في المسألة خلافاً — ولو في بعض المذاهب — فنبهني ، وان صح عندك الاجماع على تكفير من فعل هذا ، او رضيه ، او حاول فيه — فهذه خطوط المويسي وابن اسماعيل ، واحمد بن يحيي ، عندنا — في انكار هذا الدين ، والبراءة منه بدين أهله ، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه . فان استقمت على التوحيد وتبينت فيه ، ودعوت الناس اليه بعداوة هؤلاء ، وخصوصاً ابن يحيي ، وصبرت على الاذى من ذلك ، فأنت اخونا وحبيبنا ، وذلك محل المذاكرة في المسائل التي ذكرت ، فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع اليك .

والله اعلم .

وهذه ارسلها الى علماء اهل الدرعية عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن قال فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الله بن عيسى ، وابنه : عبد الوهاب ،

وعبد الله بن عبد الرحمن ، حفظهم الله تعالى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد ذكر لي احمد انه مشكل عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت ، مثل اولاد شمسان ، واولاد ادريس ، والذين يعبدونهم مثل : طالب وامثاله . فيقال اولاً : دين الله تعالى ليس لي دونكم ، فاذا أفتيت ، او عملت بشيء ، وعلمتم اني مخطيء ، وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم ، وان لم تعلموا ــ وكانت المسألة من الواجبات مثل : التوحيد ــ فالواجب عليكم ان تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله في تلك المسألة وما ذكر اهل العلم قبلكم ، فاذا تبين حكم الله ورسوله بياناً كالشمس ، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يرده لكونه مخالفاً لهواه ، او لما عليه اهل وقته ومشايخه ، فان الكفر كما قال ابن القيم في نونيته :

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما جاء الرسول به لقول فلان

فانظر لعلك هكذا دون التي قد قالها ، فتبوء بالخسران

ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يحل لكم الانكار على من افتى ، او عمل حتى يتبين لكم خطؤه ، بل الواجب السكوت والتوقف ، فاذا تحققتم الخطأ بينتموه ، ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة ، او مائة ، او مائتين اخطأت فيهن ، فاني لا أدعي العصمة وأنتم تقرون ان الكلام الذي بينته في معنى « لا إله إلا الله » هو الحق الذي لا ريب فيه . سبحان الله ! اذا كنتم تقرون بهذا فرجل بين الله به دين الاسلام ، وانتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه ، ولم يميزوا بين دين محمد ﷺ ، ودين عمرو بن لحي الذي وضعه للعرب ، بل دين عمرو عندهم ، دين صحيح ، ويسمونه : رقة القلب ، والاعتقاد في الاولياء ، ومن لم يفعل فهو متوقف لا يدري ما هذا ولا يفرق بينه وبين دين محمد ﷺ

وانا الى الآن اطلب الدليل من كل من خالفني ، فاذا قيل له : استدل او

اكتب ، او اذكر حاد عن ذلك ، وتبين عجزه . لكن يجتهدون الليل والنهار في صد الجهال عن سبيل الله ويبغونها عوجاً . اللهم ان كنتم تعتقدون ان كلامي باطل وبدعة مثل ما قال غيركم ، وان الاعتقـــاد في الزاهد ، وشمسان ، والمطيوية ، والاعتماد عليهم — هو الدين الصحيح ، وكل ما خالفه بدعـــة وضلالة ، فتلك مسألة أخرى .

اذا ثبت هذا فتكفير هؤلاء المرتدين ، انظروا في كتاب الله من اوله الى آخره ، والمرجع في ذلك الى ما قاله المفسرون والأئمة ، فان جادل منافق بكون الآية نزلت في الكفار ، فقولوا له : هل قال احد من اهل العلم ، أولهم وآخرهم : ان هذه الآيات لا تعم من عمل بها من المسلمين ، من قال هذا قبلك ؟ وايضاً فقولوا له : هذا رد على اجماع الامة ، فان استدلالهم بالآيات النازلة في الكفار على من عمل بها ممن انتسب الى الاسلام اكثر من ان يذكر . وهذا ايضاً كلام رسول الله (ص) فيمن فعل هذه الأفاعيل ، مثل الخوارج العباد الزهاد الذين يحقر الانسان الصحابة عندهم ، وهم بالاجماع لم يفعلوا ما فعلوا الا باجتهاد وتقرب الى الله . وهذه سيرة اصحاب رسول الله (ص) فيمن خالف الدين ممن له عبادة واجتهاد ، مثل تحريق علي (رض) من اعتقد فيه بالنار ، واجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم ، الا ابن عباس (رض) خالفهم في التحريق فقال : يقتلون بالسيف .

وهؤلاء الفقهاء من اولهم الى آخرهم ، عقدوا باب « حكم المرتد » للمسلم اذا فعل كذا وكذا ، ومصداق ذلك من هذه الكتب التي يقول المخالف جمعوا فيها الثمر ، وهو اعلم منا ، وهم ... وهم ... انظروا في مـــتن « الاقناع » في باب « حكم المرتد » هل حرج ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم انه كافر باجماع الامة ، وذكر فيمن اعتقد في علي بن ابي طالب دون ما يعتقده طالب في حسين وادريس ، انه لا شك في كفره ، بل لا يشك في كفر من شك في كفره ، وانا الزم عليكم انكم تحققون النظر في عبارات

« الإقناع » وتقرأونها قراءة تفهم ، وتعرفون ما ذكر في هذا ، وما ذكر من التشنيع عليّ من الاصدقاء — عرفتم شيئاً من مذاهب الآباء وفتنة الأهواء. واذا تحققتم ذلك وطالعتم الشروح والحواشي فاذا أنا لم افهمه وله معنى آخر ، فارشدوني وعسى الله ان يهدينا واياكم واخواننا لما يحب ويرضى ، ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام ، فالله سبحانه يعلم قصدي به.

والسلام.

وهذه رسالة ارسلها الى احمد بن يحيي احد علماء رغبة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى احمد بن يحيي

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغي انها تزعلك اولاً : انه لو خالف فمثلك يحلم ولا يأتي بغايته هذا ولا اكثر منه. وثانياً : انك اذا عرفت ان كلامه ما له فيه قصد الا الجهد في الدين ولو صار مخطئاً فالأعمال بالنيات والذي هذا مقصده يغتفر له ولو جهل عليك ، ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة وتتلاشى فيها كل لزمة.

وهذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع التي ما زال اهل العلم يختلفون فيها من غير نكير ، ولكن هذه في شهادة « ان لا إله إلا الله » والكفر بالطاغوت ، ولا يخفاك ان الذي عاداني في هذا الامر هم الخاصة الذين ليسوا بالعامة. هذا ابن اسماعيل، والمويسي وابن عبيد ، جاءتنا خطوطهم في انكار دين الاسلام — الذي حكاه في « الاقناع » في باب « حكم المرتد » الاجماع في كل المذاهب ان من لم يدن به فهو كافر. وكاتبناهم ونقلنا لهم العبارات ، وخاطبناهم بالتي هي احسن ، وما زادهم ذلك إلاّ نفوراً ان اهل « العارض » ارتدوا لما عرفوا شيئاً من التوحيد.

وانت تفهم ان هذا لا يسعك التكفي عنه ، فالواجب عليك نصر اخيك ظالماً او مظلوماً ، وان تفضل الله عليك بفهم ومعرفة فلا تعذر ، لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر ، فان كان الصواب معنا ، فالواجب عليك الدعوة الى الله وعداوة من صرح بسبب دين الله ورسوله . وان كان الصواب معهم ، او معنا شيء من الحق وشيء من الباطل ، او معنا غلو في بعض الامور — فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا وتدرينا عبارات اهل العلم ، لعل الله ان يردنا بك الى الحق . وان كان اذا حررت المسألة ، اذ انها من مسائل الاختلاف ، وان فيها خلافاً عند الحنفية او الشافعية او المالكية — فتلك مسألة اخرى .

وبالجملة فالأمر عظيم ، ولا نعذرك من تأمل كلامنا وكلامهم ثم تعرضه على كلام اهل العلم ثم تبين في الدعوة الى الحق ، وعداوة من حاد الله ورسوله منا او من غيرنا .

والسلام .

رسالة ثانية الى سليمان بن سحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به سليمان بن سحيم انك زعجت قرطاسة فيها عجائب ، فان كان هذا قدر فهمك ، فهذا من افسد الافهام ، وان كنت تلبس به على الجهال فما انت برابح . وقبل الجواب نذكر لك انك انت واباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق ، ولكن صائر لكم عند ضمامته في معكال قصاحيب واشباههم يعتقدون انكم علماء ، ونداريكم وودنا ان الله يهديكم ويهديهم .

وانت الى الآن انت وابوك لا تفهمون شهادة ان لا اله الا الله ، انا اشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة : انك لا تعرفها الى الآن ، ولا ابوك . ونكشف لك هذا كشفاً بيناً ، لعلك تتوب الى الله وتدخل في دين الاسلام

ان هداك الله ، والا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما ، والصلاة وراءكما ، وقبول شهادتكما وحظكما ، ووجوب عدوانكما ، كما قال تعالى : « وَلاَ تَجِدُ قَوماً يؤمِنُونَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ يَوَادّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَه » (١) .

واكشف ذلك بوجوه :

اولاً : انكم تقرون ان الذي يأتيكم من عندنا هو الحق . وانت تشهد به ليلاً ونهاراً ، وان جحدت هذا شهد عليك الرجل والنساء ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله ، وأنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلاً ونهاراً ، ومن اطاعكما ، وتبهتون ، وترمون المؤمنين بالبهتان العظيم ، وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار ! فكيف تشهد أن هذا دين الله ، ثم تتبين في عداوة من تبعه ؟

الوجه الثاني : انك تقول : إني أعرف التوحيد ، وتقر ان من جعل الصالحين وسائط فهو كافر ، والناس يشهدون عليك انك تروح للمولد ، وتقرأه لهم ، وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ، ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللقم من الطعام المعد لذلك . فاذا كنت تعرف ان هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم ؟

الوجه الثالث : ان تعليقهم التمائم من الشرك بنص رسول الله ﷺ ، وقد ذكر تعليق التمائم صاحب « الاقناع » في اول « الجنائز » .

وأنت تكتب الحجب ، وتأخذ عليها شرطاً ، حتى انك كتبت لامرأة حجاباً لعلها تحبل ، وشرطت لك أحمرين وطالبتها تريد الاحمرين ، فكيف تقول : إني أعرف التوحيد ، وأنت تفعل هذه الأفاعيل ؟ وان أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا .

الوجه الرابع : انك تكتب في حجبك طلاسم وقد ذكر في « الاقناع »

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢ .

انها من السحر ، والسحر يكفر صاحبه ، فكيف تفهم التوحيد وانت تكتب الطلاسم ، وان جحدت فهذا خط يدك موجود .

الوجه الخامس : ان الناس فيما مضى ، عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الارض بهذا الذي تقرأنه من الشرك : ينخونهم ، ويندبونهم ، ويجعلونها وسائط ، وأنت وأبوك تقولان : نعرف هذا لكن ما سألونا . فاذا كنتم تعرفونه ، كيف يحل لكم ان تتركا الناس يكفرون ما تنصحونهم ولو لم يسألوكم ؟

الوجه السادس : انا لما أنكرنا عبادة غير الله ، بالغتم في عداوة هذا الامر وإنكاره ، وزعمتم انه مذهب خامس ، وأنه باطل ، وإن انكرتما فالناس يشهدون عليكم بذلك ، وانتم مجاهرون به ، فكيف تقولون : هذا كفر ولكن ما سألونا عنه ! فاذا قام من يبين للناس التوحيد ، قلتم : انه مغير الدين وآت بمذهب خامس . فاذا كنت تعرف التوحيد ، وتقر ان كلامي هذا حق ، فكيف تجعله تغييراً لدين الله ، وتشكونا عند اهل الحرمين ؟

والامور التي تدل على انك أنت وأباك لا تعرفان شهادة أن لا إله إلا الله لا تحصر ، لكن ذكرنا الامور التي لا تقدر تنكرها ؛ وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال فيهم : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... »(١). لأنهم يخفون نفاقهم ، وأنت وأبوك تظهرانه للخاص والعام .

وأما الدليل على انك رجل معاند ، ضال على علم ، مختار الكفر على الاسلام ، فمن وجوه :

الاول : اني كتبت ورقة لابن صالح من سنتين ، فيها تكفير الطواغيت : شمسان وامثاله ؛ وذكرتُ فيها كلام الله ورسوله ، وبينتُ الادلة . فلما جاءتك نسختها بيدك لموسى بن سليم ثم سجلت عليها وقلت ما ينكر هذا إلا أعمى القلب وقرأها موسى في البلدان ، وفي منفوحة ، وفي الدرعية ، وعندنا ،

---

(١) سورة النساء آية ١٤٥ .

ثم راح للقبلة . فاذا كنت من الاول موافقاً لنا على كفرهم ، وتقول : مـــا ينكر هذا الا من أعمى الله بصيرته ــ فالعلم الذي جاءك بعد هذا يبين لك انهم ليسوا بكفار ، بينه لنا .

الوجه الثاني : اني ارسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين ، التي يذكر فيها ان من دعا نبياً ، او صحابياً ، أو ولياً ، مثل ان يقول : يا سيدي فلان انصرني وأغثني ــ انه كافر بالاجماع ، فلما أتتك استحسنتها ، وشهدت انهـــا حق وانت تشهد به الآن ، فما الموجب لهذه العداوة ؟

الوجه الثالث : انه اذا اتاك احد من أهل المعرفة ، اقررت ان هذا دين الله ، وانه الحق ، وقلته على رؤوس الأشهاد ، واذا خلوتَ مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر !

الوجه الرابع : ان عبد الرحمن الشنيفي ومن معه ، لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك ، ان هذا هو الحق ، وشهدت ان الطواغيت كفار ، وتبرأت من طالب الحمضي ، وعبد الكريم ، وموسى بن نوح ، فأي شيء بان لك بعد هذا ، ان هذا باطل ، وان الذين تبرأت منهم وعاديتهم ، انهم على حق ؟

الوجه الخامس : انك لما خرجت من عند الشيوخ ، وأتيت عند الشنيفي ، جحدت الكلام الذي قلت في المجلس ، فان كان الكلام حقاً فلأي شيء تجحده ؟ وانت وابوك مقران انكما لا تعرفان كلام الله ورسوله ، لكن تقولان : نعرف كلام صاحب « الاقناع » وأمثاله ! وأنا اذكر لك كلام صاحب « الاقناع » ، انه مكفرك ، ومكفر أباك في غير موضع من كتابه :

الاول : انه ذكر في أول سطر من « احكام المرتد » ان الهازل بالدين يكفر ، وهذا مشهور عنك وعن ابن احمد بن نوح الاستهزاء بكلام الله ورسوله وهذا كتابكم كفركم .

الثاني : انه ذكر في اوله ، ان المبغض لما جاء به الرسول ، كافر بالاجماع

ولو عمل به ؛ وأنت مقر ان هذا الذي اقول في التوحيد ، امر الله ورسوله ؛ والنساء والرجال يشهدون عليكم انكم مبغضون لهذا الدين ، مجتهدون في تنفير الناس عنه ، والكذب والبهتان على اهله ، فهذا كتابكم كفركم .

الثالث : انه ذكر من انواع الردة ، إسقاط حرمة القرآن . وأنتم كذلك تستهزئون بمن يعمل به ، وتزعمون أنهم جهال وانكم علماء .

الرابع : انه ذكر ان من ادعى في علي بن ابي طالب ألوهية انه كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر . وهذه مسألتك التي جادلت بها في مجلس الشيوخ ، وقد صرح في « الاقناع » بأن من شك في كفرهم فهو كافر ، فكيف بمن جادل عنهم وادعى انهم مسلمون ، وجعلنا كفاراً لما انكرنا عليهم ؟

الخامس : انه ذكر ان السحر يكفر بتعلمه وتعليمه ، والطلاسم من جملة السحر .

فهذه ستة مواضيع في « الاقناع » في باب واحد ، ان من فعلها فقد كفر وهي دينك ودين أبيك ، فإما ان تبرأوا من دينكم هذا وإلا فأجيبوا عن كلام صاحب « الاقناع » وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهة ، مثل الشيوخ او من يصلي وراءك كادوا ان الله يهديهم ، ويعزلونك أنت واباك عن الصلاة بالناس ، لئلا تفسد عليهم دينهم ، وإلا فأنا اظنك لا تقبل ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالة وكفراً .

وأما الكلام الذي لبست به على الناس ، فأنا أبينه ان شاء الله كلمة كلمة . وذلك ان جملة المسائل التي ذكرت اربع ؛ الاولى : النذر لغير الله ، تقول : انه حرام ليس بشرك . الثانية : ان من جعل بينه وبين الله وسائط كفر ، أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون . الثالثة : عبارة العلماء : ان المسلم لا يجوز تكفيره بالذنوب . الرابعة : التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه ــ هذه المسائل التي ذكرت .

فأما المسألة الاولى : فدليلك قولهم : ان النذر لغير الله حرام ، فاستدللت

بقولهم « حرام » على انه ليس بشرك . فان كان هذا قدر عقلك فكيف تدعي المعرفة ؟ يا ويلك ما تصنع بقول الله تعالى : « قُلْ : تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُمْ الاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شيئاً وَبالوالِدَيْنِ إحْسَاناً ...)(١) » ، فهذا يدل على ان الشرك حرام ليس بكفر . يا هذا الجاهل الجهل المركب ما تصنع بقول الله تعالى : « قُلْ إنمَا حَرَّمَ رَبِّي الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ (٢) ...) » الى قوله : « وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً » ، هل يدل هذا التحريم على انه لا يكفر صاحبه ؟ يا ويلك في اي كتاب وجدته اذا قيل لك هذا حرام ، انه ليس بكفر . فقولك : ان ظاهر كلامهم انه ليس بكفر ، كذب وافتراء على اهل العلم ، بل يقال : ذكر انه حرام ، واما كونه كفراً فيحتاج الى دليل آخر . والدليل عليه انــه صرح في « الاقناع » ان النذر عبادة ، ومعلوم ان « لا إله إلا الله » معناها : لا يعبدوا إلا الله . فاذا كان النذر عبادة ، وجعلتها لغيره ، كيف لا يكون شركاً ؟

وأيضاً مسألة الوسائط ، تدل على ذلك ، والناس يشهدون ان هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط ، وهم مقرون بذلك ، وأما استدلالك بقوله : « من قــال انذروا لي وانه اذا رضي وسكت لا يكفر فبأي دليل ؟ غاية ما يقــال انه سكت عن الاخذ الراضي . وعلم من دليل آخر ، والدليل الآخر : ان الرضى بالكفر كفر ، صرح به العلماء ، موالاة الكفار كفر وغير ذلك . هذا اذا قدر انهم لا يقولونه ، فكيف انت وغيرك تشهد عليهم انهم يقولون ، ويبالغون فيه ، ويقصون على الناس الحكايات التي ترسخ الشرك في قلوبهم ، وتبغض إليهم التوحيد ، ويكفرون اهل العارض لما قالوا : لا يعْبد إلا الله . وأما قولك : ما رأينا للترشيح معنى في كلام العلماء ، فمن انت حتى تعرف كلام العلماء ؟

وأما الثانية ، وهي : ان الذي يجعل الوسائط هو الكافر ، وأما المجعول

---

(١) سورة الانعام ، آية ١٥١ .

(٢) سورة الاعراف ، آية ٣٣ .

فلا يكفر . فهذا كلام تلبيس وجهالة ، ومن قال ان عيسى وعزيراً ، وعلي بن ابي طالب ، وزيد بن الخطاب ، وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين اياهم وسائط ؟ حاشا وكلا (... وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى [1])

وإنا كفّرنا هؤلاء الطواغيت اهل « الخرج » وغيرهم بالامور التي يفعلونها هم ، منها : انهم يجعلون آباءهم واجدادهم وسائط ، ومنها : انهم يدعون الناس الى الكفر ، ومنها : انهم يبغضون عند الناس دين محمد ﷺ ، ويزعمون ان اهل « العارض » كفروا لما قالوا : لا يعبد الا الله ؛ وغير ذلك من انواع الكفر . وهذا أمر اوضح من الشمس لا يحتاج الى تقرير ؛ ولكن انت رجل جاهل مشرك ، مبغض لدين الله ، وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الاسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم ، والا فهؤلاء الجهال ــ وان مرادهم اتباع الحق ــ عرفوا ان كلامك من أفسد ما يكون .

وأما المسألة الثالثة ، وهي من اكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام : ان اهل العلم قالوا : لا يجوز تكفير المسلم بالذنب ، وهذا حق ، ولكن ليس هذا ما نحن فيه ، وذلك ان الخوارج يكفرون من زنى ، أو من سرق ، او سفك الدم ، بل كل كبيرة اذا فعلها المسلم كفر . وأما اهل السنّة فمذهبهم ان المسلم لا يكفر الا بالشرك ، ونحن ما كفرنا الطواغيت واتباعهم الا بالشرك ، وأنت رجل من أجهل الناس ، تظن ان من صلى وادعى انه مسلم ــ لا يكفر ، فاذا كنت تعتقد ذلك ، فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون ؟ قال الله تعالى فيهم : « إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... [2] » . وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « لئن ادركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، اينما لقيتموهم فاقتلوهم » ، أتظنهم ليسوا من اهل القبلة ؟ ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ــ مثل اعتقاد كثير من الناس في

---

(١) سورة الانعام ، آية ١٦٤ .

(٢) سورة النساء ، آية ١٤٥ .

عبد القادر وغيره — فأضرم لهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ناراً فأحرقهم بها ، وأجمعت الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس انكر تحريقهم بالنار ، وقال: يُقتلون بالسيف . أتظن هؤلاء ليسوا من اهل القبلة ؟ أم انت تفهم الشرع ، وأصحاب رسول الله ﷺ لا يفهمونه ؟ أرأيت اصحاب رسول الله ﷺ لما قاتلوا من منع الزكاة ، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر : لا تقبل توبتكم حتى تشهدوا ان قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار — أتظن ان أبا بكر وأصحابه لا يفهمون ، وانت وابوك الذين يفهمون ؟ يا ويلك ايها الجاهل الجهل المركب اذا كنت تعتقد هذا ، وان من أم القبلة لا يكفر . فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التي ذكرها العلماء في باب « حكم المرتد » التي كثير منها في اناس اهل زهد وعبادة عظيمة ، ومنها طوائف ذكر العلماء ان من شك في كفرهم فهو كافر ؟ ولو كان الأمر على زعمك لبطل كلام العلماء في حكم المرتد ، إلا مسألة واحدة ، وهي الذي يصرح بتكذيب الرسول ، وينتقل يهودياً او نصرانياً او مجوسياً ونحوهم . هذا هو الكفر عندك ، يا ويلك ما تصنع بقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تعبد فئات من امتي الاوثان » ؟ وكيف تقول هذا وانت تقر ان من جعل الوسائط كفرٌ ؟ فاذا كان اهل العلم في زمانهم حكموا على كثير من اهل زمانهم بالكفر والشرك ، أفتظن انكم صلحتم بعدهم ؟ يا ويلك !

وأما مسألة التذكير ، فكلامك فيها من اعجب العجاب ! انت تقول : بدعة حسنة ؛ والنبي ﷺ يقول : «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ، ولم يستثن شيئاً تشير علينا به فنصدقك انت واباك لانكم علماء ونكذب رسول الله ! والعجب من نقلك الاجماع فتجمع مع الجهالة المركبة الكذب الصريح والبهتان ، فاذا كان في « الاقناع » في باب « الاذان » قد ذكر كراهيته في مواضع متعددة ، اتظن انك اعلم من صاحب « الاقناع » أم تظنه مخالفاً للاجماع ؟ وايضاً لما جاءك عبد الرحمن الشنيفي اقررت لهم ان التذكير بدعة مكروهة ؛ فمتى هذا العلم جاءك ؟ وأما قولك : أمر الله بالصلاة على نبيه على

الاطلاق ؛ فأيضاً أمر الله بالسجود على الاطلاق في قوله : « اركعوا واسجدوا » فيدل هذا السجود للأصنام ! او يدل على الصلاة في اوقات النهي ؟ فان قلت : ذاك قد نهى عنه النبي ﷺ، قلنا : وكذلك نهى النبي ﷺ عن البدع ، وذكر ان كل بدعة ضلالة ؛ ومعلوم ان هذا حادث من زمن طويل ، وانكره اهل العلم ، منهم : صاحب « الاقناع » ، وقد ذكر السيوطي في كتاب « الاوائل » ان أول ما حدث التذكير يوم الجمعة — ليتهيأ الناس للصلاة — بعد السبعمائة ، في زمن الناصر ابن قلاوون ، فأرنا كلام واحد من العلماء ارخص فيه ، وجعله بدعة حسنة ، فليس عندك الا الجهل المركب والبهتان والكذب !

وأما استدلالك بالأحاديث التي فيها اجماع الأمة والسواد الأعظم وقوله : « من شذ شذ في النار » و « يد الله مع الجماعة » وأمثال هذا ، فهذا أيضاً من اعظم ما تلبس به على الجهال . وليس هذا معنى الاحاديث باجماع اهل العلم كلهم ، فان النبي ﷺ اخبر ان الاسلام سيعود غريباً ، فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس ؟ وكذلك الاحاديث الكثيرة ، منها قوله : « يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه » ، وأحاديث عظيمة كثيرة يبين فيها ﷺ ان الباطل يصير اكثر من الحق ، وان الدين يصير غريباً ؛ ولو لم يكن في ذلك إلا قوله ﷺ : « ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار ، إلا واحدة » ، هل بعد هذا البيان بيان ؟ يا ويلك ، كيف تأمر بعد هذا باتباع اكثر الناس ؟ ومعلوم ان اهل ارضنا وارض الحجاز الذي ينكر البعث منهم اكثر مما يقر به ، وان الذي يعرف الدين اقل ممن لا يعرفه ، والذي يضيع الصلوات اكثر من الذي يحافظ عليها ، والذي يمنع الزكاة اكثر ممن يؤديها . فان كان الصواب عندك اتباع هؤلاء ، فبين لنا ! وان كان عنزة ، وآل ظفير ، وأشباههم من البوادي ، هو السواد الاعظم ، لقيت في علمك وعلم ابيك ان اتباعهم حسن فاذكر لنا .

ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الأحاديث ، ليتبين للجهال الذين موهت عليهم :

قال ابن القيم رحمه الله ، في اعلام الموقعين : واعلم ان الاجماع والحجة ، والسواد الاعظم ، هو العالم صاحب الحق ـ وان كان وحده ، وان خالفه اهل الارض . وقال عمرو بن ميمون : سمعت ابن مسعود يقول : « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » . وسمعته يقول : « سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك » وهي الفريضة « ثم صل معهم فانها لك نافلة » . قلت : يا اصحاب محمد ما ادري ما تحدثون ! قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة ، ثم تقول صل الصلاة وحدك ؟ قال : يا عمرو بن ميمون لقد كنت اظنك من افقه اهل هذه القرية ، أتدري ما الجماعة ؟ أتدري ما الجماعة ؟ قلت : لا . قال : جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة ، والجماعة ما وافق الحق ـ وان كنت وحدك . وقال نعيم ابن حماد : اذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل ان تفسد الجماعة ، وان كنت وحدك فانك انت الجماعة حينئذ . وقال بعض الأئمة ـ وقد ذكر له السواد الأعظم ـ : أتدري ما السواد الأعظم ؟هو :«محمد ابن اسلم الطوسي وأصحابه الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجمهور والجماعة ، فجعلوهم عياراً على السنّة ، وجعلوا السنّة بدعة ، وجعلوا المعروف منكراً ، لقلة اهله وتفردهم في الاعصار والامصار ، وقالوا « من شذّ شذّ في النار » وعرف المتخلفون ان الشاذ ما خالف الحق ، وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً فهم الشاذون . وقد شذ الناس كلهم في زمن احمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة . وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة واتباعهم كلهم هم الشاذون ، وكان الامام احمد وحده هو الجماعة . ولما لم تحمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة : يا أمير المؤمنين ، اتكون انت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل واحمد وحده على الحق ؟ فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل . فلا اله الا الله . ما اشبه الليلة بالبارحة .

انتهى كلام ابن القيم باسلامه ولدام سلامه .

هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الاعظم ، وكلام التابعين وكلام السلف ، وكلام المتأخرين . حتى ابن مسعود ذكر في زمانه ان اكثر الناس فارقوا الجماعة ، وابلغ من هذه الاحاديث عن رسول الله (ص) : من غربة الإسلام وتفرق هذه الامة اكثر من سبعين فرقة كلها في النار الا واحدة فان كنت وجدت في علمك وعلم ابيك ما يرد به على رسول الله . وإن عنزة وآل ظفير والبوادي يجب علينا اتباعهم فاخبرونا .

كتبه محمد بن عبدالوهاب ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

رسالته الى عبد الله بن سحيم عالم المجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبدالوهاب ، الى عبدالله بن سحيم حفظه الله تعالى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أما بعد ، فقد وصل كتابك . تطلب شيئاً من معنى كتاب « المويس » الذي ارسله لأهل الوشم . وأنا أجيبك عن الكتاب جملة ، فان كان الصواب فيه ، فنبهني وارجع الى الحق ، وان كان الامر كما ذكرت لك من غير مجازفة — بل انا مقتصر ، فالواجب على المؤمن ان يدور مع الحق حيث دار .

وذلك ان كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة انواع من العلوم ، الاول : علم الاسماء والصفات الذي يسمى علم اصول الدين ، ويسمى ايضاً العقائد . والثاني: الكلام على التوحيد والشرك . والثالث : الاقتداء بأهل العلم واتباع الادلة ، وترك ذلك .

أما الاول :

فانه أنكر على اهل الوشم ، انكارهم على من قال : ليس بجوهر ، ولا جسم ، ولا عرض . وهذا الانكار جمع فيه بين اثنتين ، احداهما انه لم يفهم

الالفاظ المجملة كلفظ الجسم ، والجوهر ، والحيز ، لم يوافقوهم لا على اطلاق الاثبات ، ولا على اطلاق النفي » .

انتهى كلام الشيخ تقي الدين .

اذا تدبرت هذا ، عرفت ان انكار ابن عيدان وصاحبه على « الخطيب» الكلام في هذا هو عين الصواب . وقد اتبعهما في ذلك ، امامهما احمد بن كلام ابن عيدان وصاحبه . الثانية : انه لم يفهم صورة المسألة ، وذلك ان مذهب الامام احمد وغيره من السلف ، انهم لا يتكلمون في هذا النوع ، إلا بما تكلم الله به ورسوله ، فما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته رسوله ، اثبتوه مثل الفوقية ، والاستواء ، والكلام ، والمجيء وغير ذلك . وما نفاه الله عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ، نفوه مثل : المثل ، والند ، والسمي وغير ذلك . وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله ، اثباته ونفيه ، مثل الجوهر ، والجسم ، والعرض ، والجهة وغير ذلك ، لا يثبتونه ولا ينفونه . فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي انكرها ابن عيدان وصاحبه ، فهو عند احمد والسلف ، مبتدع . ومن أثبته ، مثل هشام بن الحكم وغيره ، فهو عندهم مبتدع ، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع ، اقتداء بالنبي ﷺ واصحابه .

هذا معنى كلام احمد الذي في رسالة « المويس » ، انه قال : لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي ﷺ ، فمن العجب استدلاله بكلام الامام احمد على ضده ، ومثله في ذلك ، كمثل حنفي يقول : الماء الكثير ، ولو بلغ قلتين ، ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغير ، فاذا سئل عن الدليل ، قال : قوله ﷺ « وعاء طهور لا ينجسه شيء » ، فيستدل بدليل خصمه . فهل يقول هذا من يفهم ما يقول :

وأنا اذكر لك قول الحنابلة في هذه المسألة :

قال الشيخ تقي الدين – بعد كلام له على من قال ، انه ليس بجوهر ولا عرض ، ككلام صاحب الخطبة ، قال رحمه الله : « فهذه الالفاظ لا يطلق

اثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم ، والتحيز ، والجهة ، ونحو ذلك من الالفاظ . ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد، فذكر توحيد المسلمين،قال : واما توحيد اهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والاعراض ، وانما بعث النبي ﷺ بانكار ذلك . وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام واهله ، مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود ان الأئمة كأحمد وغيره ، لما ذكر لهم اهل البدع ، حنبل وغيره في انكارهم ذلك على المبتدعة ، ففهم صاحبكم انهما يريدان اثبات ضد ذلك ، وان الله جسم ، وكذا وكذا تعالى الله عن ذلك . وظن ايضاً ان عقيدة اهل السنّة هي نفي انه لا جسم ولا جوهر، ولا كذا ، ولا كذا . وقد تبين لكم الصواب ، ان عقيدة اهل السنّة هي السكوت : من اثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه . فالذي يقول ليس بجسم ، ولا ، ولا ، هم الجهمية والمعتزلة ، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه . والسلف بريئون من الجميع : من أثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه .

فالمويس لم يفهم كلام الاحياء ، ولا كلام الاموات ، وجعل النفي الذي هو مذهب الجهمية والمعتزلة ، مذهب السلف ، وظن ان من انكر النفي انه يريد الاثبات كهشام واتباعه . ولكن أعجب من ذلك ، استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم .

ومن كلام ابي الوفاء أبن عقيل ، قال « انا أقطع ان أبا بكر وعمر، ماتا ما عرفا الجوهر والعرض ، فان رأيت ان طريقة ابي علي الجبائي ، وابي هاشم خير لك من طريقة ابي بكر وعمر ، فبئس ما رأيت » انتهى .

وصاحبكم يدعي ان الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يتبع أبا علي ، وأبا هاشم بنفي الجوهر والعرض ، فان أنكر الكلام فيهما ، مثل ابي بكر وعمر،فهو عنده على مذهب هشام الرافضي ، فظهر بما قررناه ان الخطيب الذي يتكلم بنفي العرض والجوهر ، أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة ، وان ابن عيدان وصاحبه انكرا ذلك مثلما انكره احمد والعلماء كلهم على اهل البدع .

وقوله في الكتاب : ومذهب أهل السنة ، اثبات من غير تعطيل ولا تجسيم ولا كيف ولا أين ، الى آخره . وهذا من أبين الادلة على انه لم يفهم عقيدة المبتدعة ، وذلك ان انكار « الاين » من عقائد اهل الباطل ، واهل السنة يثبتونه اتباعاً لرسول الله ﷺ ، كما في الصحيح انه قال للجارية : أين الله ؟ فزعم هذا الرجل ان اثباتها مذهب المبتدعة ، وان انكارها مذهب اهل السنة كما قيل ، وعكسه بعكسه .

وأما الجسم ، فتقدم الكلام ان اهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه ، فغلط عليهم في اثباته . واما التعطيل والكيف ، فصدق في ذلك ، فجمع لكم اربعة ألفاظ نصفها حق من عقيدة الحق ، ونصفها باطل على عقيدة الباطل ، وساقها مساقاً واحداً ، وزعم انه مذهب أهل السنة والجماعة ، فجهل وتناقض .

وقوله أيضاً : ويثبتون ما أثبته الرسول ﷺ ، من السمع ، والبصر ، والحياة ، والقدرة ، والارادة ، والعلم ، والكلام الى آخره . وهذا أيضاً من اعجب جهله ، وذلك ان هذا مذهب طائفة من المبتدعة ، يثبتون الصفات السبع وينفون ما عداها ، ولو كان في كتاب الله ، ويؤولونه . وأما اهل السنة ، فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه ، وذلك صفات كثيرة ، لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة ، وهو لا يميز كلام اهل الحق ، من كلام اهل الباطل .

اذا تقرر هذا ، فقد ثبت خطأه من وجوه :

الاول : انه لم يفهم الرسالة التي بعثت اليه .

الثاني : انه بهت اهلها باثبات الجسم وغيره .

الثالث : انه نسبهم الى الرافضة ، ومعلوم ان الرافضة من ابعد الناس عن هذا المذهب واهله .

الرابع : انه نسب من أنكر هذه الالفاظ ، الى الرفض والتجسيم ، وقد تبين ان الامام احمد وجميع السلف ينكرونه ، فلازم كلامه ان مذهب

الامام احمد وجميع السلف ، مجسمة على مذهب الرفض .

الخامس : انه نسب كلامهما الى الفرية الجسمية ، فجعل عقيدة امامه واهل السنة فرية جسمية .

السادس : انه زعم ان البدع اشتعلت في عصر الامام احمد ، ثم ماتت حتى احياها اهل « الوشم » ، فمفهوم كلامه ، بل صريحه ، ان عصر الامام احمد وأمثاله ، عصر البدع والضلال ، وعصر ابن اسماعيل ، عصر السنة والحق .

السابع : انه نسبهما الى التعطيل ، والتعطيل إنما هو جحد الصفات .

الثامن : يتهمهما انهما نسبا من قبلهما من العلماء ، الى التعطيل ، لكونهما أنكرا على خطيب من المبتدعة ، وهذا من البهتان الظاهر .

التاسع : انه نسبهما الى وراثة هشام الرافضي .

العاشر : ان المسلم اخو المسلم ، فاذا أخطأ أخوه ، نصحه سراً وبين له الصواب ، فاذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة . وهذا لما راسلاه ، صنف عليهما ما علمت وأرسله الى البلدان : اعرفوني ، اعرفوني . تراني جاي من الشام .

وأما التناقض ، وكون كلامه يكذب بعضه بعضاً ، فمن وجوه :

منها : انه نسبهما تارة الى التجسيم ، وتارة الى التعطيل . ومعلوم ان التعطيل ضد التجسيم ، واهل هذا ، اعداء لأهل هذا ، والحق وسط بينهما .

ومنها : نسبهما الى الجهمية ، والى المجسمة ، والجهمية والمجسمة ، بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض ، واهل السنة وسط بينهما .

ومنها : انه يقول مذهب أهل الحق اثبات الصفات . ثم يقول : ولا اين ولا ، ولا . وهذا تناقض .

ومنها : انه يقول ما أثبته الله ورسوله ، أثبت . ثم يخص ذلك بالصفات السبع ، فهذا عين التناقض . فعقيدته التي نسبت لأهل السنة ، جمعها من نحو اربع فرق من المبتدعة ، يناقض بعضهم بعضاً ، ويسب بعضهم بعضاً ، ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة ، لجعلتها ضحكة .

ومنها : انه يذكر عن احمد ان الكلام في هذه الأشياء مذموم ، إلا ما نقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم . ثم ينقل لكم اثبات كلام المبتدعة ونفيهم ، ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة ويزعم انها عقيدة اهل الحق .

هذا ما تيسر كتابته عجلاً على السراج في الليل ، والمأمول فيك انك تنظر فيها بعين البصيرة وتتأمل هذا الأمر ، واعرض هذا عليه واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا ، فان أجابك بشيء ، فاكتبه وان عرفته باطلاً ، وإلا فراجعني فيه أبينه لك ، ولا تستحقر هذا الامر ، فان حرصت عليه جداً ، عرفك عقيدة الامام احمد وأهل السنة ، وعقيدة المبتدعة ، وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة في علم العقائد شهرين او ثلاثة ، بسبب ان الخطأ ، والاختلاف مما يوضح الحق ويبين الخطأ فيه .

وأما النوع الثاني :

فهو الكلام في الشرك والتوحيد ، وهو المصيبة العظمى والداهية الصما ، والكلام على هذا النوع ، والرد على هذا الجاهل ، يحتمل مجلداً ، وكلامه فيه كما قال ابن القيم : اذا قرأه المؤمن ، تارة يبكي وتارة يضحك ، ولكن انبهك منه على كلمتين :

الاولى : انهما نسبا من قبلهما الى الخروج من الاسلام والشرك الأكبر ، افيظن ان قوم موسى ، لما قالوا اجعل لنا إلهاً ، خرجوا من الاسلام ؟ أفيظن ان اصحاب رسول الله ﷺ ، لما قالوا اجعل لنا ذات انواط ، فحلف لهم ان هذا مثل قول قوم موسى اجعل لنا إلهاً ، انهم خرجوا من الاسلام ؟ أيظن ان النبي ﷺ ، لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال « من حلف بغير الله فقد

أشرك » ، انهم خرجوا من الاسلام ؟ الى غير ذلك من الادلة التي لا تحصر ، فلم يفرق بين المشرك المخرج عن الملة من غيره ، ولم يفرق بين الجاهل والمعاند .

والكلمة الثانية قوله : ان المشرك لا يقول « لا إله إلا الله » ، فيا عجباً من رجل يدعي العلم وجاء من الشام يحمل كتباً ، فلما تكلم اذا انه لا يعرف الاسلام من الكفر ، ولا يعرف الفرق بين ابي بكر الصديق وبين مسيلمة الكذاب . أما علم ان مسيلمة يشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويصلي ويصوم ؟ أما علم ان غلاة الرافضة الذين حرقهم علي ، يقولونها وكذلك الذين يقذفون عائشة ويكذبون القرآن . وكذلك الذين يزعمون ان جبريل غلط ، وغير هؤلاء ممن اجمع اهل العلم على كفرهم ، منهم من ينتسب الى الاسلام ، ومنهم من لا ينتسب اليه كاليهود ، وكلهم يقولون لا إله إلا الله . وهذا أبين عند من له اقل معرفة بالاسلام — من ان يحتاج الى تبيان . واذا كان المشركون لا يقولونها ، فما معنى باب « حكم المرتد » الذي ذكر الفقهاء من كل مذهب ؟ هل الذين ذكرهم الفقهاء وجعلوهم مرتدين لا يقولونها . هذا الذي ذكر اهل العلم انه الكفر من اليهود والنصارى . وقال بعضهم من شك في كفر اتباعه ، فهو كافر . وذكرهم في « الاقناع » في باب حكم المرتد ، وامامهم ابن عربي ، أيظنهم لا يقولون لا إله إلا الله ؟ لكن هو آت من الشام ، وهم يعبدون ابن عربي ، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه ، ولست اعني أهل الشام كلهم ، حاشا وكلا ، بل لا تزال طائفة على الحق ، وان قلّت واغتربت .

لكن العجب العجاب ، استدلاله ان رسول الله ﷺ ، دعا الناس الى قول لا إله إلا الله ، ولم يطالبهم بمعناها . وكذلك اصحاب رسول الله ﷺ ، فتحوا بلاد الاعاجم وقنعوا منهم بلفظها ، الى آخر كلامه . فهل يقول هذا من يتصور ما يقول ؟

فنقول اولاً : هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله دعاهم الى ترك عبادة

الاوثان ، فاذا كان لم يقنع منهم الا بترك عبادة الاوثان ، تبين ان النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها ، وهو ترك الشرك ، وهذا هو المطلوب . ونحن انما نهينا عن الاوثان المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهما في الشام او في غيره . فان قلتم ليس هذا من الاوثان وإنما دعاء اهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله ﷺ ، يخلصون لله في الشدائد ولا يدعون اوثانهم ، فهذا كفر ، وبيننا وبينكم كلام العلماء من الاولين الى الآخرين ، الحنابلة وغيرهم . وان أقررتم ان ذلك كفر وشرك وتبين ان قول لا إله إلا الله لا ينفع إلا مع ترك الشرك ، فهذا هو المطلوب وهو الذي نقول : وهو الذي أكثرتم النكير فيه وزعمتم انه لا يخرج الا من خراسان . وهذا القول كما في أمثال العامة «لا وجه سميح ولا بنت رجال » لا اقول صواباً إلا خطأ ظاهراً وسباً لدين الله . ولا هو أيضاً قول باطل يصدق بعضه بعضاً ، بل مع كونه خطأ ، فهو متناقض يكذب بعضه بعضاً لا يصدر إلا ممن هو اجهل الناس .

وأما دعواه ان الصحابة لم يطلبوا من الاعاجم إلا مجرد هذه الكلمة ، ولم يعرفوهم بمعناها ، فهذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الاسفل من النار ، فان المؤمنين يقولونها ، والمنافقين يقولونها ، لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها ، وعمل جوارحهم بمقتضاها ، والمنافقين يقولونها من غير فهم لمعناها ، ولا عمل بمقتضاها ، فمن اعظم المصائب واكبر الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين ، لكن هذا لا يعرف النفاق ولا يظنه في اهل زماننا ، بل يظنه في زمن رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأما زمانه فصلح بعد ذلك . واذا كان زمانه وبلدانه ينزهون عن البدع ، ومخرجها من خراسان ، فكيف بالشرك والنفاق ، ويا ويح هذا القائل ما أجرأه على الله ، وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن انهم لا يعلمون الناس : لا إله إلا الله . اما علم هذا الجاهل انهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلاً عن مسائل الشرك ؟ ففي الصحيحين ان عمر رضي الله عنه ،

لما اشكل عليه قتال مانعي الزكاة لأجل قوله ﷺ: « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها ، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » قال أبو بكر فان الزكاة من حقها ، فاذا كان منع الزكاة من منع حق لا إله إلا الله ، فكيف بعبادة القبور ، والذبح للجن ، ودعاء الاولياء وغيرهم مما هو دين المشركين . وصرح الشيخ تقي الدين في « اقتضاء الصراط المستقيم » بأن من ذبح للجن فالذبحة حرام من جهتين: من جهة انها مما أُهلّ لغير الله ، ومن جهة انها ذبحة مرتد ، فهي كخنزير مات من غير ذكاة ، ويقول : ولو سمى الله عند ذبحها ، اذا كانت نية ذبحها للجن . ورد على من قال انه ان ذكر اسم الله ، حل الأكل منها مع التحريم .

وأما ما سألت عنه من قوله : اللهم صل على محمد ، الى آخره ، فهذه المحامل التي ذكر غير بعيدة لو كان الانكار على الرجل الميت الذي صنفها ، والانكار انما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون ، فان كان يزعم ان عامة اهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل ، فهذا مكابرة ، وان كان يعرف انهم ما قصدوا الا المعاني التي لا تصلح إلا لله ، لم يمنع من الانكار عليهم . ولو تبين انه شرك لكون الذي قالها أولاً قصد معنى صحيحاً ، كما لو ان رجلاً من اهل العلم كتب الى عامة ، ان نكاح الاخوات حلال ، ففهموا منه ظاهره ، وجعلوا يتزوجون اخواتهم ، خاصتهم وعامتهم — لم يمنع من الانكار عليهم ، ولو تبين ان الله حرم نكاح الاخوات ، لكون القائل انما أراد الاخوات في الدين ، كما قال ابراهيم عليه السلام ، لسارة هي اختي . وهذا واضح بحمد الله ، ولكن من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض .

وأما النوع الثالث :

وهو الكلام على التقليد والاستدلال ، فكلامه فيه من أبطل الباطل ، وأظهر الكذب ، وهو ايضاً كلام جاهل ينقض بعضه بعضاً ، ونحن ما أردنا

المعنى الذي ذكر . والكلام على هذا طويل ، ولكن انا كتبت له كلاماً في هذا مع رسالة طويلة ، فاطلبه وراجعه وتأمله ، وتكلم لله ، في سبيل الله ، بما يرضي الله ورسوله ، واحذر من فتنة « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُهْتَدُونَ (١) » ، فمن نجا منها فقد نجا من شر كثير . ولا تغفل عن قوله في خطبة « شر الاقناع » : « من عثر على شيء مما طغى به القلم » الى آخره . وقوله في آخرها : « اعلم رحمك الله ان الترجيح اذا اختلفت بين الأصحاب الى آخره . وان طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس ، لعلك ايضاً تحقق علو العقائد ، وتميز بين حقه وباطله ، وتعرف ايضاً علوم الايمان بالله وحده ، والكفر بالطاغوت ، فترى أشير وألزم ، فان رأيت امر الله ورسوله ، فهم المطلوب ، والا فقد وهبك الله من الفهم ما تميز به بين الحق والباطل ، ان شاء الله تعالى » .

وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب ، بل اعرضه عليه ، فان تاب وأقر ورجع الى الله ، فعسى ، وان زعم ان له حجة ، ولو في كلمة واحدة ، او ان في كلامي مجازفة ، فاطلب الدليل ، فان اشكل شيء عليك فراجعني فيه حتى تعرف كلامي وكلامه ،نسأل الله ان يهدينا واياك والمسلمين الى ما يحبه ويرضاه ،وانت لا تلمني على هذا الكلام ، تراني استدعيته اولاً بالملاحظة ، وصبرت منه على اشياء عظيمة . والآن اشرفت فيه على امور ما ظننتها لا في عقله ولا في دينه منها : أنه كتب الى اهل الاحساء يعاونهم على سب دين الله ورسوله .

وبالرغم من كل ما قامت به تلك الفئة من عداء الشيخ وخذلان الناس له فقد التف حوله جماعة من الانصار اصدقوا ايمانهم به واتبعوه وايدوه واظهروا استعدادهم لنصرته فقوي بهم نفوذه وصار يحكم فيهم بما يراه صالحاً لهم وللدين الاسلامي الحنيف .

---

(١) سورة الزخرف ، آية ٢٢ .

ما قام به الشيخ في العيينة
من الاعمال

كانت توجد في العيينة اشجار يتبرك بها معظم العامة من الاهلين ويعلقون عليها قطعاً صغيرة مما يلبسون . كما كان فيها قبور للأولياء يقدسونها وينذرون لها ويحملون اليها الهدايا ويضحون لها القرابين . وكانت كل هذه الامور من الاشياء التي تغضب الشيخ وتثيره ولكنه كان يتلقى ذلك بالصبر الجميل منتظراً الفرصة المواتية والوقت المناسب لمحاربة هذه الامور .

وفي احدى الامسيات بينما كان الشيخ جالساً في داره يطل من نافذة فيها على الطريق واذا به يسمع صوت رجل يستغيث بزيد بن الخطاب ويدعوه ليعيد اليه بعيراً اضاعه . فصاح به الشيخ زاجراً قائلاً : « ادع الله اله زيد يا رجل » ، فلما سمع المارة كلام الشيخ استنكروا ذلك واخذوا يتجادلون حوله ، فانقسمت البلدة على نفسها في امره وكثر اللغط حوله . ثم اشتدت الخصومة بين انصار الشيخ وبين مناوئيه ومخالفيه . عندئذ رأى الشيخ ان الساعة قد أذنت وآن الأوان للقيام بالعمل لمحو تلك العقائد وازالة آثار البدع السيئة عن الدين .

فعزم على مفاتحة الأمير عثمان بن معمر بما نواه بشأن قطع تلك الاشجار وهدم تلك القباب التي يذهب الناس اليها للاستغاثة وطلب الشفاعة ويدعون اصحابها من دون الله . وقال له في ما قال : « دعنا نقطع هذه الاشجار ونهدم هذه القباب التي وضعت على الباطل وضلّ بها الناس عن الهدى » . فلم يجد معارضة من قبل ابن معمر واذن له بأن يفعل ما يريد وهو من ورائه يعينه ويحميه ، واجتمعت كلمتهما على ذلك ووافقهم على ذلك بعض أهالي العيينة .

قطع الاشجار

فبعث الشيخ اناساً الى بعض تلك الاشجار ليقطعوها بعد ان تقدهم اجراً

من ماله ، فقطعت بدون مقاومة . ثم خرج الشيخ محمد والأمير عثمان بن معمر ومعهما سبعون رجلاً بينهم فريق من رؤساء آل معمر ، ورافقهما الأميران ثنيان ومشاري ولدا سعود (اخوا الأمير محمد صاحب الدرعية)لقطع ما تبقّى من تلك الاشجار فقطعوها وقد اشترك الأميران ثنيان ومشاري ولدا سعود بأيديهما اقطع شجرة من تلك الاشجار تُدعى قريدة .

وكانت هنالك شجرة منعزلة في مكان آخر تُدعى شجرة الذئب،وكانت هذه الشجرة من اعظم الاشجار شأناً وقداسةً عند العامّة فتهيّب اتباع الشيخ قطعها، فخرج الشيخ اليها بنفسه سراً ليقطعها،واذ حاول راعي غنم لأهل البلد كان هناك منعه ، اعطاه الشيخ شيئاً من المال اسكته عن المعارضة وقطعت تلك الشجرة وزال أثرها وتأثيرها .

هدم المشاهد والقبب

وخطا الشيخ خطوته الثانية وهي التصميم على هدم المشاهد والقباب المقامة على القبور التي ضلّ بها الناس عن الهدى ، فتبادل الرأي مع الأمير عثمان بن معمر فوافقه عثمان على ذلك وقال له : « دونكها فاهدمها » فقال له الشيخ : « اني اخشى ان يقاومنا أهل الجبيلة ويفتكوا بنا ولذلك اطلب اليك ان ترافقنا فوجودك اضمن للنجاح »، فاعد عثمان بن معمر ستمائة رجل مسلح من قومه ورافق الشيخ الى الجبيلة (التي لا تبعد عن العيينة اكثر من خمسة وعشرين كيلومتراً) . وكان معهم الشيخ احمد بن سويلم العريني . ولما ادرك اهل الجبيلة غرض القادمين جمعوا جموعهم واستعدوا للمقاومة وتوزعوا في المراكز المحصنة ورابطوا فيها ولكنهم ما لبثوا أن تراخوا ولانوا حينما رأوا أن الأمر جد وأن الشيخ ومن معه مصممون فخلوا بينهم وبين ما عزموا عليه . ولما دنا الشيخ ومن معه من القبه المقامة على قبر زيد بن الخطاب تهيب الأمير عثمان وبعض من كان معه واحجموا عن القيام بالهدم فشمر الشيخ عن ساعد العمل وأخذ الفأس

بيده وهوى عليها بالهدم فهدمت ثم هدمت المشاهـــد الأخرى حتى تساوت بالارض . وقد اشترك الشيخ احمد بن سويلم واناس آخرون بعملية الهدم بعد ان شجعهم الشيخ على ذلك وتم ذلك دون ان تُراق من أجله قطرة دم .

كان بعض جهلة الناس يعتقدون بأن من يقدم على هدم تلك القبب ويقطع تلك الاشجار لا بد ان يصاب بمكروه ، وكانوا تبعاً لذلك يتوقعون ان يُصاب الشيخ ومن معه بعد ذلك العمل بأذى . فلما انقضت مدة وهو يتمتع بأكمـــل صحـــة ضعف اعتقادهم بتلك القبور وقدسيتها وقدرة ساكنيها عـــلى شيء وعجزهم عن حماية القباب التي كانت مشادة على قبورهم وآمنوا بأنهم كانوا على خطإ في الاعتقاد بقدرة القبب والاشجار على جلب النفع ودفع الضر .

نفذ الشيخ خطته في سبيل الهدي والارشاد باسلوب ناجح ودمّر كل مـــا كان في البلاد الخاضعة لابن معمر من مشاهد واوثان وقباب وقطع ما كـــان هنالك ايضاً من اشجار فكانت امارة العيينة اول بلد من بلاد نجد تطبق مبادىء دعوة الشيخ واول من آمن بها ودافع عنها .

وضجّت نجد لهذه الحوادث ، وكان لها صداها الكبير ودويها العظيم الهائل ، وتناقل الناس اخبار الشيخ واكثروا عنه الحديث فهبت الفتنة العمياء من رقدتها ورفعت رأسها من جديد وكانت هذه المرة اشد وطأة واقوى بأساً وقد تبنّاها اناس ذوو عزم شديد فاخذوا بالطعن على الشيخ ومقاومة دعوته وتكلموا بكفره واستحلال دمه وماله . وكان من اشهر الثائرين على الشيخ واشدهم عداءً لـــه وانكاراً لدعوته ابن اسماعيل ، والمويسي ، وابن عبيد ، واحمد بن يحيى ، وعبد الله بن سحيم ، وسليمان بن سحيم ، وابوه محمد ، وغيرهم ، فكتب بعضـــس هؤلاء رسائل عديدة الى بلاد الحساء ومكـــة والمدينة والبصرة وبغـــداد والشام يظهرون للنـــاس أن الدعوة التي يدعو اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي خروج عن الدين ، وانها من حركات الضلال والفساد والكفر ، وان صاحبها من اشر الخوارج طريقة .

وصنفوا المصنفات الكثيرة واتّهموا الشيخ فيها بانه صاحب بدعة منكرة ومارق عن الدين الاسلامي ومغير للشرع المحمدي ولا معرفة له بدقائق الدين وسطروا في مصنفاتهم حتّى الجزم بكفره . وبلغ من سوء نيتهم وكمين حقدهم انهم انكروا من الشرع الامور المعروفة حتّى انهم اتّهموا الامير عثمان بن معمر ومن معه بانهم يتخلفون عن صلاة الجماعة ويهملون تأديب من يتخلف عن القيام بها وكذلك في جباية الزكاة وفي غير ذلك من امور الدين .

وكان بعض دعاة هذه الفئة المعادية للشيخ تنبث بين البدو في نجد وتحذرهم من حضور الصلاة والإقامة مع اتباع الشيخ وسماع الاذان منهم . وقد حسب اعداء الشيخ انهم بهذا العمل سيصدون الشيخ ولو قليلاً عن نشاطه او يركن اليهم أو يفوزون منه بما يأملون ، ولكن الشيخ اشتد بدعوته وتمسكه واعتصامه بالكتاب والسنّة والعمل بما جاء من هدي الاصحاب وبما اختاره الأئمة الاربعة الذين شاعت مذاهبهم في الأمة .

والتزم الشيخ جانب الدفاع عن دعوته والرد على خصومه ومفترياتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وببعث الرسائل الى بعض رجال الدين الذين يثق بهم ليدفعوا الشبهات عن انفسهم ويهتدوا الى سواء السبيل، وهذه نماذج اخرى من رسائله الى اولئك العلماء :

رسالته الثانية الى عبد الله بن سحيم

وأرسل سليمان بن محمد بن سحيم رسالة الى أهل البصرة والاحساء ، يشنع فيها على الشيخ ويفتري عليه، فسأله عنها عبدالله بن سحيم، فرد عليه بالرسالة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الله بن سحيم

وبعد ، ألفينا مكتوبك ، وما ذكرت فيه من ذكرك ما بلغك . ولا يخفاك

ان المسائل التي ذكرت انها بلغتك في كتاب من العارض جملتها ٢٤ مسألة ، بعضها حق ، وبعضها بهتان وكذب . وقبل الكلام فيها ، لا بد من تقديم اصل : وذلك ان اهل العلم اذا اختلفوا ، والجهال اذا تنازعوا ، ومثلي ومثلكم ، اذا اختلفنا في مسألة - هل الواجب اتباع امر الله ورسوله واهل العلم أو الواجب اتباع عادة الزمان التي ادركنا الناس عليها ، ولو خالفت ما ذكره العلماء في جميع كتبهم ؟ وانما ذكرت هذا،ولو كان واضحاً،لأن بعض المسائل التي ذكرت أنا قلتها ، لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم : الحنابلة وغيرهم . ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها ، فأنكرها علي من انكرها لأجل مخالفة العادة ، وإلا فقد رأوا تلك في كتبهم عياناً وأقروا بها ، وشهدوا ان كلامي هو الحق ، لكن أصابهم ما اصاب الذين قال الله فيهم : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » الآية . وهذا هو ما نحن فيه بعينه ، فان الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم ، وقد بينت ذلك له فأقر به ، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة : ان هذا هو الحق ، وأقام على ذلك سنين ، لكن أنكر آخر الامر لأسباب اعظمها البغي « ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » ، وذلك ان العامة قالوا له ولأمثاله : اذا كان هذا هو الحق ، فلأي شيء لم تنهونا عن عبادة « شمسان » وأمثاله ؟ فتعذروا انكم ما سألتمونا . قالوا وان لم نسألكم كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا ؟ وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة ، وان فيه شرفاً لغيرهم .

وأيضاً لما انكرنا عليهم أكل السحت والرشا ، الى غير ذلك من الامور ، فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان ، والله ناصر دينه ولو كره المشركون . وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء ، فضلاً عن العوام . وأنا أضرب لك مثلاً بمسألة واحدة ، وهي مسألة الاستجمار ثلاثاً فصاعداً ، من غير عظم ولا روث ، وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الاربعة وغيرهم ، وهو اجماع الامة لا خلاف في ذلك ، ومع هذا لو يفعله احد ، لصار هذا عند الناس أمراً

عظيماً ، ولنهوا عن الصلاة خلفه ، وبدعوه مع اقرارهم بذلك ، ولكن لأجل العادة .

اذا تبين هذا ، فالمسائل التي شنع بها ، منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله اني مبطل كتب المذاهب . وقوله اني اقول ان الناس من ستمائة سنة ، ليسوا على شيء . وقوله اني أدعي الاجتهاد . وقوله اني خارج عن التقليد . وقوله اني اقول ان اختلاف العلماء نقمة . وقوله اني اكفر من توسل بالصالحين. وقوله اني أكفر البوصيري لقوله « يا اكرم الخلق » . وقوله اني اقول : لو اقدر على هدم حجرة الرسول ، لهدمتها . ولو اقدر على الكعبة ، لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب . وقوله اني انكر زيارة قبر النبي ﷺ . وقوله اني انكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم . واني اكفر من يحلف بغير الله .

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها ان اقول « سبحانك هذا بهتان عظيم » . ولكن قبله من بهت النبي محمداً ﷺ ، انه يسب عيسى بن مريم ، ويسب الصالحين « تشابهت قلوبهم » . وبهتوه بأنه يزعم ان الملائكة وعيسى وعزيراً في النار ، فأنزل الله في ذلك : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » .

وأما المسائل الأخر وهي اني اقول : لا يتم اسلام الانسان حتى يعرف معنى « لا إله إلا الله » . ومنها : اني اعرف من يأتيني بمعناها . ومنها اني اقول الاله هو الذي فيه السر . ومنها تكفير الناذر اذا اراد به التقرب لغير الله ، وأخذ النذر كذلك . ومنها : ان الذبح للجن كفر ، والذبيحة حرام ، ولو يسمي الله اذا ذبحها للجن .

فهذه خمس مسائل كلها حق ، وأنا قائلها . ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل وقبل ذلك اذكر معنى « لا إله إلا الله » فنقول :

التوحيد نوعان : توحيد الربوبية ، وهو ان الله سبحانه ، متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء وغيرهم . وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل

الرجل في الاسلام ، لأن اكثر الناس مقرون به ، قال الله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار » ، الى قوله « أفلا تتقون » . وان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الالوهية ، وهو ان لا يعبد إلا الله ، لا ملكاً مقرباً ، ولا نبيّاً مرسلاً ، وذلك ان النبي ﷺ بُعث واهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يدعو الاصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا . واخبرهم ان الله ارسله ليوحد ، ولا يدعى أحد من دونه ، لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن تبعه ووحد الله ، فهو الذي شهد « ان لا إله إلا الله » ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم ، والتجأ اليهم ، فهو الذي جحد « لا إله إلا الله » ، مع اقراره انه لا يخلق ولا يرزق الا الله . وهذه جملة لها بسط طويل ، لكن الحاصل ان هذا مجمع عليه بين العلماء .

ولما جرى في هذه الامة ما أخبر به نبيها ﷺ ، حيث قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم « اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » . فصار ناس من الضالين يدعون اناساً من الصالحين الى الشدة والرخاء ، مثل عبد القادر الجيلاني ، وأحمد البدوي ، وعدي بن سافر وأمثالهم من اهل العبادة والصلاح ، فأنكر عليهم اهل العلم غاية الانكار ، وزجروهم عن ذلك ، وحذروهم غاية التحذير والانذار من جميع المذاهب الاربعة في سائر الاقطار والامصار ، فلم يحصل منهم انزجار بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار . وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فما شأنهم من ذلك .

وبين اهل العلم ، أن امثال هذا هو الشرك الاكبر . وأنت ذكرت في كتابك تقول : يا أخي ، ما لنا والله دليل الامن كلام اهل العلم . وأنا اقول كلام اهل العلم رضى ، وانا انقله لك ، وأنبهك عليه ، فتفكر فيه ، وقم لله ساعة ناظراً ومناظراً مع نفسك ومع غيرك ، فان عرفت ان الصواب معي ، وان دين الاسلام اليوم من اغرب الاشياء ، اعني دين الاسلام الصرف الذي لا

يمزج بالشرك والبدع .. أما الاسلام الذي ضده الكفر ، فلا شك ان أمة محمد ﷺ آخر الامم ، وعليها تقوم الساعة .

فان فهمت ان كلامي هو الحق ، فاعمل لنفسك ، واعلم ان الامر عظيم ، والخطب جسيم ، فان اشكل عليك شيء ، فسفرك الى المغرب في طلبه غير كثير . واعتبر لنفسك ، حيث كتبت لي فيما مضى : ان هذا هو الحق الذي لا شك فيه ، لكن لا نقدر على تغيير ، وتكلمت بكلام حسن ، فلما غربلك الله بولد المويس ولبس عليك ، وكتب لأهل « الوشم » يستهزىء بالتوحيد ، ويزعم انه بدعة وانه خرج من خراسان ، ويسب دين الله ورسوله ، لم تفطن لجهله وعظيم ذنبه ، وظنت ان كلامي فيه من باب الانتصار للنفس ، وكلامي هذا لا يغيرك فان مرادي ان تفهم ان الخطب جسيم ، وان أكابر اهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه ، فضلاً عنا وعن امثالنا ، فلعله ان أشكل عليك ، تواجهني ، هذا ان عرفت انه حق ، وان كنت نقلت لك عبارات العلماء ، وعرفت اني لم افهم معناها ، وان الذين نقلت اليك كلامهم أخطأوا ، وانهم خالفهم أحد من اهل العلم ، فنبهني على الحق وأرجع اليه ان شاء الله تعالى .

فنقول :

قال الشيخ تقي الدين : وقد غلط في مسمى التوحيد ، طوائف من اهل النظر ، ومن اهل العبادة ، حتى قلبوا حقيقته . فطائفة ظنت ان التوحيد هو نفي الصفات ، وطائفة ظنوا انه الاقرار بتوحيد الربوبية . ومنهم من اطال في تقرير هذا الموضع وظن انه بذلك قرر الوحدانية ، وان الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك . ولم يعلم ان مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد، قال الله تعالى « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون » الآيات . وهذا حق لكن لا يخلص به عن الاشراك بالله الذي لا يغفره الله ، بل لا بد أن يخلص الدين لله ، فلا يعبد إلا الله ، فيكون دينه لله ، والإله هو المألوه الذي تؤلهه القلوب . وأطال رحمه الله الكلام .

وقال ايضاً في الرسالة السنية التي ارسلها الى طائفة من اهل العبادة ، ينتسبون الى بعض الصالحين ويغلون فيه ، فذكر حديث الخوارج ، ثم قال :

فاذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن ينتسب الى الاسلام ، من مرق منه ، مع عبادته العظيمة ، فليعلم ان المنتسب إلى الاسلام قد يمرق من الدين ، وذلك بأمور منها : الغلو الذي ذمه الله ، مثل الغلو في عدي بن مسافر او غيره ، بل الغلو في علي بن ابي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه . فكل من غلا في نبي ، او صحابي ، أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الألوهية ، مثل ان يقول : يا سيدي فلان اغثني ، او أنا في حسبك ، ونحو هذا ، فهذا كافر يستتاب ، فان تاب ، وإلا قتل ، فان الله سبحانه إنما ارسل الرسل وأنزل الكتاب ، ليعبد ولا يدعى معه إله اخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى ، مثل الشمس ، والقمر ، والصالحين ، والتماثيل المصورة على صدورهم ، لم يكونوا يعتقدون انها تنزل المطر ، او تنبت النبات ، وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ، ويقولون « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى عن ان يدعى احد من دونه ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة .

وأطال الكلام رحمه الله . فتأمل كلامه في اهل عصره من اهل النظر الذين يدعون العلم ، ومن اهل العبادة الذين يدعون الصلاح .

وقال في « الاقناع » في باب « حكم المرتد » في اوله « فمن اشرك بالله او جحد ربوبيته او وحدانيته » ... الى ان قال « او استهزأ بالله أو رسله ، قال الشيخ ، او كان مبغضاً لرسوله او لما جاء به اتفاقاً ، او جعل بينه وبين الله وسائط : « يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم — كفر اجماعاً » الى ان قال : « او أنكر الشهادتين او احداهما » .

فتأمل هذا الكلام بقلبك ، وتأمل هل قالوا هذا في اشياء وجدت في زمانهم واشتد نكيرهم على اهلها ، او قالوها ولم تقع ؟ وتأمل الفرق بين جحد الربوبية

والوحدانية ، والبغض لما جاء به الرسول .

وقال ايضاً في اثناء الباب : ومن اعتقد ان لأحد طريقاً الى الله غير متابعة محمد ﷺ ، أو لا يجب عليه اتباعه ، او لغيره خروجاً عن اتباعه ، او قال : انا محتاج اليه في علم الظاهر دون علم الباطن ، او في علم الشريعة دون علـــم الحقيقة ، او قال ان من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى — كفر في هذا كله .

ولو تعرف من قال هذا الكلام فيهم ، وجزم بكفرهم ، وعلمت ما هم عليه من الزهد والعبادة ، وانهم عند أكثر اهل زماننا من اعظم الاوليـــاء ، لقضيت بالعجب .

وقال ايضاً في الباب : ومن سب الصحابة واقترن بسبه دعوى ان عليّـــاً إله او نبي ، او ان جبريل غلط ، فلا شك في كفر من توقف في تكفيره .

فتأمل هذا ، اذا كان كلامه هذا في علي ، فكيف بمن ادعى ان ابن عربي او عبد القادر إله . وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تؤلهه القلوب ، واعلم ان المشركين في زماننا ، قد زادوا على الكفار في زمان النبي ﷺ ، بأنهـــم يدعون الصالحين في الرخاء والشدة ، ويطلبون منهم تفريج الكربات ، وقضاء الحاجات . والكفار زمن النبي ، مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم ، والتقرب بهم ، والا فهم مقرون بأن الامر لله ، فهم لا يدعونهم الا في الرخاء ، فاذا جاءتهم الشدائد ، أخلصوا لله . قال الله تعـــالى : « فاذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم » : الآية .

وقال ايضاً في « الاقناع » في الباب : ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله . وهو عقد ورقي ، وكلام يتكلم بـــه او يكتبه ، او يعمـــل شيئاً يؤثر في بدن المسحور ، او قلبه ، او عقله . ومنه ما يقتل ، ومنه ما يمرض ، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ، ومنه ما يبغض احدهما للآخر ، ويحبب بين

اثنين ، ويكفر بتعلمه وفعله ، سواء اعتقد تحريمه او اباحته .

فتأمل هذا الكلام ، ثم تأمل ما جرى في الناس ، خصوصاً الصرف والعطف ـ تعرف ان الكفر ليس ببعيد ، وعليك بتأمل هـذا الباب في « الاقنـاع » وشرحه ، تأملاً جيداً ، وقف عند المواضع المشكلة وذاكر فيها ، كما تفعل في باب الوقف والاجارة ، يتبين لك ان شاء الله امر عظيم .

وأما الحنفية ، فقال الشيخ قاسم في شرح « درر البحار » : النذر الـذي يقع من أكثر العوام ، وهو ان يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلاً : يا سيدي فلان ، ان رد غائبي ، او عوفي مريضي ، او قضيت حاجتي فلك كذا وكذا ـ باطل اجماعاً ، لوجوه منها : ان النذر للمخلوق لا يجوز . ومنهـا ، ظن ان الميت يتصرف في الامر ، واعتقاد هذا كفر ... الى ان قال اذا عرف هذا ، فما يؤخذ من الدراهم ، والشمع والزيت ونحوهما ، وينقل الى ضرائح الاولياء ، فحرام باجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذه ، لا سيما في مولد أحمد البدوي .

فتأمل قول صاحب النهر مع انه بمصر ، ومقر العلماء ، كيف شاع بين اهل مصر ، ما لا قدرة للعلماء على دفعه . فتأمل قوله « من اكثر العوام » أتظن ان الزمان صلح بعده ؟

وأما المالكية فقال الطرطوشي في كتاب « الحوادث والبدع » : روى البخاري عن ابي واقد الليثي قال « خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ، ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها « ذات انواط » ، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط ، فقال : الله اكبر ، هذا كما قال بنو اسرائيـل لموسى « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكم » .

فانظروا رحمكم الله ، أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهي ذات انواط فاقطعوها . وقال ﷺ : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس » . ومعنى هذا ،

ان الله لما جاء بالاسلام ، فكان الرجل اذا أسلم في قبيلة غريباً مستخفاً باسلامه قد جفاه العشيرة ، فهو بينهم ذليل خائف، ثم يعود غريباً لكثرة الاهواء المضللة والمذاهب المختلفة حتى يبقى اهل الحق غرباء في الناس ، لقلتهم وخوفهم على انفسهم . وروى البخاري عن ام الدرداء ، عن ابي الدرداء قال « والله ما اعرف فيهم من امر محمد الا انهم يصلون جميعاً » وذلك انه انكر اكثر افعال اهل عصره . وقال الزهري : دخلت على انس بن مالك بدمشق وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : ما اعرف فيهم شيئاً مما ادركت الا هذه الصلاة . وهذه الصلاة قد ضيعت .

انتهى كلام الطرطوشي .

فليتأمل اللبيب هذه الاحاديث ، وفي اي زمان قيلت ، وفي اي مكان ، وهل انكرها احد من اهل العلم ، والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة ، وقول الصادق الصدوق انه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم ، اجعل لنا إلهاً : يا عجباً اذا جرى هذا من أولئك السادة ، كيف ينكر علينا ان رجلاً من المتأخرين غلط في قوله يا اكرم الخلق ، كيف تعجبون من كلامي فيه ، وتظنونه خيراً واعلم منهم .

ولكن هذه الامور لا علم لكم بها ، وتظنون ان من وصف شركاً او كفراً انه الكفر الاكبر المخرج عن الملة ، ولكن اين كلامك هذا من كتابك الذي ارسلت الي قبل ان يبتليك الله بصاحب الشام ، وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق ، وتعتذر انك لا تقدر على الانكار .

ومرادي ان ابين لك كلام الطرطوشي وما وقع في زمانه من الشرك بالشجر مع كونه في زمن القاضي ابي يعلى ، أتظن ان الزمان صلح بعده ؟

واما كلام الشافعية ، فقال الامام محدث الشام ابو شامة في كتاب « الباعث على انكار البدع والحوادث » وهو في زمن الشارح وابن حمدان، وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الاسلام المنتمين الى الفقر الذي حقيقته الافتقار من

الايمان ، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين ، فهم داخلون تحت قوله : « ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »، وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر : من عبادة الاصنام وغيرها . ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطـــان ، والعمد ، واسراج مواضع في كل بلد، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون انهم يتقربون الى الله ، ثم يجاوزون ذلك ، الى ان يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم ويرجون الشفاء لمرضاهم ، وقضـــاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي بين عيون وشجر ، وحائط وحجر ، وفي دمشق ، صانها الله ، من ذلك مواضع متعددة ، كعوينة الحمى ، والشجرة الملعونـــة خارج باب النصر ، سهل الله قطعها ، فما اشبهها بذات انواط . ثم ذكر كلاماً طويلا الى ان قال : اسأل الله الكريم ، معافاته من كل ما يخالف رضاه ، ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه .

فتأمل ذكره في هذا النوع ، انه نبذ لشريعة الاسلام ، وانه خروج عن الايمان . ثم ذكر انه عم الابتلاء به في الشام .

فأنت قل لصاحبكم : هؤلاء العلماء من الأئمة الاربعة ، ذكروا ان الشرك عم الابتلاء به وغيره ، و صاحوا بأهله من اقطار الارض وذكروا ان الدين عاد غريباً ، فهو بين اثنين ، اما ان يقول : كل هؤلاء العلماء جاهلون ، ضالون مضلون خارجون ، واما ان يدعي ان زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك .

ولا يخفاك اني عثرت على اوراق عند ابن عزاز ، فيها اجازات له من عند مشايخه ، وشيخ مشايخه رجل يقال له عبد الغني ، ويثنون عليه في اوراقهم ، ويسمونه العارف بالله ، وهذا اشتهر عنه انه على دين ابن عربي الذي قال العلماء عنه انه أكفر من فرعون ، حتى قال ابن المقري الشافعي : من شك في كفر طائفة ابن عربي ، فهو كافر . فاذا كان امام دين ابن عربي والداعي اليه ، هو شيخهم ويثنون عليه انه العارف بالله ، فكيف يكون الامر ؟ ولكن اعظم من

هذا كله ، ما تقدم من أبي الدرداء ، وانس ، وهما بالشـــام ، ذلك الكلام العظيم ، واحتج به اهل العلم على ان زمانهم اعظم ، فكيف بزماننا . وقال ابن القيم رحمه الله في « الهدي النبوي » في الكلام على حديث وفد الطائف ، لما اسلموا وسألوا النبي ﷺ ، ان يترك لهم اللات لا يهدمها سنة ، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة ، قال : ومنها انه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوماً واحداً ، فانها شعائر الشرك والكفر ، وهي أعظم المنكرات ، فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البتة . وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً تُعبد من دون الله . والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، بل اعظم شركاً عندهم وبها ، والله المستعان .

ولم يكن احد من ارباب هذه الطواغيت يعتقد انها تخلق وترزق ، وانما كانوا يفعلون عندها وبها ، ما يفعله اخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من قبلهم ، وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وغلب الشرك على اكثر النفوس ، لغلبة الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطمست الاعلام ، واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء ، وتفاقم الامر ، واشتد اليأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس .

انتهى كلامه .

وقال ايضاً في الكلام على هذه القصة : لما ذكر ان النبي ﷺ ، اخذ مال اللات وصرفه في المصالح ، ومنها جواز صرف الامام الاموال التي تصير الى هذه الطواغيت في الجهاد ، ومصالح المسلمين ، فيجب عليه ان يأخذ اموال هذه الطواغيت التي تساق اليها ، ويصرفها على الجند والمقاتلة ، ومصالـــح الاسلام ، كما اخذ النبي ﷺ ، اموال اللات ، وكذا الحكم في وقفهـــا ،

والوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع ، فيصرف في مصالح المسلمين ، فان الوقف لا يصح الا في قربة وطاعة لله ورسوله . فلا يصح على مشهد، ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ، ويعبد من دون الله ، وهذا مما لا يخالف فيه احد من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم .

انتهى كلامه .

فتأمل كلام هذا الرجل الذي هو من اهل العلم ، وهو ايضاً من الشام ، كيف صرح انه ظهر في زمانه فيمن يدعي الاسلام في الشام وغيره ، عبادة القبور والمشاهد والاشجار — التي هي اعظم من عبادة اللات والعزى ، أو مثله ، وان ذلك ظهر ظهوراً عظيماً حتى غلب الشرك على اكثر النفوس ، وحتى صار الاسلام غريباً بل اشتدت غربته . أين هذا من قول صاحبكم لأهل « الوشم » في كتابه ، لما ذكروا له ان في بلدانكم شيئاً من الشرك ، يأبى الله ان يكون ذلك في المسلمين . وكلام هؤلاء الأئمة من اهل المذاهب الاربعة اعظم واطم مما قال ابن عيدان وصاحبه في اهل زمانهما . أفترى هؤلاء العلماء أتوا فرية عظيمة ومقالة جسيمة ؟

فهذا ما يسر الله نقله من كلام اهل العلم على سبيل العجلة ، فانت تأمله جيداً ، واجعل تأملك لله ، مستعيذاً بالله من اتباع الهوى ، ولا تفعل فعلك اولاً لما ذكرت لك انك تتأمل كلامي وكلامه ، فان كان كلامي صحيحاً لا مجازفة فيه ، وان شاميكم لا يعرف معنى لا إله إلا الله ، ولا يعرف عقيدة الامام احمد وعقيدة الذين ضربوه ، فاعرف قدره فهو بغيره اجهل ، واعرف ان الامر جليل ،فان كان كلامي باطلاً ، ونسبت رجلاً من اهل العلم الى هذه الامور العظيمة بالكذب والبهتان ، فالأمر ايضاً عظيم — فأعرضت عن ذلك كله ، وكتبت الي كتاباً في شيء آخر . فان كان مرادك اتباع الهوى ، اعاذنا الله منه ، وانك مع ولد المويس كيف كان ، فاترك الجواب ، فان بعض الناس يذكرون عنك انك صائر معه لأجل شيء من امور الدنيا ، وان كتت مع الحق فلا اعذرك من تأمل كلامي هذا ، وكلامي الاول ، وتعرضهما على كلام اهل

العلم ، وتحررهما تحريراً جيداً . ثم تتكلم بالحق .

اذا تقرر هذا . فخمس المسائل التي قدمت جوابها في كلام العلماء ، واضيف اليها مسألة سادسة ، وهي افتائي بكفر شمسان واولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت ، ذلك انهم يدعون الناس الى عبادتهم من دون الله ، عبادة اعظم من عبادة اللات والعزى ، باضعاف ، وليس في كلامي مجازفة . بل هو الحق ، لأن عبّاد اللات والعزى ، يعبدونها في الرخاء . ويخلصون لله في الشدة ، وعبادة هؤلاء اعظم من عبادتهم اياهم في شدائد البر والبحر .

فان كان الله اوقع في قلبك معرفة الحق ، والانقياد له ، والكفر بالطاغوت والتبرؤ ممن خالف هذه الاصول ، ولو كان اباك او أخاك . فاكتب الي وبشرني ، لأن هذا ليس مثل الخطإ في الفروع ، بل ليس الجهل بهذا — فضلاً عن انكاره — مثل الزنا والسرقة ، بل والله ثم والله ، ان الامر اعظم . وان وقع قلبك إشكال ، فاضرع الى مقلب القلوب ، ان يهديك لدينه ودين نبيه .

وأما بقية المسائل ، فالجواب عنها ممكن اذا خلصنا من شهادة ان لا إله إلا الله ، وبيننا وبينكم فيها كلام اهل العلم ، لكن العجب من قولك انا هادم قبور الصحابة ، وعبارة « الاقناع » في الجنائز : يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول . والنبي ﷺ ، صح عنه انه بعث علياً ليهدم القبور . ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم : ان ابن عبد الوهاب ابتدع لأنه انكر على رجل تزوج اخته . فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه .

وأما قولي : ان الاله الذي فيه السر ، فمعلوم ان اللغات تختلف : فالمعبود عند العرب ، والاله الذي يسميه عوامنا « السيد » و « الشيخ » و « الذي فيه السر » ، والعرب الاولون يسمون الالوهية ما يسميها عوامنا « السر » لأن السر عندهم ، هو القدرة على النفع والضر ، وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويتوكل عليه . فاذا قال رسول الله ﷺ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وسأل بعض العامة ما فاتحة الكتاب ، ما فسرت له الا بلغة بلده ، فتارة تقول له هي فاتحة الكتاب ، وتارة تقول هي ام القرآن ، وتارة تقول هي الحمد .

وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد . ولكن ان كان « السر » في لغة عوامنا ليس هذا ، وان هذا ليس هو الإله في كلام اهل العلم ، فهذا وجه الانكار فبينوا لنا .

وأما قول ابن سحيم في اول الرسالة : انه عمد الى شهداء اصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة : زيد بن الخطاب واصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها لأجل انهم في حجارة ولا يقدرون ان يحفروا لهم ، فطووا على اضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع ، والدافن لهم خالد بن الوليد واصحاب رسول الله ﷺ ، وعمد ايضاً الى مسجد في ذلك المكان وهدمه .. الى آخره . فهذا الكلام ذكر فيه ما هو حق وصدق ، وذكر فيه ما هو كذب وزور وبهتان .

فالذي جرى من الشيخ رحمه الله وأتباعه ، انه هدم البناء الذي على القبور ، والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون انه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك كذب ظاهر ، فان قبر زيد رضي الله عنه ، ومن معه من الشهداء ، لا يعرف اين موضعه ، بل المعروف ان الشهداء من اصحاب رسول الله (ص) قتلوا في ايام‌مسيلمة في هذا الوادي ، ولا يعرف اين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره وانما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فافتتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات . فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره وذلك المسجد المبني على المقبرة اتباعاً لما امر الله به ورسوله من تسوية القبور والنهي الغليظ الشديد في بناء المساجد عليها ، كما يعرف ذلك من له ادنى ملكة من المعرفة والعلم .

وقوله « وبعثرها لاجل انهم من حجارة ولا يقدرون ان يحفروا لهم فطووا على اضرحتهم قدر ذراع ، ليمنعوا الرائحة والسباع ، فكل هذا كذب وزور

وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور ، وكلامه هذا تكذيب المشاهدة ، فان الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر واهل العيينة والجبيلة وغيرهما من بلدان العارض يدفنون موتاهم في تلك المقبرة شمالاً وجنوباً ، ولكن هذا العدو واشباهه يرمون هذا الشيخ بالامور الفظيعة والاهوال الهائلة الشنيعة ، لكي ينفر السامعون لذلك عن الدخول في دين الله ، وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم ».

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

ان تفضلتم بالسؤال فنحمد الله اليكم ، الذي لا إله إلا هو ، ونحن بخير وعافية ، جعلكم الله كذلك واحسن من ذلك . وابلغوا لنا الوالد السلام — سلمه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . وغير ذلك في نفسي عليه بعض الشيء من جهة المكاتيب لما حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل ، ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر انه معطيها بعض السفهاء يقرءونها على الناس . وانا اعتقد فيه المحبة ، واعتقد ايضاً ان له غاية وعقلاً ، وهو صاحب فضل علينا فلا ودي يعقبه بالاذى ويكدر هذه المحبة بلا منفعة في العاجل والآجل . وانا الى الآن ما تحققت ذلك واهوجس فيه بالهاجوس الجيد . وذكر ايضاً عنه بعض الناس بعض الكلام الذي يشوش الخاطر .

فان كان يرى ان هذا ديانة ، ويعتقده من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأنا ولله الحمد لم آت الذي اتيت بجهالة ، واشهد الله وملائكته انه ان اتاني منه ، او ممن دونه في هذا الامر ، كلمة من الحق — لأقبلنها على الرأس والعين واترك قول كل امام اقتديت به ، حاشا رسول الله ﷺ ، فانه لا يفارق الحق .

فان كانت مكاتيب اولياء الشيطان ، وزخرفة كلامهم — الذي اوحى اليهم ، ليجادل في دين الله ، لما رأى ان الله يريد ان يظهر دينه — غرته ، واصغت اليها افئدتكم ، فاذكروا لي حجة مما فيها ، او كلها ، او في غيرها من الكتب مما تقدرون عليه انتم ومن وافقكم ، فان لم اجاوبه بجواب فاصل بيِّن ، يعلم كل من هداه الله انه الحق ، وان تلك هي الباطل — فأنكروا علي .

وكذلك عندي من الحجج الكثيرة الواضحة ما لا تقدرون انتم ولا هم ان تجيبوا عن حجة واحدة منها ، وكيف لكم بملاقاة جند الله ورسوله ؟ وان كنتم تزعمون ان اهل العلم على خلاف ما انا عليه ، فهذه كتبهم موجودة — ومن اشهرهم واغلظهم : كلام الامام احمد — كلهم على هذا الامر لم يشذ منهم رجل واحد ولله الحمد ، ولم يأت عنهم كلمة واحدة انهم ارخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنّة من امركم فضلاً عن ان يوجبوه .

وان زعمتم ان المتأخرين معكم فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم : ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن رجب ، عندنا له مصنف مستقل في هذا . ومن الشافعيـــة : الذهبي وابن كثير ، وغيرهم وكلامهم في انكار هذا اكـــثر من ان يحصر . وبعض كلام الامام احمد ذكره ابن القيم في « الطرق الحكمية » فراجعه . ومن ادلة شيخ الاسلام : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » ، الآية ، فقد فسرها رسول الله ﷺ والأئمة بعده ، بهذا الذي تسمونه : الفقه وهو الذي سماه الله شركاً واتخاذهم ارباباً — لا اعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً .

والحاصل ان من رزقه الله العلم يعرف ان هذه المكاتيب التي اتتكم وفرحتم بها وقرأتموها على العامة — من عند هؤلاء الذين تظنون انهم علماء ، كما قال الله تعالى « وَكَذَلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِــينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً [1] » الى قوله « ولتصغي اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » لكن هذه الآيات

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٢ .

نحوها عندكم من العلوم المهجورة . بل اعجب من هذا انكم لا تفهمون شهادة ان « لا إله إلا الله » ولا تنكرون هذه الاوثان التي تُعبد في « الخرج » وغيره ، التي هي الشرك الأكبر باجماع اهل العلم ، هذا آخر ما وجد من الرسالة .

وهذه رسالة كتبها الى عبد الله بن عبد الوهاب بن عيسى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الوهاب بن عبد الله :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد وصل كتابك وما ذكرت فيه من الظن والتجسس وقبول خبر الفاسق ، فكل هذا حق واريد به باطل . والعجب منك اذا كنت من خمس سنين تجاهد جهاداً كبيراً في رد دين الاسلام ، فاذا جاءك مساعد ، او ابن راجح ، والا صالح بن سليم . واشباه هؤلاء الذين تلقنهم شهادة ان « لا إله إلا الله » وان عبادة المخلوقات كفر . وان الكفر بالطاغوت فرض — قمت تجاهد وتبالغ في نقض ذلك والاستهزاء بـه . وليس الذي يذكر هـذا عنك بعشرة والا عشرين ولا ثلاثين ، ولا انت بمتخف في ذلك ، ثم تظن في خاطرك ان هـذا يخفى علي . وأنا اصدقك إذا قلت ما قلت ، ولو أن الذي جرى عشرة او عشرون اوثلاثون مرة امكن تعداد ذلك . واحسن ما ذكرت انك تقول : « ربنا ظلمنا انفسنا » وتقر بالذنب ، وتجاهد في اطفاء الشرك واظهار الاسلام ، كما جاهدت في ضده . ويصير ما تقر به كأن لم يكن .

فان كنت تريد الرفعة في الدنيا والجاه لك بذلك ما لا يحصل بغيره من الأمور بأضعاف مضاعفة ، وان اردت به الله والدار الآخرة ، فهي التجارة الرابحة وأتتك الدنيا تبعاً . وان كنت تظن في خاطرك انا نبغي ان نداهنك في دين الله — ولوكنت اجل عندنا مما كنت — فأنت مخالف . فان كنت تتهمني بشيء مـن امور الدنيا فلك الشرهة . فان كان اني ادعو لك في سجودي ، وانت وأبوك أجل الناس الي وأحبهم عندي . وأمرك هذا اشق علي من أمر اهل الحسا ، فعسى الله ان يهدينا واياك لدينه القيم ، ويطرد عنا الشيطان ، ويعيذنا من طريق

المغضوب عليهم ولا الضالين .

وهذه ارسلها ايضاً الى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الله بن عيسى ، وعبد الوهاب :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد ذكر لي انكم زعلانون علي في هذه الايام بعض الزعل ، ولا يخفاك اني زعلان زعلاً كبيراً ، وناقد عليكم نقوداً اكبر من الزعل ، ومعي في هذه الايام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم ، والله سبحانه اذا اراد امراً ، فلا راد له ، والا ما خطر على البال انكم ترضون لانفسكم بهذا ، ثم من العجب كفكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة ، وتقولون : لا يتعين علينا الفتيا ، ثم تبالغون في مثل هذه الامور ، مثل التذكير الذي صرحت الادلة والاجماع وكلام « الاقناع » بانكاره . ولا ودي انكم — بعد ما انزلكم الله هذه المنزلة ، وانعم عليكم بما تعلمون وما لا تعلمون ، وجعلكم من اكبر اسباب قبول الناس لدين ربكم وسنّة نبيكم ، وجهادكم في ذلك وصبركم على مخالفة دين الآباء — انكم ترتدون على أعقابكم !

وسبب هذا انه ذكر لي عنكم انكم ظننتم اني اعنيكم ببعض الكلام الذي أجبت به من اعتقد حل الرشوة ، وانه مزعلكم . فيا سبحان الله ! كيف أعنيكم به وانا كاتب لكم تسجلون عليه وتكونون معي أنصاراً لدين الله .

وقيل لي : انكم منتقدون علي بعض الغلظة فيه على ملقاه والامر اغلظ مما ذكرنا . ولولا ان بعض الناس الى الآن ما عرفوا دين الرسول وانهم يستنكرون الامر الذي لم يألفوه — لكان شأن آخر .

وبالحاجز لا يخفاكم ان معي غيظاً عظيماً ومضايقة من زعلكم ، وانتم تعلمون ان رضا الله الزم ، والدين لا محاباة فيه ، وانتم من قديم لا تشكّون

فيّ ، والآن غايتكم قريبة ، وداخلتكم الريبة . واخاف ان يطول الكلام فيجري فيه شيء يزعلكم ، وانا في بعض الحدة فانا اشير عليكم والتزم ان عبد الوهاب يزورنا ، سواء كان يومين ولا ثلاثة ، وان كان اكثر بصير قطعاً لهذه الفتنة . ويخاطبني واخاطبه من الرأس ، وان كان كبر عليه الامر ، فيوصي لي ، واعين له ، فان الامر الذي يزيل زعلكم ، ويؤلف الكلمة ، ويهديكم الله بسببه ، نحرص عليه ولو هو اشق من هذا ، اللهم الا ان تكونوا ناظرين شيئاً من امر الله ، فالواجب عليكم اتباعه ، والواجب علينا طاعتكم ، والانقياد لكم ، وان ابينا كان الله معكم وخلقه .

ولا يخفاكم انه وصلني امس رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير ، وتطلبون مني جواباً عن ادلتكم ، وانتم ضحكتم على ابن فيروز وتسافهتموه وتساخفتم عقله في جوابه ، لكن ما انا بكاتب لهم جواباً ، لان الامر معروف انه منكم ، واخاف ان اكتب لهم جواباً فينشرونه ، فيزعلكم واشوف غايتكم قريبة ، وتحملون الامر على غير محمله .

والسلام عليكم

وهذه ارسلها الى عبد الله بن عيسى عالم الدرعية ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبدالله بن عيسى

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اما بعد :

فقد قال ابن القيم في « اعلام الموقعين » قال الله تعالى : فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ... (١) » فقسم الامر الى امرين لا ثالث لهما : اما الاستجابة للرسول ، واما اتباع الهوى . وذكر كلاماً في تقرير ذلك الى ان قال : ثم اخبر سبحانه ان من تحاكم او حاكم الى غير

(١) سورة القصص ، آية ٥٠ .

ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم عليه – يعني الآيات في النساء : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ...) [1] .

قال : والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من : معبود ، او متبوع ، او مطاع . فطاغوت كل قوم : من يتحاكمون اليه – غير الله ورسوله – او يتبعونه على غير بصيرة من الله ، او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة لله . فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت احوال الناس معها – رأيت اكثرهم ممن اعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله ، الى طاعة الطاغوت ومتابعته ، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الامة – وهم الصحابة ومن تبعهم – قال الله (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [2]) والزبر : الكتب . أي كل فرقة صنفوا كتباً اخذوا بها ، وعملوا بها ، دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء .

وقال : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ... [3]) قال ابن عباس : تبيض وجوه اهل السنة والائتلاف ، وتسود وجوه اهل الفرقة والاختلاف .

هذا كله كلام ابن القيم .

وقال الشيخ تقي الدين في كتاب « الايمان » : قال الله تعالى « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ [4] » وفي حديث عن ابن حاتم انه قال للنبي (ص) « انا لسنا نعبدهم . قال : اليس يحرمون ما أحلّ

---

(١) سورة النساء ، آية ٦٠ .
(٢) سورة المؤمنون ، آية ٥٣ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ١٠٦ .
(٤) سورة التوبة ، آية ٣٢ .

الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ قلت : بـلى . قال : فتلك عبادتهم » رواه الامام احمد والترمذي وغيره .

وقال ابو العالية : انهم وجدوا في كتاب الله ما امروا به وما نهوا عـنه فقالوا : لن نسبق احبارنا بشيء . فما امرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقوله « ونبذوه وراء ظهورهم » انتهى كلام ابن تيمية .

فتأمل هذا الكلام بقلبك ، ثم نزله على احوال الناس وحالك ، وتفكر في نفسك وحاسبها باي شيء تدفع هذا الكلام ، وباي حجة تحتج يوم القيامة على ما انت عليه ؟ فان كان عندك شبهة فاذكرها ، فانا ابينها ان شاء الله تعالى . والمسألة مثل الشمس ولكن من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وان لم يتسع عقلك لهذا فتضرع الى الله بقلب حاضر ، خصوصاً في الاسحار ، ان يهديك للحق ويريك الباطل باطلاً وفربدينك ، فان الجنة والنـار امامك والله المستعان . ولا يستهجن هذا الكلام فوالله ما اردت به الا الخير .

وصلى الله على محمد وآله وسلم .

تأليف

كتاب التوحيد

اراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان يقوم بتأليف كتاب يكون فيه نفع للناس ويظهر فيه جوهر دعوة التوحيد التي يدعو اليها ينتشر بين الناس وتتداوله الايدي ويرتفع الالتباس .

فانكب على تأليفه ثمانية اشهر لا يتصل بالناس الا قليلاً حتى أتم تأليفـه وسماه «كتاب التوحيد فيما يجب في حق الله على العبيد » . فلما اتمـه وفرغ

من تأليفه خرج الى الناس يوماً في العيينة وفي يده ذلك الكتاب فقال لهم : « أشهد الله اني مكتف بما في هذا الكتاب وانا اقول ان الذي سُطّر فيه هو الحق لاغير » . فقال له رجل اسمه علي بن ربيعة وهو من كبار بني تميم من قبيلة بني سعد : « يا محمد انت رجل شريف في قومك ، لا تقل ما ليس حقاً فتندم بوقوع الفتنة بين الناس » . فقال له الشيخ : « هذا هو الكتاب اقرأه فان وجدت فيه خللاً عاتبني به » . فأخذ علي بن ربيعة الكتاب وجعل ينظر فيه من اوله الى آخره ثم رده اليه قائلاً : « هذا حق فبين لنا كيفية سلوكه وما ينبغي ان يُتّبع لرواجه » . فقال له الشيخ : « طريق رواج هذا الامر النصيحة وبذل المعروف » . فقال له علي بن ربيعة : « فان لم يجر بذلك ؟ » قال له الشيخ : « فبالسيف » . فقال له علي بن ربيعة : « كيف يستحق القتل من لايتبعه ؟ » . فاجابه الشيخ : « لانه كافر مشرك » . فقال له علي : « تقول هذا ؟ » فاجابه الشيخ : « نعم وهو اعتقادي » .

فتفرق المجلس ورجع الشيخ الى داره فجاءه ابن عمه عبد الله بن حسين وقال له : « احقاً ما نقلوه عنك يا ابن العم من الخروج بهذا المذهب ؟ » فقال الشيخ : « نعم » فقال له عبدالله : « والله الذي لا يعبد غيره ان دعوت احداً من بني سنان اليه لاختطفنا رأسك » . فوقع بينهما تشاجر وجدال فأومأ عبدالله الى الشيخ بسيفه فأصابه بيده وكاد ان يبترها فقام بعض بني عمومته ليمنعوه فوقعت الفتنة بين قبائل بني تميم في العيينة وقُتل في ذلك اليوم حماد بن رشيد السعدي ، وصالح بن فهد الثاني ، وجبير بن ناصر النهدي ، وسبعة نفر آخرين كلهم من بني سنان .

وكتاب التوحيد هذا من خيرة الكتب واجودها واكثرها نفعاً في هذا الباب .

كتاب
كشف الشبهات

وواصل الشيخ مجهوده فأتبع كتابه الخالد التوحيد بكتاب آخر لا يقل عنه اهمية وفائدة واسماه «كشف الشبهات» واراد بهذا الكتاب كشف الشبهات التي كانت تعرض للناس وبيان وجه الحق فيها .

كتاب
تفسير سورة الفاتحة

ولما اشتهرت كتب الشيخ المذكورة في الآفاق طلب اليه عبدالعزيز ابن الامير محمد بن سعود صاحب الدرعية ان يكتب تفسيراً لسورة الفاتحة فكتب الشيخ التفسير وارسله اليه وكان تفسيراً قيماً مفيداً .

رجم المرأة الزانية
واثره

أحضرت أمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب امرأة من اهل العيينة قد قبض عليها وهي متلبسة بجريمة الزنا وشهد عليها شهود بذلك ، وكانت هذه المرأة تمت الى سليمان بن محمد امير الحساء بصلة قرابة ، فلما استوضح منها الشيخ عن سبب ارتكابها تلك الجريمة وهل كانت مغصوبة على القيام بها ؟ وهل ان في عقلها خللاً أو خبلاً أخبرته بصحة الجسم والعقل وانها لم تؤخذ غصباً وانها قد ارتكبت تلك الجريمة بطوعها وبمحض ارادتها مع وجود الحصانة . وكانت هذه المرأة تظن ان صلتها بامير الحساء ستعصمها من اقامة الحد . كما ظن خصوم الشيخ وانداده أنه سيمتنع عن اصدار الحكم الشرعي رهبة وخشية من نفوذ وقوة امير الحساء ، غير أن الشيخ لم يحجم ولم تأخذه بالله لومة لائم ولم

يداهن في دينه ، بل أمر برجمها عملاً بالاحكام الشرعيـــة ، فخرج الشيخ والامير عثمان بن معمر وجماعة من اتباعهما ورجموها علناً حتى ماتت وكان اول راجماً لها الامير عثمان . ثم امر الشيخ بدفنها فدفنت بمقابر المسلمين.

وكان هذا اول حكم شرعي ينفذ في نجد عن جريمة الزنا منذ امد طويل وكان لتنفيذه على هذا الشكل صداه الكبير في كثير من بلاد الجزيرة العربية .

اثارت هذه الحادثة هزة عظيمة في ارجاء الجزيرة العربية وتجاوزتها الى كثير من البلدان الاسلامية الاخرى فكثر الحديث عن الشيخ وعـــن دعوته الاصلاحية وصارت له شهرة واسعة، وحين رأى رؤساء بعض المدن وشيوخ القبائل في نجد ما صدر من الشيخ وما ناله من الشهرة هالهم الامر وتخوفوا النتائج. اما اعداء الشيخ وخصومه فكان لهم هذا الامر خير وسيلة للقيام بحملة جديدة جديدة ماكرة عنيفة ، فزعموا فيما زعموا ، ان ما صدر من الشيخ بالحكم على تلك المرأة هو حكم صحيح مطابق للقوانين الاسلامية غير ان الشيخ لا حق له بتنفيذ ذلك الحكم الا بعد الرجوع الى الامام الاعظم (أي ولي الأمر) ورفع القضية اليه واصدار الامر منه . فرد عليهم الشيخ وبين لهم ان ما فعله هو حكم الله المؤيد بالسنة والجماعة ، ومما احتج به الشيخ عليهم قوله « ان الأئمة في كل مذهب مجمعون على ان من تغلب على بلد او بلدان لـــه حكم الامام في جميع الاشياء . ولولا هـــذا ما استقامت الدنيا لأن الناس في زمن طويل قبل الامام احمد الى يومنا هذا ما اجتمعوا عـــلى امام واحـــد ولا يعرف ان احـــداً من العلماء ذكر ان شيئـــاً من الاحكـــام لا يصح الا بالامام الاعظم . وقولك هل يجب عليك ؟ نعم يجب على من قدر عليـــه وان لم يفعل أثم ولكن اعداء الله يجعلون هذه الشبهة في رد ما يقدرون على جحده كما اني لما امرت برجم الزانية قالوا لا بد من اذن الامـــام فان صح كلامهم لم تصح ولاية القضاء ولا الامامة ولا غيرها » .

فلم يستطع اعداء الشيخ من علماء الدين المكابرين الصمود للشيخ في ميدان

الحجة والجدال، فعمدوا الى طرق الغدر والخداع والمكابرة واخذوا يحرضون الرؤساء والشيوخ ويزرقون في عقيدتهم ان انتصار الشيخ وفوزه بدعوتـه معناه خروج الامر من ايدهم وان دعوته اكثر ما تعوّل على العامة. وعلى الطبعة المتوسطة والكادحة . فاجتمعت كلمة رجالى الدين الجامدين وانصار البدع وكان لهم يومئذ شأن في نجد مع كلمة شيوخ ورؤساء القبائل على صعيد واحد لمقاومة الشيخ ومحاربة دعوتـه .

طلب امير الاحساء اخراج الشيخ من العيينة

قام بعض اولئك الناقمين بابلاغ الخبر الى سليمان بن محمد الحميدي رئيس بني خالد وامير الحساء وكانت له يومئذ اليـد الطولى في الجزيرة وفي اطراف العراق مما يلي نجد وكذلك في اطراف بادية الشام ونادوا بالويل والثبور شارحين له الاخبار مكبرة مبدين له بان انتصار الدعوة معناه القضاء على نفوذه وان الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعمـّد اثارة الناس عليه وتبديد ملكه وانه يحرم دفع المكوس والعشور التي تدفع اليه ويعتبر دفعها اليه امراً باطلاً لا يقرّه الدين وها هو قد امر برجم امرأة بغير اذن منه مسبق وان من مصلحته ومصلحة نجد كلها ان يبادر الى مقاومة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والقضاء على دعوته قبل ان يقضي عليه .

فانخدع الامير باقوالهم وكتب الى عثمان بن معمر . وكانت بينهما صلة ودّ وروابط سياسية وثيقة ، يأمره باخراج الشيخ محمد من بلده . ومما جاء بكتابه : « اخرج هذا المطوع من بلدك الى آخر جزيرة العرب أو ارسله الي وانا ابصر به ، فان لم تجبني الى احد هذين الامرين اقطع خراجك الذي لك في الاحساء وامنـع جبايتك عن ما لك من النخيل عندنا » . وكان خراج ابن معمر ومحصولاته من النخيل التي له في الاحساء كثيراً . قيل انه اثنا عشر الف

دينار وما يتبعها من طعام وكساء،ولما استلم عثمان بن معمر كتاب امير الاحساء اصبح حائراً بين امرين : مخالفة امير الحساء والتعرض لغضبه ، وهذا امر لا قبل له به ، او اخراج الشيخ محمد من دياره بعد ان سبق منه العهد بحمايته . فدعا الشيخ اليه واطلعه على فحوى كتاب امير الاحساء وقال له : « نحن لا طاقة لنا بمحاربة سليمان وليس من مصلحتنا اغضابه فانظر ما انت فاعل » . فقال له الشيخ : « ان ما انا قائم به وما ادعو اليه هو كلمة « لا إله إلا الله » واقامة اركان الدين الاسلامي والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فان انت تمسكت بذلك ونصرت فالله مظهرك على اعدائك ولا يزعجك سليمان ولا يفزعك بتهديداته . واني لارجو الله ان ترى من التمكن والقدرة ما تملك به بلاده وما سواها وما دونها » .

فاستحيا عثمان من الشيخ وأعرض عمّا طلبه منه صاحب الاحساء . اما سليمان فلما علم بتغاضي ابن معمر عن طلبه . وان كتابه لم يجد معه نفعاً . عزّز طلبه بكتاب آخر ملؤه الانذار والوعيد،ومما قال فيه: « ان هذا الشخص النجدي الذي عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال فاذا وصلك كتابي هذا فاقتله وان لم تفعل فاني سامنع تجار بلدك عن التردد الى اطرافنا في الاحساء والقطيف وسواحل قطر وغيرها بل امنعهم من جميع البلدان التي تحت يدي » .

فهال عثمان بن معمر هذا التهديد وافزعه وخشي عواقبه ودعا الشيخ اليه مرة ثانية وقال له : « ان سليمان قد امرنا بقتلك وليس من الشمم والمروءة ان نقتلك . فعليك ان تترك العيينة على بركة الله الى اي بلد شئت من ارض الله وتقيم فيه سنة او سنتين حتى ترى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك الينا » . فقال له الشيخ محمد: « لا تخش هذا الكلام فان الله ناصرك وان جميع المحاصيل التي يحبس عنك انا اسلمها اليك كل عام ودع هذا الامر يجري رغماً عن انوف الكارهين له » . فاحجم عثمان بن معمر عن تنفيذ طلب سليمان امير الاحساء وتردد قليلاً .

سليمان بن شامس يهدد العيينة
ويطالب باخراج الشيخ

وما كاد ينتشر الخبر عما طلبه امير الاحساء حتى سمع بــه سليمان بن شامس العنيزي ، رئيس القبائل البدوية القاطنة في اطراف العيينة، فاغتنم هذه الفرصة وارسل الى كبار اهل العيينة من تميم وغيرهم يحذرهم من متابعـة الشيخ وينصحهم باخراجه من مدينتهم ويتهددهم بغزو المدينة اذا لم ينصاعوا لنصحه، ومما جاء بتهديده اياهم : « ان هذا الامر حدث عندكم وقد اخرجه العالم منكم فاياكم ومتابعته ولا تجعلوا له مسكناً ولا مأوى في بلدكم فان بلغني عنكم ايواؤه واكرامه ومنعته لاركبن عليكم بفرسان ورجال ولاجولــن عليكم بعنزة كلها » .

خروج الشيخ من العيينة وكيف تم ذلك

وعندما بلغ اهل العيينة تهديد سليمان بن شامس لهم بالغزو تخلى بعض اتباع الشيخ عنه وقال بقية اهل العيينة بعضهم لبعض « يجب علينا الامتثال لوصية سليمان بن شامس فان عنزة قوم ذوو حرب وصولــة ونحن لا نبلغ معشارهم لا رجالاً ولا مالاً وان ما دعانا اليه سليمان حق لا ينبغي العدول عنه ولا التهاون فيه » . فاتفق رأي بعضهم على اخراج الشيخ من بينهم قهراً . فنادى مناديهم يوم الجمعة ليجتمعوا بعد صلاة الجمعة على اخراج الشيخ من بلدهم وان ابي ذلك قتلوه .

فلم سمع اخو الشيخ المدعو علي بن عبد الوهاب جاء الى اخيه وقال له : « يا اخي انصحك لله تعالى ان تطلع هذا اليوم من العيينة وتمضي الى حيث شئت فان ارض الله واسعة وان كان هذا الذي ادعيته حقاً فالله يسخر قلب احد من خلقه ليبديه ويحميه » .

فاستحسن الشيخ محمد رأي أخيه وقال له : «كيف المسير هذا في وسط النهار وانا لا اخرج من بيتي ومن بين عشيرتي وقومي وبلادي الا بجميع اهلي وعيالي ومالي ، واخشى ان خرجت أن يعترضني احد من سفهائهم والغيرة تمنع القبول بذلك . فاذهب يا اخي الى علي بن ربيعة وعبدالله بن حسين من رؤساء تميم واخبرهما الخبر فان تعهدا بحمايتنا خرجنا حالاً» .

فذهب اخوه علي اليهما فأتاهما وقد تمت صلاة الجمعة وقد خرج المصلون من المسجد الجامع باسلحتهم مصممين على ان يمشوا دفعة واحدة الى حيث يقيم الشيخ ويأسروا عياله ويستولوا على امواله ولا يرضوا له بالامان الا على نفسه ويلزموه الخروج من البلد حالاً .

وكان للشيخ كثير من التلاميذ وطلاب العلم والاتباع يترددون عليه في داره ويظنون به ويقتدون به . وكان معه ولداه اللذان ولدا له قبل قيامه بسياحاته . وهما ناصر وعبد الوهاب ، وكان معه اربعة رجال من بني عمه القريب ابناء حسين بن عبد الوهاب اخوة عبدالله . لهذا كان الشيخ يحسب نفسه في عصمة ويستطيع ان يقاتل اذا ما داهمه الاشرار في داره .

عندما قابل اخو الشيخ عليّ بن ربيعة وعبد الله بن حسين واخبرهما بما قاله اخوه قبلا بذلك وذهبا الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعهدا له بالحماية عند الخروج فهيّأ الشيخ نفسه وعياله ومن يتبعه للخروج .

اما عثمان بن معمر فقد قدم الى دار الشيخ ليودعه قبل الرحيل وليعلم الى اي جهة عزم الشيخ الاتجاه، فأخبره الشيخ بانه عاقد العزم على الاتجاه الى الدرعية . فسرّ ابن معمر بذلك لان الصلة بينه وبين صاحب الدرعية الامير محمد بن سعود حسنة وقد زوج محمد بن سعود ابنه عبد العزيز من ابنة عثمان ابن معمر . اطمأن عثمان بن معمر على الشيخ وامر احد فرسانه المدعو «الفريد» ليصطحب معه عدداً من الرجال وكان منهم طوال الحمراني .

ليسيروا في ركاب الشيخ حتى يُوصلوه الى مأمنه بسلام.

عندئذ ترك الشيخ محمد مدينة العيينة عصراً وكلمة الايمان لا تفارق شفتيه اذ كان يكرّر قول الله تعالى: « ... وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً » [1] « وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ... » [2]. وكان يكثر من قول: « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ». وكان ذلك عام ١١٥٨ ﻫ، ١٧٤٥ م.

ما حققه
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في العيينة

لقد كان للايام التي قضاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة، « والتي لم تتجاوز الاربعة اعوام »، اثر عظيم في تاريخ الدعوة. فقد استطاع ان يحقق ما دعا اليه في كتابه « التوحيد » وارسل الرسائل الكثيرة التي شرح فيها عقيدته ورد على خصومه، وتبيانه انواع الشرك، وتحقيق ازالة البدع، وقطع الاشجار التي كان يعتقد بها العامة، وهدم القباب المبنية على القبور التي كانوا يتعبدون لها.

---

(١) سورة الطلاق آيه ٢.
(٢) سورة الطلاق آية ٣.

الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب

في الدرعيّـــة

الدرعيّـــة

وموجز تاريخ امرائها آل سعود

مانع المريدي

مانع المريدي ينتسب الى فخذ آل علي من بطن مسلّم من قبيلة عنزة اكبر القبائل العربية التي نسبت الى ابيها عنزة[1] بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان . وديار عنزة في اواسط نجد بينها وبين شمال الحجاز وقد انتشرت منها فروع في بعض البلاد العربية كالعراق وسورية وشمال الحجاز ، وتحضّر قسم منهم واستقرّ في بلاد معيّنة من نجد وساحل الخليج العربي الغربي . ومع ذلك فان الكثـــير من قبيلة عنزة لا يزال على البداوة ، مثل الدولة والمحلف وولد علي والعمارات والدهامشة والفدعان والسبعة وغيرها .

كان مانع يسكن بلدة الدروع من اعمال القطيف في منطقـــة الاحساء فضاق به العيش في تلك المنطقة ودارت بينه وبين ابن عم له يدعى درع رئيس حجر والجزاعة الواقعتين قرب الرياض مكاتبات وجرت اتصالات حتى دعاه ابن عمه درع المذكور للقدوم اليه والنزول بجواره ، فقبل مانع هذه الدعوة

(١) اسمه عبد الله وعنزة لقب لقبوه به لان رأسه كان محدداً يشبه رأس العنزة .

وهاجر باولاده واسرته مع رجال من قبيلته من القطيف ، واتى ابن عمه في حجر فوهبه ارضاً مهجورة قرب الملقي من وادي حنيفة تدعى المليبيد وعصيبة . فنزلها ومن معه واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها ، واشاد فيها قرية واتخذها سكناً له ولمن معه وسماها (الدرعية)[1]، على اسم قرية كانت لهم في نواحي القطيف ، وذلك عام ٨٥٠ هـ ١٤٤٦ م .

وكان ما يجاور هذه الارض يعود لآل يزيد من بني حنيفة[2]، وما فوق مناطق آل يزيد من سمحة الى الوصل الى بلد الجبيلة الى الابكين (الجبلين المعروفين في تلك الناحية) الى حريملا التي تعود الى حسن بن طويق جد آل معمر من بني تميم .

ربيعة بن مانع

ولما توفي مانع حل ابنه الاكبر ربيعة محـــله في رئاسة العشيرة ، واضاف ارضاً جديدة الى ارضه انتزعها من آل يزيد بعد حروب وفتن ، فاتسعت اراضيه وكثر عدد اتباعه واستفاضت شهرته .

موسى بن ربيعة

ظهر موسى في حياة ابيه وتولى قيادة المعارك والغزوات ، فاشتهر اسمه فنازع اباه الرئاسة واستولى عليها وحاول قتل ابيه فجرحه جراحات كثيرة ، فهرب ابوه الى حمد بن حسن بن طويق صاحب العيينة فاجاره واكرمه من اجل معروف سابق له عليه .

---

(١) وتسمى بالعوجة لان وادي حنيفة يتعرج عندها. وان نخوة اهل الدرعية عند قيام الحرب « اهل العوجة اهل العوجة .» او « خيال العوجة انا ابن مقرن .» او «راعي العوجة انا ابن مقرن..»
(٢) آل يزيد يعرفون الآن بآل دغيثر .

ضاق آل يزيد بموسى واتباعه ذرعاً واشتد الزحام بينهم على عيون الماء التي في وادي حنيفة ، فجمع موسى قومه واتباعه ومن انضم اليهم واستنجد بامير العيينة فانجده ، ولما تجمعت قواته غزا آل يزيد في النعيمة والوصيل ودارت بينهم معارك عنيفة كانت الغلبة له على آل يزيد بعد ان قتل منهم ثمانين رجلاً واستولى على املاكهم ومنازلهم واجلاهم ، عنها فدانت له المنطقة ودخلت في طاعته وارتفع شأنه واتسع نفوذه .

ابراهيم بن موسى

ولما داهمت موسى المنية حل محله في الرئاسة ابنه ابراهيم ، فاقتسم منطقة العارض مع معمّر بن حمد صاحب العيينة واستقر الامر . ولما توفي ابراهيم كان له اربعة اولاد ، هم مرخان وعبدالله وعبد الرحمن وسيف .

مرخان بن ابراهيم

ورث الرئاسة بعد وفاة ابراهيم ابنه مرخان ، وفي زمنه ضاقت الدرعية بذرية ابراهيم فاختار قسم منهم الهجرة الى اماكن اخرى اوسع مجالاً ، بينما آثر آخرون البقاء في الدرعية . فمن الذين اختاروا البقاء مرخان فقد اصر على الاحتفاظ بملك آبائه وتابعه على ذلك اخوه عبدالله . اما اخواه عبد الرحمن وسيف ففضلا الانفصال وذهبا باولادهما ومن معهما الى ضرمى وابي الكباش[1].

وقد ساعدت هجرة عبد الرحمن وسيف على تثبيت امارة مرخان وانحصار امارة الدرعية بذريته ، لكثرتهم وقوتهم وشهرتهم واشتغالهم بالغزوات والفتوح والامور العامة ، بينما انصرف الآخرون عن ذلك زمناً فسقط حقهم وانطمر

(١) استوطن عبد الرحمن ضرمى وتعرف ذريته بالشيوخ ، وسكن سيف ابا الكباش وتعرف ذريته بآل ابي يحيى .

بتقادم العهد .

وقد انجب مرخان عدة اولاد، ولكن امارة الدرعية انحصرت في عقبه من ولديه ربيعة ومقرن[1] .

ربيعة بن مرخان

بعد وفاة مرخان خلفه ولده الاكبر ربيعة وأدّى ربيعة واخوه مقرن فريضة الحج في عام ١٠٣٩ هـ ١٦٣٠ م وبقي ربيعة في الحكم لحين وفاته .

مرخان بن مقرن بن مرخان

قامت فتنة بعد وفاة ربيعة اسفرت عن استيلاء ابن اخيه مقرن بن مرخان على الحكم .

وطبان بن ربيعة

لم يرض ابناء ربيعة عن ولاية مرخان وعدُّوه مغتصباً، وقد رأى كبير ابناء ربيعة المدعو وطبان انه احق بتولي الامر من مرخان، فثاروا على مرخان وقتلوه وكان القاتل له وطبان نفسه فحل محله .

محمد بن مقرن بن مرخان

ثار محمد بن مقرن لأخيه مرخان فقتل وطبان بن ربيعة وتولى مكانه .

---

(١) ان ذرية ربيعة عرفت فيما بعد باسم ابناء وطبان فيقال لهم آل وطبان إذ كان لوطبان اكثر من اربعة عشر ولداً ذكراً ، وعرفت ذرية مقرن باسم آل مقرن .

ناصر بن محمد بن مرخان

ثم تنازل محمد بن مقرن عن حقه في الرئاسة لابنه ناصر وذلك عام ١٠٦٤ هـ ١٦٥٣ م . واستمر ناصر في الرئاسة حتى قتل عام ١٠٨٤ هـ ١٦٧٣ م .

محمد بن مقرن

عاد محمد بن مقرن الى كرسي الرئاسة بعد مقتل ولده ناصر ،وبقي في ادارة الحكم حتى وفاته عام ١١٠٦ هـ ١٦٩٣ م .

مرخان بن وطبان بن ربيعة

بعد وفاة محمد بن مقرن انتقلت الامارة من آل مقرن الى آل وطبان فتولاها كبيرهم مرخان بن وطبان، ثم وقع الخلاف واستحكم بين ابناء وطبان فقتل احدهم ويدعى ابراهيم بن مرخان .

ادريس بن وطبان

تولّى الامارة بعد مقتل مرخان اخوه ادريس غير أنه كان ضعيف الارادة فلم يستطع السيطرة على اخوانه وكبح جماحهم ، فكان حكمه متخاذلاً . وعمّت الفوضى في البلد وطمع فيه الطامعون .

استيلاء بني خالد على الدرعية
حكم سلطان بن حمد القيسي

بعد وفاة ادريس انتقل الحكم في الدرعية الى سلطان بن حمد القيسي من

بني خالد رؤساء الاحساء وذلك عام ١١٠٧ هـ ١٦٩٥م. وطال حكم سلطان للدرعية حتى كرهه الناس وثاروا عليه وقتلوه عام ١١٢٠ هـ ١٧٠٨ م .

عبد الله بن حمد القيسي

بعد مقتل سلطان تولى الامر في الدرعية اخوه عبدالله، ولكن مدة حكمه لم تدم طويلاً فقُتل عام ١١٢١ هـ ١٧٠٩ م وبمقتل عبدالله انتهت فترة حُكم بني خالد للدرعية .

موسى بن ربيعة بن وطبان

بعد مصرع عبدالله القيسي عادت امارة الدرعية لكبير فرع آل وطبان المدعو موسى بن ربيعة بن وطبان .

ولكن موسى لم يحسن السيرة فثار عليه اهل الدرعية ، وكان على رأس الثائرين سعود بن محمد بن مقرن. فخلعوه عن الامارة عام ١١٣٢هـ ١٧١٩م. ونفوه من البلد فالتجأ الى مدينة العيينة[1] .

سعود بن محمد بن مقرن

بعد خلع موسى بن ربيعة ونفيه تولى في الدرعية كبير فرع آل مقرن ، سعود بن محمد بن مقرن . وبقي فيها حتى وفاته ليلة عيد الفطر عام ١١٣٧ هـ ١٧٢٤ م . وقد خلّف سعود اربعة اولاد هم محمد وثنيان ومشاري وفرحان .

---

(١) بقي موسى في العيينة الى عام ١١٣٩ هـ ١٧٢٥ م الى ان اصابته رصاصة طائشة مات على اثرها .

زيد بن مرخان

تولّى الامارة بعد سعود كبير فرع آل وطبان زيد بن مرخان بن وطبان. وكان زيد ضعيف الرأي سيء التدبير .

مقرن بن محمد بن مقرن

استطاع مقرن بن محمد بحنكته انتزاع الامارة من يد زيد والانفراد بالحكم ، ثم بدا له ان يصالح زيداً فطلب منه ان يزوره ، وخشي زيد الغدر فامتنع عن زيارته ما لم يتعهد له بالحماية محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله، فتعهدا له بذلك، وجاء زيد مع جماعته فهمّ مقرن لقتله وبدت منه شواهد الغدر فوثب محمد ابن سعود ومقرن بن عبدالله وحملا على مقرن فحاول الهرب فأدركاه وقتلاه.

امارة زيد بن مرخان الثانية

واعاد محمد ومقرن زيداً الى الامارة، فأراد زيد القيام بعمل باهر يكفر به عن سيرته السابقة ويُكسبه جاهاً واسعاً ومالاً كثيراً ، فعقد العزم على غزو العيينة بعد ان علم بفتك الطاعون باهلها وموت رئيسها عبدالله بن معمر واكثر رجالها ، ولم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها ، ورأى فيها الاموال الكثيرة والخيرات الدفّاقة .

جمع زيد جموعه من الحاضرة والبادية وسار يقودها بنفسه الى العيينة . فلما شارفها ارسل اليه اميرها محمد بن حمد بن معمر الملقب بـ «خرفاش» رسولاً يقول له : «لماذا تريد اشراك هذه الجموع في نهب العيينة ؟ دعهم وأقبل إليّ وانا اعطيك ما يرضيك» . فلقي عرض صاحب العيينة هوى في

نفس زيد فجاء إلى العيينة على رأس اربعين من رجاله كان بينهم محمد ابن سعود . وقد احسن محمد بن حمد ، صاحب العيينة، استقبالهم واجلسهم في مكان اعدّه لهم ثم تركهم فجأة وكان قد بيّت لهم امراً . فلم يشعروا الا ورجاله يُصوّبون بنادقهم الى زيد ومن معه ليقتلوهم . ولما رأى محمد بن سعود ذلك التمس مع بعض من رجاله موضعاً اميناً صعدوا اليه وتحصّنوا فيه ولم ينزلوا فيه حتى أمّنتهم الجوهرة[1] بنت عبدالله بن معمر عمة الامير محمد بن حمد فعادوا الى الدرعية وذلك عام ١١٣٨ هـ ١٧٢٥ م .

---

(١) الجوهرة هي التي تزوجها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد .

الأمير محمد بن سعود

مؤسس الدولة السعودية الأولى

من ١١٣٨ هـ ١٧٢٥ م الى ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م

ولد الأمير محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان في مدينة الدرعيـــة عام ١١٠٠ هـ ١٦٨٧ م. وبعد مقتل زيد بن مرخان وعودة الامير محمد من العيينة التف حوله اهل الدرعية وبايعوه بالرئاسة .

وكانت مدة حكمه اربعين عاماً قضى نصفها قبل مقدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ونصفها الآخر مع الشيخ ، وتزوج موضى بنت أبي وهطان من آل كثير ، ثم تزوج احدى بنات الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

استطاع الأمير محمد بن سعود بما اظهره من الدهاء والحكمة خـــلال الفترة الأولى من حكمه ان يوطّد العدل ويقر الامن في مدينة الدرعية . كما استطاع القضاء على دسائس المنافسين في الداخل ، والدفاع عن بلده ضد الأعداء والطامعين من الخارج . ومع ذلك فقد كانت ادارته للامور على اسلوب عشائري بدائي لبلدة صغيرة لم يتجاوز عدد بيوتها يومئذ السبعين بيتاً .

أما ازدهار الدرعية فبـــدأ بالسنة التي هاجر اليهـــا المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١١٥٨ هـ ١٧٤٤ م ومبايعة الأمير محمد ابن سعود له على حماية دعوته ، دعوة التوحيد ، ونشرها واخلاص

العبادة لله وحده ، واتباع طرق الاسلام الصحيحة في سياسة البلاد ، ووضع اسس الحكم طبقاً للشريعة الاسلامية مجردة من كل شائبة . ومنذ ذلك الحين بدأت الدرعية تكشف نفسها وتُلقي رسالتها وتبني نهضتها وتشيد اسس دولة جديدة في نجد وفي غير نجد من بلاد جزيرة العرب .

ورود
الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية

ما كان امر الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدعوة التي يدعو اليها مجهولاً في الدرعية بل كانت الدرعية تعرفه معرفة جيدة ، وكان له الكثير فيها من الأنصار والاتباع والمريدين الذين كانوا يترددون عليه في العيينة ويحضرون حلقات دروسه ويأخذون عنه ، منهم ثنيان ومشاري وفرحان ، إخوان الأمير محمد بن سعود ، والشيخ احمد بن سويلم العريني ، وقاضي الدرعية عبدالله ابن عيسى ، وكثيرون غيرهم . وكانت له اتصالات بعبد العزيز بن محمد بن سعود . وكان هؤلاء جميعهم يتتبعون اخبار الشيخ باهتمام ويتشوقون اليه ويتمنون قدومه اليهم وحلوله في ربوعهم . فما كاد يبلغهم عزم الشيخ على قصد بلدهم حتى ابتهجوا لذلك النبإ واخذوا يترقبونه بكل اهتمام ويتهيأون لاستقباله . ولما ترك ركب الشيخ العيينة واتجه الى الدرعية انبأوا الامير محمد بن سعود صاحب الدرعية بذلك فأرسل لاستقباله عدداً من الفرسان . ولما شارف الركب على الدرعية خرج الامير محمد بن سعود لاستقباله ورافقه اخوانه ، ثنيان ومشاري وفرحان ، وولده عبد العزيز ، وكثير غيرهم من اهل بيته ومن سكان البلد . ولما اطلّ الشيخ على اعلى الدرعية اتجه بركبه الى دار الشيخ احمد بن سويلم العريني التي كانت في اول البلد فرحب به صاحبها اجمل ترحيب .

ولما انصرف المستقبلون خشي الشيخ احمد بن سويلم ان لا تلاقي دعوة الشيخ هوىً في نفس صاحب الدرعية وان يتردد في نصرتها ، فظهرت على وجهه

علامات الخشية والجزع والاضطراب. وقرأ الشيخ على اسارير وجهه تلك العلامات فسكن روعه ووعظه قائلاً : « لا تجزع . سيجعل الله لنا فرجاً ومخرجاً لاننا لا نبغي سوى الامن والأمان وحماية الدعوة » . فاستقر جأش الشيخ احمد واطمأن ثم عزم على مفاوضة ثنيان ومشاري ليستكشفا له رأي أخيهما الامير محمد في شأن الشيخ ويقفا على مدى استعداده لمناصرة دعوته . فلم يترددا في قبول طلبه وخفّا مسرعين الى دار اخيهما الأمير محمد وشرعا اولاً بمفاوضة زوجته المسماة موضى بنت أبي وهطان من آل كثير . وكانت امرأة مشهورة بوفرة الذكاء والنباهة وسعة الادراك . وقد تحدث الاخوان الى زوجة اخيهما طويلاً في المهمة التي جاءا من اجلها ، وعن الدعوة التي يدعو اليها الشيخ ، ومدى فائدتها في محاربة البدع والخرافات ، ومكانة الشيخ وما هو عليه من علم ومعرفة وصفة ما يأمر به وينهى عنه . وأخيراً طلبا اليها ان تفاوض زوجها لمناصرة الشيخ وشد ازره واشهار السيف من غمده في سبيل نصرة الدعوة التي يدعو اليها . فوعدتهما خيراً وتم الاتفاق على ذلك . ونقلت السيدة موضى الى زوجها ما دار بينها وبين اخويه من الحديث ودعته الى تأييد الشيخ ونصرة دعوته وقالت له : « ان هذا الرجل قدم الى بلدك وهو غنيمة ساقها الله تعالى اليك ، فأكرمه وعظّمه واغتنم نُصرته » . ثم رغبته وحسنت اليه القيام بزيارة خاصة الى دار الشيخ احمد بن سويلم لمقابلة الشيخ لتكون اعلاناً جهاراً للملإ بانه على نصرته وتحت حمايته لكي يعظمه الناس ويكرموه . فوافق الأمير محمد على نصيحة زوجته .

البيعة الكبرى

قرن الأمير محمد بن سعود القول بالعمل وذهب بحاشيته الى دار الشيخ احمد ابن سويلم حيث كان يقيم الشيخ محمد . فلما دخل على الشيخ بادره قائلاً : « ابشر بالخير والعز والمنعة » . فرد عليه الشيخ قائلاً : « وانت ابشر باليمن

والغلبة على جميع بلاد نجد، فانها كلمة « لا إله إلا الله » من تمسك بها وعمل لها ونصرها ملك بها البلاد والعباد ، وانها كلمة التوحيد ، وانها اول ما دعت اليها الرسل من اولهم الى آخرهم » .

وتناول الشيخ بعد ذلك الحديث فافاض في الكلام عن سيرة النبي ﷺ وما دعا اليه وما قام به اصحابه من بعده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد اعزهم الله بالجهاد في سبيله واغناهم به وقال : « ان كل بدعة جاءت بعدهم ضلالة وكل ضلالة في النار » . ثم تطرق بحديثه عن البدع المتفشية في نجد التي قربتهم الى الشرك بالله، وما عليه اهلها من الخلافات والجور والظلم، عندئذ تحقق لدى الأمير محمد بن سعود صدق مقالة الشيخ وادرك ما فيها من المصالح الدينية والدنيوية وقال له : « ان ما قلته هو دين الله ودين رسوله الذي لا شك فيه وابشر بالنصرة لما امرت به والجهاد لمن خالف التوحيد . ولكني اريد ان اشترط عليك شرطين :

اولهما : « اذا نحن قمنا بنصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلاد لا ترحل عنا ولا تستبدلنا بغيرنا .

ثانيهما : « ان لي على اهل الدرعية خراجاً آخذه منهم في وقت اقتطاف الثمار فلا تمنعني عن استيفائه منهم » .

فأجابه الشيخ قائلاً : « أما الأولى فامدد يدك لأُبايعك » . فمدها له وقبض عليها الشيخ وقال : « الدم بالدم والهدم بالهدم[1] » .

---

(١) جاء في لسان العرب « وفي الحديث ان ابا الهيثم بن التيهان قال لرسول الله (ص) ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان اعزك الله واظهرك ان ترجع الى قومك ؛ فابتسم النبي ثم قال : « بل الدم بالدم والهدم بالهدم انا منكم وانتم مني » . فالهدم القبر والمعنى اني اقبر حيث تقبرون وقيل بل المنزل اي منزلكم منزلي . والهدم بالسكون وبالفتح ايضاً هو اهدار دم القتيل والمعنى ان طلب دمكم فقد طلب دمي وان هدر دمكم فقد هدر دمي .
وعن ابن الاعرابي: انالعرب تقول دمي دمك وهدمي هدمك وهذا في النصر والظلم .
وقال ابن الازهري : ومن رواه الدم بالدم والهدم بالهدم فهوعلى قول الحليف تطلب بدمي وانا اطلب بدمك وما هدمت اي عفوت عنه واهدرته فقد عفوت عنه وتركته .

وأما الثانية فلعل الله يفتح لنـــا الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هـــو خير منها » .

فقال له الأمير محمد بن سعود : « لقد حللت ايها الشيخ في بلد خير من بلدك فلا تخشَ اعداء الله ولو انطبقت علينا نجد كلها ما اخرجناك عنا » .

وعلى هذا تم الاتفاق والتحالف بينهما على العمل للدين الصحيح والرجوع الى تعاليم الكتاب والسنة وانقاذ المسلمين من البدع والضلال وتعميم الدعوة . وعقد الأمير محمد بن سعود العزم على القيام بشد ازر الشيخ ونصرة الدعوة التي يدعو اليها موطد النفس باذل الجهد دون ان يخشى لوم اللائمين ، غير ملتفت الى عذل العاذلين ولا معير سمعه لرأي المرتابين .

ثم طلب الأمير محمد من الشيخ ان يذهب معه ويدخل البلد ويستقـــر بجانبه ، فلبى الشيخ طلبه ، ودخل البلد ، واتخذ له منزلاً بالقرب من دار الأمير محمد بن سعود .

ندم عثمان بن معمر

لما وصلت اخبار الحفاوة التي لقيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية تحركت بعض السواكن في نفس الأمير عثمان بن معمر وندم على ما فرط منه وادرك انه قد خسر بتخليه عن نصرة الشيخ خسارة كبيرة لا تعوض ، فجنح الى الذهاب للدرعية والسعي لاسترضاء الشيخ والعودة به الى العيينة ، وذلك بعد ان التحق بالدرعية جماعة من اقارب ابن معمر وانضموا للدعوة .

فقصد الدرعية مع نفر من وجوه قومه وطلبوا من الشيخ محمد الرجوع معهم ووعدوه بالنصرة . فاعتذر الشيخ عن ذلك . فالحوا عليه . وكان الشيخ يؤثر البقاء في الدرعية بجانب الأمير محمد بن سعود . فقال لهم : « ان الأمر مفوض الى محمد بن سعود . فان سمح لي بالرجوع معكم فعلت، وان ابى ذلك

فاني لا استبدل به غيره . وهو الذي قابلني بالترحيب والقبول وآواني ووعدني بالنصرة فلا اترك الدرعية بدون رضاه » .

فاتى عثمان بن معمر ومن كان معه محمد بن سعود يستأذنون للشيخ بالعودة معهم، فابى ذلك وقال لهم : « ما لهذا الامر من سبيل، فقد وفد الينا الشيخ وانزلناه في جوارنا وتعهدنا بحمايته ونحن به فرحون فلا يمكن التخلي عنه بأي وجه من الوجوه » .

عندئذ رجع عثمان بن معمر ومن معه دون ان يحققوا الغاية التي قدموا من اجلها واكتفوا بتجديد بيعتهم للشيخ على نصرة دعوته .

نشاط الدعوة
في ظل الامير محمد بن سعود

لم تكن الدرعيّة قبل ان يؤمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحبة رسالة، وكان اهلها حنابلة اسماً لا حقيقة منغمسين بالبدع كانغماس اهل نجد . وكان لهم عالم ديني غير انه كان كسائر علماء الدين الذين في نجد لا يستطيع القيام بأمر بمعروف ولا نهي عن منكر .

ولما جاءها الشيخ واستقر بها وعقد العزم على اتخاذها مركزاً ومنطلقاً لانقاذ نجد وما يحيط بها من البلاد من البدع ، ونبذ الخرافات ونكران ما يفعله ويقوم به الجهال من الشرك بالاقوال والافعال وغيرها من الامور التي تتنافى مع روح الدين الاسلامي الصحيح وجوهر تعاليمه ، تقدمت وازدهرت .

اتخذ الشيخ الدار التي كان يسكنها في الدرعية مدرسة يعلم بها اهل الدرعية جوهر الدين ومعنى التوحيد ويرغبهم في الرجوع الى اتباع طريق السلف الصالح والهدي بهديهم ويحرضهم للصمود على عداء من يخالف الدعوة التي يدعو

اليها . فشاع خبر ذلك بين البلدان وانتشر ، فاخذت ترد عليه الوفود من اتباعه وانصاره الذين في حريملا والعيينة كما وردت عليه وفود كثيرة من المدن الأخرى المجاورة معلنة الايمان والطاعة ، فرحبت بهم الدرعية كل الترحيب وحلوا بجوار الشيخ .

تشييد مسجد الدرعيّة

ضاقت دار الشيخ بالطلاب والمصلين واصبحت لا تسع ذلك الجمع الغفير من المستمعين للوعظ والارشاد ، فاشار الشيخ على الأمير محمد بن سعود ببناء مسجد كبير يتسع لجميع اهل الدرعية للصلاة واستماع الدرس والوعظ ، فأمر محمد بن سعود ببنائه واشترك ببنائه اهل الدرعية وتلامذة الشيخ واتباعه جميعاً حتى تم وفرش بالحصى اسوة بمسجد النبي ﷺ بالمدينة .

مواصلة الشيخ للعمل

بعد تشييد المسجد اخذ الشيخ يواصل عمله في نشر الدعوة بالوعظ والارشاد والقاء الدروس وتعليمها ، وكان يحث الناس على الحضور في المسجد لصلاة الجماعة ، وتعزير كل من لا يحضر مع قدرته على الحضور .

وكان الشيخ يلقي درس التوحيد في ذلك المسجد صباح ومساء كل يوم ، وكان يأمر النساء والصبيان بحضور حلقات الدرس ليستمعوا قواعد الحديث ، وكان يشرح لهم معنى كلمة « لا إله إلا الله » ويبين لهم انها نفي واثبات (فلا إله) تنفي جميع المعبودات و (إلا الله) تثبت الله الذي لا شريك له . ثم يعلمهم الاصول الثلاثة للتوحيد : توحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية .

التآخي بين المهاجرين
واهل الدرعيّة

وكانت الدرعية يوم قصدها الشيخ في غاية الضيق والحاجة بدرجة تقرب من الفقر . وكان اهلها يحترفون لاجل معاشهم اصعب الحرف واشدها عناءً ، وكان عددهم يتكاثر ومعظمهم فقراء ، ولما كثر الوافدون على الشيخ ضاق بهم العيش وشدة الحاجة ، فكان الشيخ ينفق على بعض المهاجرين من ماله الخاص .

ثم اهتدى الشيخ لحل هذه المشكلة الى طريقة تؤمّن للجانبين سبيل المعيشة : وهي ان يؤاخي بين المهاجرين الى الدرعية وبين اهاليها مقتفياً بذلك اثر النبي ﷺ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار . فتم ذلك وحث الجميع على العمل لاكتساب الرزق، فصاروا يحترفون في الليل ويأخذون الأجرة ، وفي النهار يحضرون مجلس الشيخ ويلازمونه لاستماع الدروس التي كان يلقيها في التفسير والحديث والفقه، على مذهب الامام احمد بن حنبل، ويتذاكرون بعقائد السلف الصالح . وكان من اشهر المواظبين على سماع محاضرات الشيخ ودروسه ، ثنيان ومشاري وفرحان اولاد سعود وعبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ احمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الجزيمي وعبدالله بن دغيثر وسليمان الوشيقري وعبدالله بن عيسى قاضي الدرعية ومحمد وحمد ولـــدا حسين وكثيرون غيرهم .

واستطاع الشيخ خلال مدة وجيزة ان يدخل اهل الدرعية كلهم في سلك دعوته وصدقه جميعهم كبيرهم وصغيرهم ذكورهم واناثهم الا اربعة منهم خرجوا بأهاليهم من الدرعية وقصد بعضهم القصيم وسكن البعض الآخر في ثرمداء .

والى جانب الدروس وحلقات الوعظ التي كان يقوم بها الشيخ في الدرعية كان في الوقت نفسه يكاتب ويراسل الرؤساء والقضاة ومدّعي العلم في البلاد

المجاورة، ويحثهم على نبذ البدع والرجوع الى صفاء تعاليم الدين الاسلامي والهدي بهدي نبيه ، ويوضح لهم جوهر الدعوة التي يدعو الناس اليها . ويطلب اليهم ان يكونوا من زمرة المصلحين الدينيين مكتفياً بهذه الوسيلة السلمية . وهذا بعض من تلك الرسائل :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى من يصل اليه هذا الكتاب من الاخوان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فيجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق ، وننصح اخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها ، وسببها ان بعض اهل الدين ينكر منكراً وهو مصيب ، لكن يخطىء في تغليظ الامر الى شيء يوجب الفرقة بين الاخوان وقد قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ...)[1] الآية . وقال ﷺ ، « ان الله يرضى لكم ثلاثاً : ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله امركم » .

وأهل العلم يقولون : الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج الى ثلاث : ان يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ، صابراً على ما جاءه من الاذى .

وانتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به ، فان الخلل انما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا او قلة فهمه . وأيضاً يذكر العلماء ان انكار المنكر اذا صار يحصل بسببه افتراق ، لم يجز انكاره . فالله الله في العمل بما

---

(١) سورة آل عمران الآيتين ١٠٢و١٠٣ .

ذكرت لكم والتفقه فيه ، فانكم ان لم تفعلوا صار انكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى الا في صلاح دينه ودنياه .

وبسبب هذه المقالة التي وقعت بين اهل الحوطة ان صار اهل الدين واجباً عليهم انكار المنكر ، فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين اهـل الدين فصار فيه مضرة على الدين والدنيا .

وهذا الكلام وان كان قصيراً فمعناه طويل ، فلازم تأملوه وتفقهوا فيه ، واعملوا به ، فان عملتم صار نصراً للدين ، واستقام الامر ان شاء الله .

والجامع لهذا كله انه اذا صدر المنكر من امير او غيره ، ان ينصح برفق خفية ما يعلم احد ، فان وافق وإلا أرسل اليه رجلاً يقبل منه بخفية . فان لم يفعل ، فيمكن الانكار ظاهراً ، إلا ان كان على امير ونصحه ولا وافـق واستلحق عليه ولا وافق فيدفع الامر يمناً خفية .

وهذا الكتاب كل اهل بلد ينسخون منه نسخة ، ويجعلونها عندهم ، ثم يرسلونه ، لحرمة ، والمجمعة ، ثم للغاط والزلفى .

والله اعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى احمد بن يحيي. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغي انها تزعلك اولاً : انه لو خالف فمثلك يحلم ولا يأتي بغايته هذا ولا اكثر منه . وثانياً : انك اذا عرفت ان كلامه ما له فيه قصد الا الجهد في الدين ولو صار مخطئاً فالأعمال بالنيات .

فأنت تفكر في الأمر الأول وهو قولي : لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي في كتبكم . وتفكر في الأمر الثاني :

ان كل عاقل مقر به لكن ما يقدر ان يظهره .

فقدم لنفسك ما ينجيك عند الله . واعلم انه لا ينجيك إلا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدنيا زائلة ، والجنة والنار ما ينبغي للعاقل ان ينساها .

وصورة الأمر الصحيح اني أقول : مايدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى في كتابه (... فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا)(1) وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم « قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا »(2) ، فهذا كلام الله والذي ذكره لنا رسول الله ، ووصانا به ، ونهى الناس ان لا يدعوه .

مثلما ذكرت لكم ان هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرها ، انها على خلاف أمر الله ورسوله ، وان دعوة الصالحين والتعلق بهم ، هو الشرك بالله الذي قال الله فيه (... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ...)(3) فلما اظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم ، وقالوا اجعلتنا مشركين وهذا ليس اشراكاً ؟

هذا كلامهم وهذا كلامي اسنده عن الله ورسوله ، وهذا هو الذي بيني وبينهم ، فان ذكر عني شيء غير هذا ، فهو كذب وبهتان . والذي يصدق كلامي هذا ان العالم ما يقدر ان يظهره حتى من علماء الشام — من يقول هذا هو الحق ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة ، وانت ولله الحمد ما تخاف إلا الله .

نسأل الله ان يهدينا وإياكم الى دين الله ورسوله . والله اعلم .

وكتب الى فاضل بن مزيد رئيس بادية الشام رسالة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى الشيخ فاضل آل مزيد ، زاده الله من الايمان

---

(1) سورة الجن آية ١٨ .
(2) سورة الجن آية ٤٢ .
(3) سورة المائدة آية ٧٧ .

وأعاذه من نزغات الشيطان .

أما بعد ، فالسبب في المكاتبة ، ان راشد بن مربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سر الخاطر ، وذكر عنك انك طالب مني المكاتبة بسبب ما يجيئك من كلام العدوان من الكذب والبهتان . وهذا هو الواجب من مثلك ، انــه لا يقبل كلاماً إلا اذا تحققه .

وأنا اذكر لك امرين قبل أن أذكر لك صفة الدين ، الامر الأول : اني اذكر لمن خالفني ان الواجب على الناس اتّباع ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته ، وأقول لكم : الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً ، لكن اذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي في كتبكم فاتبعوه ، ولو خالفه اكثر الناس .

والأمر الثاني : ان هذا الذي أنكروه علي وأبغضوني وعادوني من أجله ، اذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن او غيرهم ، يقول : هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ، ولكن ما اقدر ان اظهره في مكاني لأجل ان الدولة مـــا يرضون ، وابن عبد الوهاب اظهره الله لأن الحاكم في بلده ما أنكره ، بل لما عرف الحق اتبعه . هذا كلام العلماء وأظن انه وصلك كلامهم . »

وهذه ارسلها الى عبدالله بن سويلم حين غضب على ابن عمه احمـــد في شدته على المنافقين قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد . عبد الوهاب الى عبدالله بن سويلم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد ذكر لي ابن زيدان انك زاعل على احمد بعض الزعل لما تكلم في بعض المنافقين ، ولا يخفاك ان بعض الامور كما قال تعالى: (.. وتَحْسَبُونَهُ

هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ)[1] وذلك اني لا اعرف شيئاً يتقرب به الى الله تعالى افضل من لزوم طريقة رسول الله ﷺ في حالة الغربة، فان انضاف الى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الايمان ، فاذا اراد احد من المؤمنين ان يجاهد فأتاه بعض اخوانه فذكر له ان امرك للدنيا اضاف ان يكون هذا من جنس الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات فانتم تأملوا تفسير الآية ، ثم نزلوه على هذه الواقعة، وأيضاً في صحيح مسلم ان ابا سفيان مر على بلال وسلمان واجناسهما فقالوا ما اخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها . فقال ابو بكر : اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ ثم اتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال : يا ابا بكر لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك .

ومن افضل الجهاد جهاد المنافقين في زمن الغربة، فاذا خاف احد منكم من بعض اخوانه قصداً سيئاً فلينصحه برفق ، واخلاص الدين لله ، وترك الرياء والقصد الفاسد، ولا يفلّ عزمه عن الجهاد ولا يتكلم فيه بالظن السيء وينسبه الى ما لا يليق ولا يدخل خاطرك شيء من النصيحة ، فلو أدري انه يدخل خاطرك ما ذكرته ، وانا اجد في نفسي ان ودي من ينصحني كلما غلطت .

والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى الأخ محمد بن عباد وفقه الله لما يحبه ويرضاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، وصلنا اوراق في التوحيد . فيها كلام من احسن الكلام ، وفقك الله للصواب . وتذكر فيه ان ودك نبين

(١) سورة النور آية ١٥ .

لك ان كان فيها شيء غاترك (أي عليك غامض) ، فاعلم ارشدك الله ، ان فيها مسائل غلط :

الأولى ـ قولك : اول واجب على كل ذكر وأنثى ، النظر في الوجود ثم معرفة العقيدة ، ثم علم التوحيد . وهذا خطأ ، وهو من علم الكلام الذي اجمع السلف على ذمه ، وانما الذي أتت به الرسل : اول واجب هو التوحيد ، ليس النظر في الوجود ولا معرفة العقيدة ، كما ذكرته انت في الاوراق . ان كل نبي يقول لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

الثانية ـ قولك في الايمان بالله وملائكته ، الى آخره : والايمان هو التصديق الجازم بما اتى به الرسول » : فليس كذلك . وابو طالب عمه جازم بصدقه ، والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . والذين يقولون الايمان هو التصديق الجازم ، هم الجهمية . وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة .

الثالثة : قولك : اذا قيل للغامي ونحوه ، ما الدليل على ان الله ربك؟ ثم ذكرت ما الدليل ، على اختصاص العبادة بالله وذكرت الدليل على توحيد الألوهية ، فاعلم ان الربوبية والألوهية ، تجتمعان وتفترقان ، كما في قوله « ... أعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ (١) » وكما يقال رب العالمين ، إله المرسلين ، وعند الأفراد يجتمعان كما في قول القائل : من ربك ؟ مثاله : الفقير والمسكين نوعان في قوله : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ (٢) » ، ونوع واحد في قوله : « افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد الى فقرائهم » ، اذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل في القبر من ربك معناه من إلهك ، لأن الربوبية التي اقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها . وكذلك قوله : « الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا

---

(١) سورة الناس آية ١ و ٢ و ٣ .

(٢) سورة التوبة آية ٦٠ . هذا هو نص الآية (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) سورة التوبة آية ١٠٣ .

اللهُ (١) » . وقوله: « قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبغي رَبّاً (٢) ... » . وقوله : « إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا » ، فالربوبية في هذا هي الألوهية ، ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة عند الاقتران ، فينبغي التفطن لهذه المسألة .

الرابعة ـ قولك في الدليل على إثبات نبوة محمد ﷺ ودليله الكتاب والسنة. ثم ذكرت الآيات. كلام من لم يفهم المسألة. لان المنكر للنبوة او الشاك فيها ، اذا استدللت عليه بالكتاب والسنة يقول : «كيف تستدل على شيء ما اتى به إلا هو؟». والصواب ان المسألة، ان تستدل عليه بالتحدي بأقصر سورة من القرآن أو شهادة علماء اهل الكتاب، كما في قوله « أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بني إسرَائيلَ » (٣) ، ولكونهم يعرفونه قبل ان يخرج كما في قوله تعالى : « ... وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ... » (٤) الآية . الى غير ذلك من الآيات التي تفوت الحصر وتقطع الخصم .

الخامسة ـ قولك : اعلم يا اخي ، لا علمت مكروهاً . فاعلم ان هذه كلمة تضاد التوحيد ، وذلك ان التوحيد لا يعرفه الا من عرف الجاهلية ، والجاهلية هي المكروه ، فمن لم يعلم المكروه ، لم يعلم الحق . فمعنى هذه الكلمة ، اعلم لا علمت خيراً ، ومن لم يعلم المكروه ليجتنبه ، لم يعلم المحبوب ، وبالجملة فهي كلمة عامية ، جاهلية ، ولا ينبغي لأهل العلم ان يقتدوا بالجهال .

السادسة ـ جزمك بأن النبي ﷺ ، قال : « اطلبوا العلم ولو في الصين » فلا ينبغي ان يجزم الانسان على رسول الله ﷺ ، بما لا يعلم صحته ، وهو من القول بلا علم . فلو انك قلت : وروى ، او ذكر فلان ، او ذكر في الكتاب

---

(١) سورة الحج آية ٤٠ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٦٤ .
(٣) سورة الشعراء آية ١٩٧ .
(٤) سورة البقرة آية ٨٩ .

الفلاني – لكان هذا مناسباً . وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح ، فلا يجوز . فتفطّن لهذه المسألة ، فما أكثر من يقع فيها .

السابعة – قولك في سؤال الملكين : والكعبة قبلتي وكذا وكذا . فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ ، انهما يسألان عن ثلاث : عن التوحيد ، وعن الدين ، وعن محمد ﷺ . فان كان في هذا عندكم رابعة ، فأفيدونا . ولا يجوز الزيادة على ما قاله الله ورسوله .

الثامنة – قولك في الايمان والقدر : ان الايمان بالله لا يكون صغير ولا كبير الا بمشيئة الله وارادته ، وان يفعل المأمورات ويترك المنهيات . وهذا غلط ، لأن الله سبحانه ، له الخلق والامر ، والمشيئة ، والارادة ، وله الشرع والدين . فاذا ثبت هذا ، ففعل المأمورات ، وترك المنهيات ، هو الايمان بالأمر وهو الايمان بالشرع والدين ، ولا يذكر في حد الايمان بالقدر .

التاسعة – قولك : الآيات التي في الاحتجاج بالقدر ، كقوله تعالى « وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ..[1] »الآية. ثم قلت : فاياك والاقتداء بالمشركين في الاحتجاج على الله . وحسيب من القدر الايمان به . فالذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات ، غير المعنى الذي اردت . فراجعه وتأمل بقلبك . فان اتضح لك، والا فراجعني فيه لأنه كلام طويل .

العاشرة – وأخرناها لشدة الحاجة اليها قولك : ان المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، قد أقروا بتوحيد الربوبية ، ثم أوردت الادلة الواضحة على ذلك ، وانما قاتلهم رسول الله ﷺ عند توحيد الألوهية . ولم يدخل الرجل في الاسلام بتوحيد الربوبية ، الا اذا انضم اليه توحيد الألوهية ، فهذا كلام من احسن الكلام وأبينه تفصيلاً . ولكن في العام (أي في العام الماضي) لما وجهنا ابراهيم ، كتب له علماء « سدير » مكاتبة . وبعثها لنا ، وهي عندنا الآن . ولم يذكروا فيها الا توحيد الربوبية . فاذا كنت تعرف هذا ، فلأي

---

(١) سورة النحل آية ٣٥ .

شيء ما اخبرت ابراهيم ونصحته ان هؤلاء ما عرفوا التوحيد ، وانهم منكرون دين الاسلام . وكذلك احمد بن يحيى ، راعي « رغبة » عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل « العارض » لما عرفوه ، وان كان يقر به احياناً ، عداوة ظاهرة لا يمكن انها لا تبلغك . وكذلك ابن اسماعيل ، انه نقض ما ابرمت في التوحيد وتعرف ان عنده الكتاب الذي صنفه رجل من اهل البصرة ، كله من اوله الى آخره ، في انكار توحيد الألوهية ، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعي « وثيثية » وقرأه عندكم ، وجادل به جماعتنا . وهذا الكتاب مشهور عند « المويس » وأتباعه مثل ابن سحيم ، وابن عبيد ، يحتجون به علينا ، ويدعون الناس اليه ، ويقولون هذا كلام العلماء .

فاذا كنت تعرف ان النبي ﷺ ، ما قاتل الناس الا عند توحيد الألوهية ، وتعلم ان هؤلاء قاموا وقعدوا ، ودخلوا وخرجوا ، وجاهدوا ليلاً ونهاراً في صد الناس عن التوحيد ، يقرأون عليهم مصنفات اهل الشرك ، لأي شيء لم نظهر عداوتهم وانهم كفار مرتدون ؟ فان كان باين لك ان أحداً من العلماء لا يكفر من انكر التوحيد ، او انه يشك في كفره ، فاذكره لنا وأفدنا . وان أتاهم تصنيف اهل البصرة في انكار التوحيد ، كفروه وكفروا من عمل به. وكذلك لما أتاهم كتاب ابن عفالق الذي ارسله « المويس » لابن اسماعيل ، وقدم به عليكم العام ، وقرأه على جماعتكم ، يزعم فيه ان التوحيد دين ابن تيمية ، وانه لما افتى به كفره العلماء ، وقامت عليه القيامة ، ان كنت تقول ما جرى من هذا شيء ، فهذه مكابرة ، وان كنت تعرف ان هذا هو الكفر الصراح والردة الواضحة . ولكن تقول اخشى الناس ، فالله أحق ان تخشاه .

ولا تظن ان كلامي هذا معاتبة وكلام عليك ، فوالله الذي لا إله إلا هو انه نصيحة ، لأن كثيراً ممن واجهناه وقرأ علينا ، يعلم هذا ويعرفه بلسانه ؛ فاذا وقعت المسألة لا يعرفها ، بل اذا قال له بعض المشركين : نحن نعرف ان رسول الله ، لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا ضراً ، وان النافع الضار هو الله .

يقول : جزاك الله خيراً . ويظن ان هذا هو التوحيد . ونحن نعلمه اكثر من سنة ان هذا توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون . فالله الله في التفطن لهذه المسألة ، فانها الفارقة بين الكفر والاسلام . ولو ان رجلاً قال شروط الصلاة تسعة ، ثم سردها كلها ، فاذا رأى رجلاً يصلي عرياناً بلا حاجة ، أو على غير وضوء ، او لغير القبلة ، لم يدر ان صلاته فاسدة . لم يكن قد عرف الشروط ولو سردها بلسانه ، ولو قال الاركان اربعة عشر ، ثم سردها كلها ، ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة ، ومن لا يركع ، ومن لا يجلس للتشهد ولم يفطن أن صلاته باطلة ، لم يكن قد عرف الاركان ولو سردها . فالله الله في التفطن لهذه المسألة . ولكن اشير عليك بعزيمة انك تواصلنا ونتذاكر معك . وكذلك ايضاً من جهة البدع ، قيل لي انك تقول فيها شيئاً ، ما يقوله الذي هو عارف مسألة البدع .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

رسالته الى الشيخ عبد الرحمن السويدي في بغداد

وأرسل الى الشيخ عبد الرحمن السويدي من علماء بغداد الكتاب الآتي جواباً على كتابه اليه وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، الى عبد الرحمن بن عبدالله .

سلام الله ورحمته وبركاته : أما بعد ، فقد وصل كتابك وسر الخاطر ، جعلك الله من أئمة المتقين ، ومن الدعاة الى دين سيد المرسلين .

وأخبرك اني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع ، عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو مذهب اهل السنة والجماعة ، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الاربعة وأتباعهم الى يوم القيامة ، لكني بينت للناس اخلاص الدين لله ،

ونهيتهم عن دعوة الاحياء والاموات من الصالحين وغيرهم ، وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح ، والنذر ، والتوكل ، والسجود ، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل . وهو الذي دعت اليه الرسل من اولهم الى آخرهم ، وهو الذي عليه اهل السنة والجماعة .

وبينت لهم ان أول من ادخل الشرك في هذه الامة ، هم الرافضة الذين يدعون علياً وغيره ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات .

فأنكر هذا بعض الرؤساء لأنه خالف عقيدة نشأوا عليها .

وأيضاً الزمت من تحت يدي باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وغير ذلك من فرائض الله ، ونهيتهم عن الربا ، وشرب المسكر ، وأنواع المنكرات ، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه ، لكونه مستحسناً عند العوام ، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد، وأنهى عنه من الشرك، ولبسوا على العوام ، ان هذا خلاف ما عليه اكثر الناس ، وكبرت الفتنة جداً ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله .

منها : اشاعة البهتان بما يستحي العاقل ان يحكيه ، فضلاً عن ان يفتريه . ومنها : ما ذكرتم اني اكفر جميع الناس إلا من اتبعني ، وأزعم ان انكحتهم غير صحيحة . ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل ! هل يقول هذا مسلم او كافر ، او عارف ، او مجنون ؟

وكذلك قولهم انه يقول : لو اقدر اهدم قبة النبي صلى الله عليه وسلم ، لهدمتها .

وأما « دلائل الخيرات » فله سبب ، وذلك اني اشرت على من قبل نصيحتي من اخواني ألا يعبد في قلبه اجل من كتاب الله ، ويظن ان القراءة فيه اجل من قراءة القرآن ، وأما احراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان ، فهذا من البهتان .

والحاصل ان ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس الى التوحيد والنهي

عن الشرك ، فكله من البهتان ، وهذا لو خفي على غيركم ، فلا يخفى على حضرتكم . ولو ان رجلاً من اهل بلدكم ، ولو كان احب الخلق الى الناس ، قام يلزم الناس الاخلاص ويمنعهم من دعوة اهل القبور ، وله اعداء وحساد اشد منه بأساً ، وأكثر أتباعاً ، وقاموا يرمونه بمثل هذه الاكاذيب ويوهمون الناس ان هذا تنقص بالصالحين ، وان دعوتهم من اجلالهم واحترامهم ، لعلمتم كيف يجري عليه . ومع هذا واضعافه ، فلا بد من الايمان بما جاء به الرسول ونصرته ، كما اخذ الله على الانبياء قبله واممهم في قوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ .. »[1] فلما فرض الله الايمان لم يجز ترك ذلك .

وأنا ارجو الله ان يكرمك بنصر دينه ونبيه ، وذلك بمقتضى الاستطاعة ، ولو بالقلب والدعاء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « اذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » فان رأيت عرض كلامي على من ظننت انه يقبله من اخواننا ، فان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً .

ومن اعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين ، اني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر اهل التفسير في قوله « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ... »[2] . وقوله « وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ .. »[3] . وقوله « ... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.. »[4] ، وما ذكر الله من اقرار الكفار في قوله « ... وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .. »[5] الآية . وغير ذلك قالوا القرآن لا يجوز

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١ .
(٢) سورة الاسراء آية ٥٧ .
(٣) سورة يونس آية ١٨ .
(٤) سورة الزمر آية ٣ .
(٥) سورة النمل آية ٦٤ .

العمل به لنا ولأمثالنا ، ولا بكلام الرسول ، ولا بكلام المتقدمين ، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون . قلت لهم انا اخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية ، والمالكي والشافعي والحنبلي كل اخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم ، فلما ابوا ذلك ، نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب . وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة ، عن القبور والنذر لها ، فعرفوا ذلك وتحققوه ولم يزدهم إلا نفوراً .

وأما التكفير ، فأنا أكفر من عرف دين الرسول — ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله ، فهذا الذي اكفره ، واكثر الامة ولله الحمد ليسوا كذلك .

وأما القتال فلم نقاتل أحداً الى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين اتونا في ديارنا ، ولا أبقوا ممكناً . ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه . والسلام .

وهذه الرسالة كتبها الى احمد بن ابراهيم عالم مرات من بلدان الوشم وكان قد ارسل اليه رسالة فأجابه بهذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى احمد بن ابراهيم. هدانا الله واياه ، وبعد :

ما ذكرت من مسألة التكفير ، وقولك ابسط الكلام فيها ، فلو بيننا اختلاف امكنني ان ابسط الكلام او امتنع ، وأما اذا اتفقنا على الحكم الشرعي لا أنت بمنكر الكلام الذي كتبت اليك ، ولا أنا بمنكر العبارات التي كتبت الي ، وصار الخلاف في أناس معينين اقروا ان التوحيد الذي ندعو اليه دين الله ورسوله ، وان الذي ننهى عنه في الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك بالله . ولكن هؤلاء المعينون هل تركوا التوحيد بعد معرفته ، وصدوا الناس عنه ، أم فرحوا به وأحبوه . ودانوا به وتبرأوا من الشرك وأهله ؟ فهذه ليس مرجعها

إلى طالب العلم ، بل مرجعها الى علم الخاص والعام ، مثال ذلك : إذا صح أن أهل الحسا والبصرة يشهدون ان التوحيد الذي نقول دين الله ورسوله ، وان هذا المفعول عندهم في الاحياء والاموات هو الشرك بالله ، ولكن انكروا علينا التكفير والقتال خاصة . والمرجع في المسألة الى الحضر والبدو والنساء والرجال هل اهل قبة الزبير وقبة الكواز تابوا من دينهم ، وتبعوا ما أقروا به من التوحيد ، ام هم على دينهم ، ولو يتكلم الانسان بالتوحيد فسلامته على اخذ ماله ، فاذا كنت تزعم ان الكواوزة واهل الزبير تابوا من دينهم ، وعادوا من لم يتب ، فتبعوا ما اقروا به وعادوا من خالفه — هذا مكابرة وان اقررتم انهم بعد الاقرار اشد عداوة ومسبة للمؤمنين كما يعرفه الخاص والعام ، وصار الكلام في اتباع المويس وصالح بن عبدالله هل هم مع اهل التوحيد ، ام هم مع اهل الاوثان ، بل اهل الاوثان معهم ، فالكلام في هذا نحيله على الخاص والعام ، فودي انك تسرع بالنفور فتتوجه الى الله ، وتنظر نظر من يؤمن بالجنة والخلود فيها ، وتسأله بقلب حاضر ان يهديك الى الصراط المستقيم .

هذا مع انك تعلم ما جرى مع ابن اسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس لما شكونا عند اهل قبة ابي طالب يوم يكسيه صاية وجميع من معك من خاص وعام معهم الى الآن . وتعزف روحة المويس واتباعه لاهل قبة الكواز ، وسية طالب يوم يكسيه صاية ، ويقول لهم : طالع اناس ينكرون قببكم ، وقد كفروا وحل دمهم ومالهم . وصار هذا عندك وعند أهل الوشم وعند أهل سدير والقصيم من فضائل المويس ومناقبه ، وهم على دينه الآن مع المكاتيب التي ارسلها علماء الحرمين مع المزيودي سنة الحبس عندنا الى الآن تنتظرك . وقد صرحوا فيها ان من اقر بالتوحيد كفر ، وحل ماله ودمه ، وقتل في الحل والحرم . ويذكرون دلائل على دعاء الاولياء في قبورهم منها قوله تعالى (... لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ...)[1] . فان كانت ليست عندك ، ولا صبرت الى

---

(١) سورة الشورى آية ٢٢ .

ان تجيء ، فأرسل الى ولد محمد بن سليمان في وشيقر ، ولسيف العتيقي ، يرسلونها اليك ، ويجيبون عن قوله : (أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ[1] ...) انهم يدعون على انهم المعطون المانعون بالاصالة ، واما دعوتهم على انهم شفعاء فهو الدين الصحيح ! ومن انكره قتل في الحل والحرم .

وأيضاً جاءنا بعض المجلد الذي صنفه القباني ، واستكتبوه اهل الحسا واهل نجد ، وفيه نقل الاجماع على تحسين قبة الكوار وامثالها ، وعبادتها وعبادة سية طالب . ويقول في تصنيفه انه لم يخالف الا ابن تيمية وابن القيم وعشرة ، أنا عاشرهم ، فالجميع اثنا عشر . فاذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الامة . وأنتم الى الآن على ما تعلم ، مع شهادتكم ان التوحيد دين الله ورسوله وان الشرك باطل . وايضاً مكاتيب اهل الحسا موجودة .

ولكن تعرف ابن فيروز انه اقربهم الى الاسلام ، وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة ، ومع هذا صنف مصنفاً ارسله الينا قرر فيه ان هذا الذي يفعل عند قبر يوسف وامثاله هو الدين الصحيح .

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر :

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة   بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الأول ، ابلغ من هذا كله ، وهو : شهادة البدو والحضر والنساء والرجال: ان هؤلاء الذين يقولون التوحيد دين الله ورسوله ويبغضونه اكثر من بغض اليهود والنصارى ، ويسبونه ، ويصدون الناس عنه ، ويجاهدون في زواله ، وتثبيت الشرك بالنفس والمال ، خلاف ما عليه الرسل واتباعهم فانهم يجاهدون حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

فان اردت تجديد الامان على ما بغيت فاكتب لي ، ولكن تعرف حرصي

---

(١) سورة الاسراء آية ٥٧ .

على الكتب . فان عزمت على الراخنة وعجلتها على قبلك فترا اها على بني الخير ، وان ما جاز عندك كلها فبعضها ولو مجموع ابن رجب ترى ما جاءنا فهو عارية مؤداة وان لم تأتنا قال ابن القيم في النونية :

يا فرقة جهلت نصوص نبيها وقصوده وحقائق الايمان
فسطوا على اتباعه وجنوده بالبغي والتكفير والطغيان
لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان

المراد تعريفك ، لما صدقتك ان لك نظراً في الحق . ان في ذلك الزمان من يكفر العلماء إذا ذكروا التوحيد . ويظنونه تنقيصاً للنبي ﷺ . فما ظنك بزمانك هذا ؟

ذكر ابن عبد الهادي في مناقب الشيخ لما ذكر المحنة التي نالته بسبب الجواب في شد الرحل : فالجواب الذي كفروه بسببه ذكر ان كلامه في هذا الكتاب أبلغ منه . فالعجب إذا كان هذا الكتاب عندك والعلماء في زمن الشيخ كفروه بكلام دونه فكيف بالمويس وامثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد؟ وذكر ابن القيم في النونية ما يصدق هذا الكلام ، لما قالوا انك مثل الخوارج رد عليهم بقوله :

من لي بمثل خوارج قد كفروا بالذنب تأويلاً بلا احسان

ثم ذكر في البيت الثاني ان هؤلاء يكفروننا بمحض الايمان والخوارج يكفرون بالذنوب .

وكلامي هذا تنبيه ان انكار التوحيد متقدم . وكذلك التكفير لمن اتبعه . وانت لا تعتقد ان الزمان صلح بعدهم . ولا تعتقد ان المويس وامثاله اجل وأروع من اولئك الذين كفروا الشيخ واتباعه . وعند ابن عبد الهادي من كتبه كتاب الاغاثة مجلد وجاءنا من الشام مع مربد : وسببه ان رجلاً من فقهاء

الشافعية يقال له ابن البكري عثر على جواب للشيخ في الاستغاثة بالموتى في الشدائد فانكر ذلك ، وصنف مصنفاً في جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ من كل ما يستغاث بالله منه . وصرح بتكفير الشيخ في ذلك الكتاب وجعله مستنقصاً للانبياء ، واورد فيه آيات واحاديث ، فصنف الشيخ كتاب الاستغاثة رداً على ابن البكري ، وقرر فيه مذهب الرسل واتباعهم ، وذكر ان الكفار لم يبلغ شركهم هذا بل ذكر الله عنهم انهم اذا مسهم الضر اخلصوا ونسوا ما يشركون .

والمقصود ان في زمن الشيخ ممن يدعي العلم والتصنيف من انكر التوحيد وجعله للانبياء والاولياء . وكفر من ذهب اليه فكيف تزعم ان عبدة قبة الكواز وامثالها ما انكروه ، بل تزعم انهم قبلوه ودانوا به وتبرأوا من الشرك ولا انكروا الا تكفير من لا يكفر ؟

واعظم واهم انكم تعرفون ان البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرأوا من الدين كله واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث ، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله واستهزأوا بها عناداً مع اقرارهم بان محمداً رسول الله وان كتاب الله عند الحضر — لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عناداً ومع هذا تنكرون علينا كفرهم وتصرحون بان من قال « لا إله إلا الله » لا يكفر ، ثم تذكر في كتابك انك تشهد بكفر العالم العابد الذي ينكر التوحيد ، ولا يكفر المشركين ويقول : هؤلاء السواد الاعظم ما يتيهون ، فان قلتم : ان الأولين ، وان كانوا علماء ، فلم يقصدوا مخالفة الرسول بل جهلوا وانتم وامثالكم تشهدون ليلاً ونهاراً ان هذا الذي بينا للناس من التوحيد وانكار الشرك انه دين الله ورسوله ولو قدرنا ان غيركم يعذر بالجهل فانتم مصرحون بالعلم .

والله اعلم .

وهذه رسالة ارسلها جواباً لرجل من اهل الحسا يقال له احمد بن عبد الكريم وكان قد عرف التوحيد وكفر المشركين ثم انه حصلت له شبهة في ذلك بسبب عبارات رآها في كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية ففهم منها غير قرار الشيخ رحمه الله قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى احمد بن عبد الكريم .

سلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ، أما بعد :

فقد وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت ، وتذكر ان عليك إشكالاً تطلب ازالته . ثم ورد منك مراسلة . تذكر انك عثرت على كلام للشيخ ازال عنك الإشكال . فنسأل الله ان يهديك لدين الاسلام . وعلى أي شيء يدل كلامه على ان من عبد الاوثان عبادة اكبر من عبادة اللات والعزى ، وسب دين الرسول بعدما شهد به – مثل سب ابي جهل – انه لا يكفر بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبدالله وامثالهما ، كفراً ظاهراً ينقل عن الملة . فضلاً عن غيرهما . هذا صريح واضح في كلام ابن القيم الذي ذكرت . وفي كلام الشيخ الذي ازال عنك الاشكال في كفر من عبد الوثن الذي على قبر يوسف وامثاله ، ودعاهم في الشدائد والرخاء ، وسب دين الرسل بعدما أقر به ، ودان بعبادة الاوثان بعدما اقر بها . وليس في كلامي هذا مجازفة . بل انت تشهد به عليهم ، ولكن اذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه . وانا اخاف عليك من قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (١)). والشبهة التي ادخلت عليك هذه البضاعة التي في يدك تخاف تضيع انت وعيالك في بلد المشركين وشاك في رزق الله .

وايضاً قرناء السوء اضلوك . كما هي عادتهم ، وانت – والعياذ بالله – تنزل درجة درجة . أول مرة في الشك وبلد الشرك ، وموالاتهم ، والصلاة خلفهم . وبراءتك من المسلمين ، مداهنة لهم ، ثم بعد ذلك طحت على ابن

---

(١) سورة « المنافقون » آية ٣ .

غنام وغيره ، واشهدتهم على نفسك باتباع المشركين من غير اكراه ، لكن خوفاً ومداراة ، وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر واشباهه : (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ [1] الى قوله : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ)[2] . فلم يستثن الا من أُكره وقلبه مطمئن بالايمان ، بشرط طمأنينة قلبه . والاكراه لا يكون على العقيدة ، بل على القول والفعل ، فقد صرح بان من قال الكفر او فعله فقد كفر الا المكره ، بالشرط المذكور وذلك ان ذلك بسبب ايثار الدنيا لا بسبب العقيدة .

فتفكر في نفسك : هل أكرهوك ، وعرضوك على السيف مثل عمار ، ام لا ؟ وتفكر : هل هذا بسبب ان عقيدته تغيرت ام بسبب ايثار الدنيا ؟ ولم يبق عليك الا رتبة واحدة وهي : انك تصرح مثل ابن رفيع تصريحاً بمسبة دين الانبياء وترجع الى عبادة غير الله .

ولكن الامر بيد مقلب القلوب ، فأول ما انصحك به انك تفكر ، هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك ﷺ ينهى عنه قريشاً ؟ ام شرك قريش نوع آخر اغلظ منه ؟ ام هذا اغلظ ؟ فاذا احكمت المسألة ، وعرفت ان غالب من عندكم سمع الآيات ، وسمع كلام اهـل العلم من المتقدمين والمتأخرين واقر به ، وقال : اشهد ان هذا هو الحق ، ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ما شهد انه الحق ، ويصرح بحسن الشرك واتباعه ، وعدم البراءة من اهله . فتفكر : هل هذه مسألة او مسألة الردة الصريحة التي ذكرها اهل العلم في الردة ؟ ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها اتت ممن لا يسمع ولا يبصر .

اما استدلالك بترك النبي ﷺ ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم ، فقد

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٠٧ .

صرح الخاص والعام ببديهة العقل : انهم — لو يظهرون كلمة واحدة او فعلاً واحداً من عبادة الاوثان او مسبة التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ — انهم يقتلون شر قتلة .

فان كنت تزعم ان الذين عندكم اظهروا اتباع الدين ، الذي تشهد انه دين الرسول ﷺ ، وتبرأوا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبق الا اشياء خفية تظهر على صفحات الوجه ، او فلتة لسان في السر ، وقد تابوا من دينهم الأول ، وقتلوا الطواغيت ، وهدموا البيوت المعبودة — فقل لي : وان كنت تزعم ان الشرك الذي خرج عليه رسول الله ﷺ اكبر من هذا — فقل لي : وان كنت تزعم ان الانسان ، إذا أظهر الاسلام ، لا يكفر اذا اظهر عبادة الاوثان ، وزعم انها الدين ، وأظهر سب دين الانبياء ، وسماه دين أهل العارض ، وافتى بقتل من اخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله — فهذه مسألتك ! وقد قررتها ، وذكرت ان من زمن النبي ﷺ الى يومنا هذا لم يقتلوا أحداً ولم يكفروه من اهل الملة . أما ذكرت قول الله تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ...)(١) الى قوله : (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) ، واذكر قوله : (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا...(٢))الى قوله : (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ...)،الآية. واذكر قوله في الاعتقاد بالانبياء: (... أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(٣) واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ انه اشخص رجلاً معه الراية الى من تزوج امرأة ابيه ليقتله ويأخذ ماله . فأي هذين اعظم ؟ تزوج امرأة الاب ام سب دين الانبياء بعد معرفته ؟ واذكر انه قد هم بغزو بني المصطلق لما قيل

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦٠ و٦١ .
(٢) سورة النساء آية ٩١ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨٠ .

انهم منعوا الزكاة ، حتى كذب الله من نقل ذلك ، واذكر قوله في أعبد هذه الامة ، واشدهم اجتهاداً (لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجراً لمن قتلهم يوم القيامة) ، واذكر قتال الصديق واصحابه مانعي الزكاة ، وسبي ذراريهم ، وغنيمة اموالهم ، واذكر اجماع الصحابة على قتل اهل مسجد الكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة في تقرير نبوة مسيلمة — ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لما تابوا ، والمسألة في صحيح البخاري وشرحه في الكفالة ، واذكر اجماع الصحابة لما استفتاهم عمر رضي الله عنه ، على كفر من زعم ان الخمر تحل للخواص مستدلاً بقوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ...)[1] مع كونه من اهل بدر ، واجمع الصحابة على كفر من اعتقد في علي مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر ، وردتهم ، وقتلهم ، فاحرقهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهم احياء ، فخالفه ابن عباس في الاحراق وقال : يقتلون بالسيف — مع كونهم من اهل القرن الاول اخذوا العلم عن الصحابة ، واذكر اجماع اهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم وأمثاله .

قال ابن القيم :

شكر الضحية كل صاحب سنة　　　لله درك من اخي قربان

ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الاسلام ، وأفتوا بردته وقتله ، لطال الكلام . لكن من آخر ما جرى قصة بني عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدعون من اهل البيت ، ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين ، واجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم ، وان بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم .

واذكر كلامه في « الاقناع ، وشرحه » في الردة كيف ذكروا

---

(١) سورة المائدة آية ٩٣ .

انواعاً كثيرة موجودة عندكم ، ثم قال منصور « وقد عمت البلوى بهذه الفرق ، وافسدوا كثيراً من عقائد اهل التوحيد ، نسأل الله العفو والعافية » هذا لفظه بحروفه ، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله ، هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة الى زمن منصور ان هؤلاء يكفر انواعهم لا اعيانهم ؟ واما عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك ، فهي اغلظ من هذا كله ، ولو نقول بها لكفرنا كثيراً من المشاهير باعيانهم ، فانه صرح فيها بان المعين لا يكفر الا إذا قامت عليه الحجة ، فان كان المعين لا يكفر الا إذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم ان قيامها ليس معناه ان يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم ابي بكر رضي الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به — فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليه الحجة بالقرآن ، مع قول الله : (... وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ...)[1] ، وقوله : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ)[2] . وإذا كان كلام الشيخ ليس في الشرك والردة ، بل في المسائل الجزئية ، سواء كانت من الاصول او الفروع ، ومعلوم انهم يذكرون في — كتبهم — في مسائل الصفات او مسألة القرآن او مسألة الاستواء او غير ذلك — مذهب السلف ، ويذكرون مذهب الاشعري او غيره ، ويرجحونه ويسبون من خالفه . فلو قدرنا انها لم تقم الحجة على غالبهم ، قامت على هذا المعين الذي يحكي المذهبين : مذهب رسول الله ﷺ ومن معه ، ثم يحكي مذهب الاشعري ومن معه . فكلام الشيخ في هذا النوع يقول ان السلف كفروا النوع ، واما المعين : فان عرف الحق وخالفه كفر بعينه ، والا لم يكفر ، وانا اذكر لك من كلامه ما يصدق هذا ، لعلك تنتفع ان هداك الله ، وتقوم عليك الحجة قياماً بعد قيام والا فقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا .

---

(١) سورة الأنعام آية ٢٥ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٢ .

قال رحمه الله في « اقتضاء الصراط المستقيم » في الكلام على قولـــه : (... وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ الله...)[1]: ظاهره انه ما ذبح لغير الله حرم، سواء لفظ به او لم يلفظ ، وهذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، فان عبادة الله والنسك له اعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الامور ، فكذلك الشرك بالنسك لغـــيره اعظم من الاستعانة باسمه . وعـــلى هذا لو ذبح لغير الله متقرباً اليه وان قال فيه : بسم الله ، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان . ومن هذا الباب ماقد يفعله الجاهلون من الذبح للجن .

انتهى كلامه بحروفه .

فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله وسمى الله عليه عند الذبح انه مرتد تحرم ذبيحته ولو ذبحها للأكل . لكن هذه الذبيحة تحرّم من جهتين ، من جهة انها مما أُهلّ به لغير الله ، وتحرم ايضاً لانها ذبيحة مرتـــد ، يوضح ذلك ما ذكرته ان المنافقين إذا اظهروا نفاقهم صاروا مرتدين فاين هذا من نسبتك عنه انه لا يكفر احداً بعينه ؟

وقال ايضاً في اثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم – لما ذكر عـــن أئمتهم شيئاً من انواع الردة والكفر – قال رحمه الله : هذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهـــم من الامور الظاهرة التي يعلم المشركـــون واليهود والنصارى ان محمداً ﷺ بعث بها وكفر من خالفها ، مثل : أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة احد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم ، فان هذا أظهر شرائع الاسلام . ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا في هذه الانواع ، فكانوا مرتدين ، وكثير منهم تارة يرتد عن الاسلام ردة صريحة ، وتارة يعود اليه مع مرض في قلبه ونفاق والحكاية عنهم في ذلك مشهورة ، وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفاً في اول « مختلف الحديث » وابلغ

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٣ .

من ذلك ان منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبـــادة الكواكب وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين .

هذا لفظه بحروفه .

فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه من كفر المعين . وتأمل تكفيره رؤوسهم : فلاناً وفلاناً باعيانهم ، وردتهم ردة صريحة ، وتأمل تصريحه بحكاية الاجماع على ردة الفخر الرازي عن الاسلام مع كونه عند علمائكم من الأئمة الاربعة — هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه ان المعين لا يكفر ، ولو دعا عبدالقادر في الرخاء والشدة ، ولو احب عبدالله بن عـــون وزعم ان دينه حسن مع عبادته ابي حديدة ، ولو ابغضك واستنجسك — مع انك اقرب الناس اليه ، لما رآك ملتفتاً الى التوحيد مع كونك توافقهم عـــلى شيء من شركهم وكفرهم .

وقال الشيخ ايضاً في رده على بعض المتكلمين واشباههم : والقوم — وان كان لهم ذكاء وفطنة ، وفيهم زهد واخلاق — فهذا لا يوجب السعادة الا بالايمان بالله وحده ، وانما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن ، واهل الرأي والعلم بمنزلة الملك والامارة ، فكل منهم لا ينفعه ذلك الا ان يعبد الله وحده لا شريك له ويتخذه الهاً دون سواه ، وهو معنى قوله « لا إله إلاّ الله » وهذا ليس في حكمتهم : ليس فيها الامر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة المخلوقات بل كل شرك في العالم انما حدث بزي جنسهم ، فهم الآمرون بالشرك ، والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه ، بل يقر هؤلاء وهؤلاء وان رجح الموحدين ترجيحاً ما ، فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الامرين جميعاً . فتدبر هذا فانه نافع جداً ، وكذلك الذين كانوا في ملة الاسلام — لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد ، (بل يسوغون الشرك ويأمرون بـــه إذا ادعوا التوحيد) ، فانما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل . والتوحيد الذي جاءت بـــه الرسل لا بـــد فيه من التوحيد باخلاص ، الدين كـــله

لله ، عبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه . والتوحيد الذي يدعونه انما هو تعطيل حقائق الاسماء والصفات ، فلو كانوا موحدين بالكلام — وهو ان يصفوا الله بما وصفته به رسله ، لكان معهم التوحيد دون العمل ، وذلك لا يكفي في النجاة ، بل لا بد ان يعبدوا الله وحده ويتخذوه الهاً دون ما سواه ، وهو معنى قوله « لا إله إلاّ الله » فكيف وهم في القول معطلون جاحدون . انتهى .

فتأمل كلامه واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد الذي كذبت فيه الله ورسوله واجماع الامة ، وتحيزت به الى عبادة الطواغيت . فان فهمت هذا وإلا اشير عليك انك تكثّر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده فان الخطر عظيم . فان الخلود في النار جزاء الردة الصريحة وعندنا ناس يجيئون بعيالهم بلا مال ولا جاعوا ولاشحذوا وقد قال الله في هذه المسألة : « يَا عِبَادِيَ الّذِينَ آمَنُوا إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ فَإيَّايَ فَاعْبُدُونِ »[1] « وكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وإيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ »[2] .

والله اعلم .

رسالة الى صديقه الشيخ عبد الله بن محمد عبد اللطيف عالم الحسا

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب الى عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله تعالى .

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، اما بعد : فقد وصل الينا من ناحيتكم مكاتيب فيها انكار وتغليظ عليّ . ولما قيل انك كتبت معهم ، وقع

---

(١) العنكبوت آية ٥٦ .
(٢) » » ٦٠ .

في الخاطر بعض الشيء لان الله سبحانه ، بشر لك من الذكر الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يوته كثيراً من الناس ، لما يذكر عنك عن مخالفة حكام السوء ، وايضاً لما اعلم منك من محبة الله وحسن الفهم ، واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم ، لاني اجتمعت بك من عشرين سنة وتذاكرت انا واياك في شيء من التفسير والحديث واخرجت لي كراريس من البخاري كتبتها ونقلت على هوامشها من الشروح ، وقلت في مسألة الايمان — التي ذكر البخاري في اول الصحيح : هذا هو الحق الذي ادين الله به . فاعجبني هذا الكلام لانه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين .

وذاكرتني ايضاً في بعض المسائل ، فكنت احكي لمن يتعلم مني ، ما من الله به عليك من حسن الفهم ، ومحبة الله والدار الآخرة .

فلأجل هذا ، لم اظن فيك المسارعة في هذا الامر ، لان الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير ، لان الحق ، ان كان مع خصمهم ، فواضح وان كان معهم . فينبغي للداعي الى الله ، ان يدعو بالتي هي احسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقد امر الله رسوليه موسى وهارون ، ان يقولا لفرعون ، قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى .

وينبغي للقاضي ، أعزه الله بطاعته ، لما ابتلاه الله بهـذا المنصب ، ان يتأدب بالآداب التي ذكرها في كتابه الذي انزله ليبين للناس ما اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يوقنون . فمن ذلك لا يستخفنه الذين لا يوقنون ، ويتثبت عند سعايات الفساق والمنافقين ولا يعجل .

وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم ، وذكر شعب النفاق لتجتنب ويجتنب اهلها ايضاً ، فوصفهم بالفصاحة والبيان ، وحسن اللسان ، وحسن الصورة في قوله : « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ... »[1] الآية . ووصفهم بالمكر والكذب ، والاستهزاء

(١) سورة المنافقون آية ٤ .

بالمؤمنين في أول « البقرة » ، ووصفهم بكلام ذي الوجهين ، ووصفهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله في قوله « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ في الكُفْرِ ... »[1] (الآية). ووصفهم باحتقار المؤمنين وعدم الرضا بأفعالهم . ووصفهم بغير هذا في « البقرة » و « براءة » وسورة « القتال » وغير ذلك . كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الاوصاف ومن تلبس بها . ونهى الله نبيه عن طاعتهم في غير موضع .

فكيف يجوز من مثلك ان يقبل من مثل هؤلاء ، واعظم من ذلك ، ان تعتقد انهم من اهل العلم وتزورهم في بيوتهم ، وتعظمهم . وأنا لا اقول هذا عن واحد بعينه ، ولكن نصيحة وتعريف مما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا ، لأن اكثر الناس قد نبذه وراء ظهره .

وأما ما ذكر لكم عني ، فاني لم آت بجهالة ، بل اقول ، ولله الحمد والمنة ، وبه القوة ، انني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين . ولست ولله الحمد ، ادعو الى مذهب صوفي ، أو فقيه ، أو متكلم ، أو امام من الأئمة الذين اعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم . بل أدعو الى الله وحده لا شريك له ، وادعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي اوصى بها اول امته وآخرهم ، وارجو اني لا ارد الحق اذا اتاني ، بل اشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان اتانا منكم كلمة من الحق لاقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من اقوال الحمقى . حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لا يقول إلا الحق .

وصفة الامر : غير خاف عليكم ، ما درج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصحابه ، والتابعون وأتباعهم ، والأئمة كالشافعي ، وأحمد وامثالهما ،

---

(١) سورة المائدة آية ٤١ .

ممن اجمع اهل الحق على هدايتهم ، وكذلك ما درج عليه من سبقت له من الله الحسنى من اتباعهم .

وغير خاف عليكم ، ما احدث الناس في دينهم من الحوادث ، ومـا خالفوا فيه طريق سلفهم . ووجدت المتأخرين اكثرهم قد غير وبدل ، وسادتهم وأئمتهم ، وأعلمهم وأعبدهم . وأزهدهم مثل ابن القيم ، والحافظ الذهبي ، والحافظ العماد بن كثير ، والحافظ ابن رجب ، قد اشتد نكيرهم على اهل عصرهم الذين هم خير من ابن حجر وصاحب « الاقناع » بالاجماع .

فاذا استدل عليهم أهل زمنهم بكثرتهم والاطباق على طريقتهم ، قالوا هذا من اكبر الادلة على انه باطل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اخبر ان أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة ، حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

وقد ذكر الله في كتابه انهم فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وانهم كتبـوا الكتاب بأيديهـم وقالوا هـذا من عند الله ، وانهـم تركوا كتاب الله والعمل به ، وأقبلوا على ما أحدثه اسلافهم من الكتب . واخبر انه وصاهم بالاجتماع ، وانهم لم يختلفوا لخفاء الدين بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم « فتقطعوا امرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون » . والزبر الكتب .

فاذا فهم المؤمن قول الصادق الصدوق : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » وجعله قبلة قلبه ، تبين له ان هذه الآيات واشباهها ليست على ما ظن الجاهلون انها كانت في قوم كانوا فبانوا ، بل يفهم ما ورد عن عمر رضي الله عنه ، انه قال في هذه الآيات مضى القوم ، وما يعني بها غيركم .

وقد فرض الله على عباده ، في كل صلاة ، ان يسألوه الهداية الى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، الذين هم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ، فمن عرف دين الاسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له ، عرف

مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه .

والحاصل ان صورة المسألة : هل الواجب على كل مسلم ان يطلب علم ما أنزل الله على رسوله ولا يعذر أحد في تركه البتة ؟ أم يجب عليه ان يتبع « التحفة » مثلاً ؟ فاعلم أن المتأخرين وسادتهم منهم : ابن القيم ، قد انكروا هذا غاية الانكار ، وانه تغيير لدين الله ، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، البين لمن نوّر الله قلبه ، والذين يجيزون ذلك او يوجبونه ، يدلون بشبهة واهية ، لكن اكبر شبهتهم على الاطلاق : إنا لسنا من اهل ذلك ولا نقدر عليه ، ولا يقدر عليه إلا المجتهد ، وإنا وجدنا آباءنا على امة ، وإنا على آثارهم مهتدون .

ولأهل العلم في ابطال هذه الشبهة ما يحتمل مجلداً ، ومن اوضحه قول الله تعالى « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ... »[1] . وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في حديث عدي بهذا الذي انتم عليه اليوم في الاصول والفروع ، لا اعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خردل ، بل يبين مصداق قوله : « حذو القذة بالقذة » الى آخره . وكذلك فسرها المفسرون ، لا اعلم بينهم اختلافاً ، ومن احسنه ما قاله أبو العالية : أما انهم لم يعبدوهم ، ولو أمروهم بذلك ما اطاعوهم ، ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا لا نسبق علماءنا بشيء ، ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا .

وهذه رسالة لاتحتمل اقامة الدليل ، ولا جواباً عما يدلي به المخالف ، لكني اعرض عليه من نفسي الانصاف والانقياد للحق ، فان اردتم الرد علي بعلم وعدل فعندكم كتاب « اعلام الموقعين » لابن القيم عن ابن فيروز في مشرفة ، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطاً كبيراً ، وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون

---

(١) سورة التوبة آية ٣١ .

انتم ولا آباؤكم ، واجاب عنها ، واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة ، منها : نهى الله ورسوله على امركم هذا بعينه ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وصفوه من قبل ان يقع ، وحذروا الناس منه ، واخبروا انه لا يصير على الدين إلا الواحد بعد الواحد ، وان الاسلام يصير غريباً كما بدأ . وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما سأله عمرو بن عبسة في اول الاسلام: من معك على هذا؟ قال: حر وعبد. يعني أبا بكر، وبلالاً.

فاذا كان الاسلام يعود كما بدأ ، فما اجهل من استدل بكثرة النـــاس واطباقهم ، واشباه هذه الشبهة التي هي عظيمة عند اهلها ، حقيرة عند الله ، ثم عند اولي العلم من خلقه ، كما قال تعالى « بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُون »(1) ، فلا اعلم لكم حجة تحتجون بها ، إلا وقد ذكر الله في كتابه أن الكفار اشترطوا بها على تكذيب الرسل . مثل اطباق الناس وطاعة الكبراء ، وغير ذلك . فمن منَّ الله عليه بمعرفة دين الاسلام الذي دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرف قدر هذه الآيات والحجج وحاجة الناس اليها .

فان زعمتم ان ذكر هؤلاء الائمة ، لهذا لمن كان من اهله ، فقد صرحوا بوجوبه على الاسود والاحمر ، والذكر والانثى ، وان ما بعد الحق إلا الضلال ، وان قول من قال ذلك صعب ، مكيدة من الشيطان كاد بها الناس عن سلوك الصراط المستقيم ، الحنيفية ملة ابراهيم ، وان بان لكم انكم مخطئون ، فبينوا لي الحق حتى ارجع اليه .

وإنما كتبت لكم هـــذا معذرة من الله ، ودعوة الى الله لأحصل ثواب الداعين الى الله ، والا انا اظن انكم لا تقبلونه وانه عندكم من انكر المنكرات ، وان الذي يعيب هذا عندكم مثل من يعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لكن انت ، من سبب ما اظن فيك من طاعة الله ، لا ابعد ان يهديك الله الى الصراط المستقيم ، فاذا قرأته ، فان انكره قلبك فلا عجب ،

---

(1) سورة «المؤمنون» آية ٨١ .

فان العجب ممن نجا كيف نجا ، فان اصغى اليه قلبك بعض الشيء ، فعليك بكثرة التضرع الى الله ، والانطراح بين يديه ، خصوصاً اوقات الاجابة ، كآخر الليل ، وادبار الصلوات ، وبعد الأذان . وكذلك بالادعية إلى هؤلاء ، خصوصاً الذي ورد في الصحيح ، انه صلى الله عليه وسلم ، كان يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والارض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » .

فعليك بالالحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر اذا دعاه ، وبالذي هدى ابراهيم لمخالفة الناس كلهم ، وقل يا معلم ابراهيم ، علمني ، وان صعب عليك مخالفة الناس ففكر في قول الله تعالى « ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ اهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ[1] » « إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ واللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ »[2]، وقوله تعالى « وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ في الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ »[3] .

وتأمل قوله ، صلى الله عليه وسلم ، في الصحيح : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » . وقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يقبض العلم » الى آخره . وقوله « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي » . وقوله « إياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة » . والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة ، افردت بالتصنيف .

فاني احبك ، وقد دعوت لك في صلاتي ، من قبل هذه المكاتيب ، ان يهديك الله لدينه القيم . ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظني انك لا تقبل وتسلك مسلك الاكثر ، ولكن لا مانع لما اعطى الله ، والله لا يتعاظم شيئاً اعطاه .

---

(١) سورة الجاثية آية ١٨ . (٢) سورة الجاثية آية ١٩ .
(٣) سورة الأنعام آية ١١٦ .

وما احسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله كعمر رضي الله عنه . في اوله . فانك لو تكون معنا . لانتصفنا ممن اغلظ علينا .

وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس : ان من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء بأهل العلم وزخرفه بأنواع الزخارف . فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه كما قال تعالى « ... يُوْحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ... »[١] .

فانما الذي انا عليه . وأدعوكم اليه . هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم . فانهم قد وصوا الناس بذلك . ومن اشهرهم كلاماً ذلك امامكم الشافعي . قال : « لا بد ان تجدوا عني ما يخالف الحديث . فكل ما خالفه فأشهدكم اني قد رجعت عنه » .

وأيضاً أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي . فاذا اختلفت انا وشافعي مثلاً في أبوال مأكول اللحم وقلت : القول بنجاسته يخالف حديث العرنيين ويخالف حديث أنس : إن النبي صلى الله عليه وسلم . صلى في مرابض الغنم : فقال هذا الجاهل : انت اعلم بالحديث من الشافعي ! قلت : أنا لم اخالف الشافعي من غير امام اتبعته . بل اتبعت من هو مثل الشافعي أو اعلم منه . قد خالفه واستدل بالاحاديث . فاذا قال : انت اعلم من الشافعي . قلت : انت اعلم من مالك واحمد فقد عارضته بمثل ما عارضني به وسلم الدليل من المعارض . واتبعت قول الله تعالى « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ ... »[٢] الآية . واتبعت من اتبع الدليل في هذه المسألة من اهل العلم . لم استدل بالقرآن او الحديث وحدي حتى يتوجه علي ما قيل . وهذا على التنزيل وإلا فمعلوم ان اتباعكم لابن حجر في الحقيقة ، ولا تعبأون بمن خالفه من رسول او صاحب او تابع ؛ حتى الشافعي نفسه لا تعبأون بكلامه

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٢.
(٢) سورة النساء آية ٥٩ .

اذا خالف نص ابن حجر . وكذلك غيركم ، انما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة ، فهؤلاء الحنابلة من اقل الناس بدعة ، واكثر « الاقناع » و « المنتهى » مخالف لمذهب احمد ونصه ، يعرف ذلك من عرفه .

ولا خلاف بيني وبينكم ، ان اهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم . وانما الشأن اذا اختلفوا ، هل يجب عليّ ان اقبل الحق ممن جاء بـه ، وارد المسألة الى الله ورسوله ، مقتدياً بأهل العلم ، أو انتحل بعضهم ، من غير حجة ، وازعم ان الصواب في قوله .

فأنتم على هذا الثاني ، وهو الذي ذمه الله وسماه شرطاً ، وهو اتخـاذ العلماء ارباباً . وأنا على الاول ، ادعو الله ، وأناظر عليه ، فان كان عندكم حق رجعنا اليه وقبلناه معكم ، وان أردت النظر في « اعلام الموقعين » فعليك بمناظرة في اثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة . وان القي في ذهنك ان ابن القيم مبتـدع وان الآيات التي استدل بها ليس هـذا معناها ، فاضرع الى الله واسأله ان يهديك لما اختلفوا فيه من الحق ، وتجرد الى الله ، ناظراً او مناظراً ، واطلب كلام اهل العلم في زمانه ، مثل الحافظ الذهبي ، وابن كثير ، وابن رجب وغيرهم .

ومما ينسب للذهبي . رحمه الله :

العلم قال ، الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

فان لم تتبع هؤلاء ، فانظر كلام الأئمة قبلهم كالحافظ البيهقي في كتاب « المدخل » ، والحافظ ابن عبد البر ، والخطابي وأمثالهم من قبلهم . كالشافعي ، وابن جرير ، وابن قتيبة ، وابن عبيد ، فهؤلاء اليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله ، وكلام السلف ، واياك وتفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه وشروحهم فانها القاطعة عن الله وعن دينه . تأمل ما في كتاب « الاعتصام » للبخـاري

وما قال اهل العلم في شرحه ، وهل يتصور شيء مما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان امته ستفترق على اكثر من سبعين فرقة — اخبر انهم كلهم في النار إلا واحدة ، ثم وصف تلك الواحدة انها التي على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وانتم مقرون انكم على غير طريقتهم . وتقولون ما نقدر عليها ولا يقدر عليها إلا المجتهد ، فجزمتم انه لا ينتفع بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد ، وتقولون يحرم على غيره ان يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام اصحابه ، فجزمتم وشهدتم انكم على غير طريقتهم ، معترفين بالعجز عن ذلك . واذا كنتم مقرين ان الواجب على الاولين اتباع كتـاب الله وسنة رسوله ، لا يجوز العدول عن ذلك ، وان هذه الكتب والتي خير منها ، لو تحدث في زمن عمر بن الخطاب ، لفعل بها وبأهلها اشد الفعل ، ولو تحدث في زمن الشافعي واحمد ، لاشتد نكيرهم لذلك ، فليت شعري متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم .

ولما حدث قليل من هذا — لا يشبه ما انتم عليه — في زمن الامام احمد ، اشتد انكاره لذلك ، ولما بلغه عن بعض اصحابه ، انه يروي عنه مسائـل بخراسان ، قال اشهد اني قد رجعت عن ذلك . ولما رأى بعضهم يكتب كلامه انكر عليه ، وقال تكتب رأياً لعلي قد ارجع عنه غداً . اطلب العلم كمـا طلبناه . ولما سئل عن كتاب ابي ثور ، قال كل كتاب ابتدع فهو بدعة . ومعلوم ان أبا ثور من كبار اهل العلم ، وكان يثني عليه ، وكان ينهى الناس عن النظر في كتب اهل العلم الذين يثني عليهم ويعظمهم .

ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب ابي حنيفة ، هجره احمد وكتب اليه : ان تركت كتب ابي حنيفة ، أتيناك تسمعنا كتب ابن المبارك ، ولما ذكر لـه بعض اصحابه ان هذه الكتب لا فائدة منها لمن لا يعرف الكتاب والسنة . قال ان عرفت الحديث لم تحتج اليها ، وان لم تعرفه . لم يحل لك النظر فيها . وقال عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون الى رأي سفيان . والله

يقول « ... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[1] » قال: اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، ومعلوم ان الثوري عنده غايـــة وكان يسميه أمير المؤمنين .

فاذا كان هذا كلام احمد في كتب نتمنى الآن ان نراها ، فكيف بكتب قد أقر اهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم ؟ وشهد عليهم بذلك ، ولعل بعضهم مات وهو لا يعرف ما دين الاسلام الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

وشبهتكم التي القيت في قلوبكم انكم لا تقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح ، وقد قدمنا ، ان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » الى آخره ، فتأمل هذه الشبهة أعني : قولكم لا نقدر على ذلك ، وتأمل ما حكى الله عن اليهود في قوله « وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ ...»[2] ، وقوله « وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الفَاسِقُونَ »[3] ، وقوله « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »[4] وقوله « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ »[5] .

واطلب تفسير هذه الآيات من كتب اهل العلم واعرف من نزلت فيه ، واعرف الاقوال والافعال التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات، ثم اعرضها على قولهم : لا نقدر عـــلى فهم القرآن والسنة ــ تجد مصداق قوله لتتبعن « سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ[6] » ، وما في معناه من الاحاديث الكثيرة .

فلتكن قصة سلمان الفارسي منكم على بال ، ففيها انه لم يكن على دين

---

(١) سورة النور آية ٦٣ .
(٢) سورة البقرة آية ٨٨ .
(٣) « « « ٩٩ .
(٤) سورة يوسف آية ٢ .
(٥) سورة القمر آية ٢٢ .
(٦) سورة النساء آية ٢٦ .

الرسل إلا الواحد بعد الواحد . حتى ان آخرهم قال عند موته . لا اعلم على وجه الارض احداً على ما نحن عليه . ولكن قد أظل زمان نبي واذكر مع هذا قول الله تعالى « فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ... »(١)

فحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة . ان يتأمل ما وصف الله به اليهود في كتابه . خصوصاً ما وصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق . ولبس الحق بالباطل . والصد عن سبيل الله . وما وصفهم الله . أي علماءهم . من الشرك والايمان بالجبت والطاغوت . وقولهم للذين كفروا « ... هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً »(٢) لأنه عرف ان كل ما فعلوا لا بد ان تفعله هذه الامة وقد فعلت .

وان صعب عليك مخالفة الكبراء . ولم يقبل ذهنك هذا الكلام : فاحضر بقلبك ان كتاب الله احسن الكتب واعظمها بياناً . وأشفى لداء الجهل وأعظمها فرقاً بين الحق والباطل . والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل ان يخلقهم . وقد ذكر في الكتاب « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً ... »(٣) واحضر قلبك هذه الاصول وما يشابهها في ذهنك واعرضها على قلبك فانه ان شاء الله . يؤمن بها على سبيل الاجمال . فتأمل قوله « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ... »(٤) وتكرير هذا الاصل في مواضع كثيرة . وكذلك قوله « .. أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ .. »(٥)

---

(١) سورة هود آية ١١٦ .
(٢) سورة النساء آية ٥١ .
(٣) سورة النحل آية ٦٤ .
(٤) سورة البقرة آية ١٧٠ .
(٥) سورة الاعراف آية ٧١ .

فكل حجة تحتجون بها تجدها مبسوطة في القرآن ، وبعضها في مواضع كثيرة .

فاحضر بقلبك ان الحكيم الذي انزل كتابه شفاء من الجهل . فارقاً بين الحق والباطل ، لا يليق به ان يقرر هذه الحجج ويكررها مع عدم حاجة المسلمين اليها . ويترك الحجج التي يحتاجون اليها . ويعلم الله ان عباده يفترقون. حاشا أحكم الحاكمين .

ومما يهون عليك، مخالفة من خالف الحق. وان كان من اعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جاهاً، ولو تبعه اكثر الناس، ما وقع في هذه الامة من افتراقهم في اصول الدين وصفات الله تعالى ، وغالباً من يدعي المعرفة وما عليه المتكلمون . وتسميتهم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حشواً وتشبيهاً وتجسيماً . مع انك اذا طالعت في كتاب من كتب الكلام مع كونه يزعم ان هذا واجب على كل واحد وهو اصل الدين – تجد الكتاب من أوله إلى آخره ، لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ، ولا حديث عن رسول الله . اللهم إلا ان يذكره ليحرفه عن مواضعه ، وهم معترفون انهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي . بل من عقولهم، ومعترفون انهم مخالفون للسلف في ذلك مثل ما ذكر في « فتح الباري » في مسألة الايمان على قول البخاري : وهو قول وعمل ويزيد وينقص . فذكر اجماع السلف على ذلك ، وذكر عن الشافعي انه نقل الاجماع على ذلك ، وكذلك ذكر ان البخاري نقله ، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده . فان نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح ، فتأمل تلك التراجم ، وقرأت في كتب اهل العلم من السلف ومن اتباعهم من الخلف ونقلهم الاجماع على وجوب الايمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول ، وان من جحد شيئاً منها او تأول شيئاً من النصوص ، فقد افترى على الله وخالف اجماع اهل العلم ونقلهم الاجماع ان علم الكلام بدعة وضلالة حتى قال ابو عمر بن عبد

البر : اجمع اهل العلم في جميع الاعصار والامصار ، ان اهل الكلام أهل بدع وضلالات لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء ، والكلام في هذا يطول .

والحاصل انهم عمدوا الى شيء اجمع عليه المسلمون كلهم ، بل واجمع عليه اجهل الخلق بالله عبدة الاوثان ، الذي بعث فيهم النبي ﷺ ، فابتدع هؤلاء كلاماً من عند انفسهم كابروا به العقول ايضاً ، حتى انكم لا تقدرون ان تغيروا عوامكم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم في علم هذا الامر ، إلا من سبقت لهم من الله الحسنى ، وهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود ، يبغضهم الناس ويرمونهم بالتجسيم .

هذا وأهل الكلام واتباعهم من احذق الناس وافطنهم ، حتى ان لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب ، وهم واتباعهم مقرون انهم مخالفون للسلف حتى ان أئمة المتكلمين ، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الامر والنهي مثل قولهم : المراد بالصيام كتمان اسرارنا ، والمراد بالحج زيارة مشايخنا ، والمراد بجبريل العقل الفعال وغير ذلك من افكهم ، ردوا عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الاسلام . فقال لهم الفلاسفة : انتم جحدتم علو الله في خلقه ، واستواءه على عرشه ، مع انه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل ، وقد اجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من اهل الملل ، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً ، وتأويلكم صحيحاً؟ فلم يقدر احد من المتكلمين ان يجيب عن هذا الايراد .

والمراد ان مذهبهم ، مع كونه فاسداً في نفسه ، مخالفاً للعقول ، هو ايضاً مخالف لدين الاسلام والكتاب والرسول والسلف كلهم ، ويذكرون في كتبهم يضاً انهم مخالفون للسلف ، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل حتى طبقت مشارق الارض ومغاربها .

وأنا أدعوك الى التفكر في هذه المسألة ، وذلك ان السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في اصول الدين وابطال كلام المتكلمين وتكفيرهم ، ومن ذكر هذا من متأخري الشافعية : البيهقي ، والبغوي ، واسماعيل التيمي ، ومن بعدهم كالحافظ الذهبي ، وأما متقدموهم كابن سريج ، والداراقطني وغيرهما ، فكلهم على هذا الامر ، فتش في كتب هؤلاء فان اتيتني بكلمة واحدة ان منهم رجلاً واحداً لم ينكر على المتكلمين ولم يكفرهم ، فلا تقبل مني شيئاً ابداً . ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور ، راج عليكم حتى ادعيتم ان اهل السنة هم المتكلمون ، والله المستعان .

ومن العجب ، انه يوجد في بلدكم من يفتي الرجل بقول امام ، والثاني بقول آخر ، والثالث بخلاف القولين ويعد فضيلة وعلماً وذكاءً ، ويقال هذا يفتي في مذهبين او اكثر . ومعلوم عند الناس ان مراده في هذا العلو والرياء ، واكل اموال الناس بالباطل .

فاذا خالفت قول عالم لمن هو أعلم منه او مثله ، اذا كان معه الدليل ، ولم آت بشيء من عند نفسي ، تكلمتم بهذا الكلام الشديد ، فان سمعتم اني أفتيت بشيء خرجت فيه من اجماع اهل العلم توجه علي القول .

وقد بلغني انكم في هذا الامر قمتم وقعدتم ، فان كنتم تزعمون ان هذا انكار للمنكر ، فيا ليت قيامكم هذا كان في عظائم في بلدكم تضاد اصل الاسلام شهادة ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، منها وهو اعظمها ، عبادة الاصنام عندكم من بشر وحجر ، هذا يذبح له ، وهذا ينذر له ، وهذا يطلب اجابة الدعوات ، واغاثة اللهفات ، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر ، وهذا يزعمون ان من التجأ اليه ينفعه في الدنيا والآخرة ، ولو عصى الله ، فان كنتم تزعمون ان هذا ليس هو عبادة الاصنام والاوثان المذكورة في القرآن ، فهذا من العجب ، فاني لا اعلم احداً من اهل العلم ، يختلف في ذلك ، اللهم إلا ان يكون احد منهم ، وقع فيما وقع فيه اليهود من ايمانهم بالجبت والطاغوت .

وإن ادعيتم انكم لا تقدرون على ذلك ، فان لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض. كيف وبعض الذين انكروا علي هذا الامر . وادعوا انهم من اهل العلم . ملتبسون بالشرك الاكبر ويدعون اليه ولو يسمعون انساناً يجرؤ على التوحيد لرموه بالكفر والفسوق. ولكن نعوذ بالله من رضاء الناس بسخط الله ، ومنها ما يفعله كثير من اتباع ابليس واتباع المنجمين والسحرة والكهان ممن ينتسب الى الفقر . وكثير ممن ينتسب الى العلم ، من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس ويشبهونها بمعجزات الانبياء وكرامات الاولياء ، ومرادهم أكل اموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، حتى ان بعض انواعها ، يعتقد فيه من يدعي العلم ، انه من العلم الموروث عن الانبياء ، من علم الاسماء وهو من الجبت والطاغوت . ولكن هذا مصداق قوله ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ومنها هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة اصحاب السبت او اشد . وأنا ادعو من خالفني الى احد اربع : اما الى كتاب الله ، واما الى سنة رسوله ﷺ ، واما الى اجماع اهل العلم. فان عاند دعوته الى المباهلة. كما دعا اليها ابن عباس في بعض مسائل الفرائض ، وكما دعا اليها سفيان ، والاوزاعي في مسألة رفع اليدين . وغيرهما من اهل العلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فكانت هذه الرسائل سبباً لاختلاف الناس فيها . فمنهم من صدق الشيخ واتبع دعوته . ومنهم من اتخذه سخرية وهزءاً ونسبه الى الجهل وعدم المعرفة . ومنهم من رماه بأشياء تفسر بالكفر ليصد الناس عنه . ومنهم من اعلن الحرب عليه خوفاً على سلطانه وانتقاض سطوته .

خصوم الدعوة ومعارضوها

لم تُرض مبادىء الدعوة التي يدعو اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب مشايخ نجد وكبار قادتها وخشوا تأثيرها في الجماهير واندفاع الشعب في تأييدها

لان ذلك أمر يهدد زعامتهم ويذهب بنفوذهم ويقلل أو يحد من سلطانهم، فانبروا لمحاربتها وانضم الى جانبهم بعض رجال الدين الجامدين وعقدت بين هؤلاء وأولئك الاتفاقات السرية والعلنية لمقاومة الدعوة والقضاء عليها قبل استفحالها، وأخذوا يؤلفون القلوب ضدها ويحثّون الناس على محاربتها (كما بينا سابقاً) وكان من اشهر رجال الدين الذين نصبوا العداء للشيخ ودعوته وتصدوا للطعن في المبادىء التي يدعو اليها هم: ابن اسماعيل، وعبدالله المويسي قاضي حرمة، وابن عبيد، وابن يحيى، وابن سحيم. ومربد بن أحمد بن عمر التميمي، ومحمد بن فيروز، ووالده عبد الوهاب. وغيرهم. وكان على رأس جميع هؤلاء المعارضين اخو الشيخ نفسه المدعو سليمان بن عبد الوهاب قاضي حريملا. فقد كان هذا يحرّض اهل حريملا على العصيان ويراسل انصار اخيه في كل بلد ليرجعهم عن معتقداتهم والتخلي عن دعوة اخيه. ويرسل الدعاة الى رؤساء وشيوخ البلدان ليشهروا باخيه ويطعنوا فيه.

وفي عام ١١٦٧ هـ ١٧٥٤ م امسك انصار الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة رجلاً قد جاء مدينتهم ومعه كتاب من الشيخ سليمان المذكور كان يقرأه في المحافل وفي البيوت فيه طعن كثير على الشيخ محمد وتفنيد لدعوته فقتلوا ذلك الرجل ومزقوا الكتاب الذي كان معه. وارسلوا الى الشيخ في الدرعية يخبرونه بالخبر. فارسل الشيخ رسالة مطولة الى اهل العيينة ابطل فيها اقوال اخيه.

رفع رايات الجهـــاد

مرّت سنتان على مكوث الشيخ في الدرعية وهو يدعو سلماً بالقول والموعظة الحسنة وكانت الدعوة تسير سيراً بطيئاً . عندئذ وجد الشيخ ان انصاف الحلول في مثل هذه الامور لا تجدي نفعاً ولا تقرر مصيراً . وقد تكاثر اعداء الدعوة وعقدوا الاتفاقات في سبيل مكافحتها وحاكوا المؤامرات للتخلص منها . بيد انّ ما ابداه الامير محمد بن سعود من تأييده المطلق للدعوة قد ضمن لهـــا ما كان يعوزها من السلطة المادية ومن القوة والسلاح .

عندئذ لم يرَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأً من الاستعانة بالسيف بجانب دعوته الارشادية فاذن، بالجهاد وحضّ اتباعه عليه مقتدياً برسول الله ﷺ فامتثلوا امره وبدت في الافق رايات الجهاد آتية طلائعها من الدرعية خفاقة على ربوع الجزيرة لتملأها ايماناً واماناً وحرية وعدلاً ، وها نحن نبين في ما يأتي البلدان النجدية التي خضعت للدعوة سلماً وحرباً ونتطرق للمعارك الكبرى التي دارت مع الاقطار الاخرى .

الغزوة الأولى[1]

عندما اذن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحض اتباعه على الجهاد امتثلوا ، وكانت اول غزوة لتلاميذ له لم يمارسوا القتال وقد تألّفت من سبع ركائب ، فلما اعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا عن اكوارها لانهم لم يعتـــادوا ركبوبهـــا ولكنهم اغاروا على بعض الاعراب ففتحوا ورجعوا سالمين وذلك في محرم ١١٥٩ هـ كانون الثاني ١٧٤٦ م .

هذه هي قصة الغزوة الأولى التي غزاها اتباع الدعوة وقد كانت صغيرة او محدودة الا انها كانت مقدمة وطليعة لغزوات وحروب اخرى تلتها ، فشملت الاحساء والحجاز والشام وشرّقت وغرّبت وبوّأت الدعوة ارفع مكان .

---

(١) الغزو في سبيل الدين يعد ضرباً من ضروب الجهاد .

انضمام حريمـــلا الى الدعوة

حريملا هي اول بلد من بلدان العارض آمن بالدعوة بعد وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية وقد قبل الشيخ ايمان اهلها وامّر عليها في عام ١١٥٨ هـ ١٧٤٥ م محمد بن عبدالله بن مبارك واشترك اهلها تحت رايات الجهاد وكان لهم فيه البلاء الحسن .

ثورة حريملا

ولكن ولاء حريملا لم يدم، فقد ثار اهلها في عام ١١٦٥ هـ ١٧٥٢ م برئاسة قاضيهم الشيخ سليمان بن عبد الوهاب [1] على اميرهم محمد بن عبدالله المعيّن من قبل الدرعية ، واخرجوه من البلد واخرجوا معه بعض من كانوا موالين للدعوة ، منهم عدوان بن مبارك ، وولده مبارك ، وعثمان بن عبدالله بن مبارك (اخو الأمير) ، وعلي بن حسن ، وناصر بن جديع ، وغيرهم . فالتحق هؤلاء جميعاً بالدرعية ولم تمر على هذه الحادثة الا ايام قليلة حتى ارسل رجال من قبيلة محمد ابن عبدالله المذكور يطلبون منه العودة الى حريملا ويعدونه بالنصرة والمؤازرة ، فقدم عليهم ولكن خصومه من آل راشد جمعوا اهالي حريملا وحاصروه ومن كان معه في داره ثم هجموا عليه وقتلوه مع ثمانية من قبيلته المحاصرين ولم ينجُ منهم الا مبارك بن عدوان فالتجأ الى الدرعية طالباً النجدة .

ثم اخذ اهالي حريملا بتحصين مدينتهم وإحكام اسوارها استعداداً للقيام بالدفاع عنها .

---

(١) الشيخ سليمان هو اخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشقيقه .

لبّت الدرعية طلب مبارك بن عدوان وجهزت حملة لتأديب اهالي حريملا . فصمد اهالي حريملا لهذه الحملة ، واضطروها الى الرجوع ولم تحاول الدرعية اعادة الكرة عليها في هذا العام .

وفي عام ١١٦٦هـ ١٧٥٣م قامت حريملا بهجوم على الدرعية ففشل ذلك الهجوم .

اخضاع حريملا

ولما حلّ عام ١١٦٨هـ ١٧٥٥ م سار الامير عبد العزيز بن سعود من الدرعية على رأس ثمانمائة مقاتل وقصد حريملا ، وعندما قرب منها اناخ في شرقيها . ولما جنّ الليل قسم جيشه الى قسمين جعل قسماً منه في الشعب المسمى (شعب العوجة) وتولى هو قيادته ، وامر القسم الآخر البالغ عدده مائتي رجل ان يكمن بمحل يقال له (الجذيع) واناط قيادته بمبارك بن عدوان .

وعند الصباح برزت ثلة من قوات مبارك بن عدوان وهاجمت حريملا فقاومها الاهلون فتظاهرت لهم بالفرار وتركت لهم شيئاً من اموالها واسلحتها لتشغلهم في نهبها . ثم انقضت عليهم الفرقة التي كان يقودها الامير عبد العزيز فثبتوا لها ثم داهمتهم قوات مبارك مرة ثانية فولوا منهزمين ليدخلوا المدينة ولكن قوات الامير عبد العزيز حالت بينهم وبين ذلك فتفرقوا في البراري والشعاب بعد ان بلغت خسائرهم نحو مائة قتيل . ولم يبق في مدينة حريملا من القوات المقاتلة الا شرذمة قليلة وهي التي لم تخرج للقتال .

وانصرف الامير عبد العزيز مع قواته قافلاً يريد وطنه . عندئذ انتهز امير ضرمي محمد بن عبدالله فرصة خلو حريملا من المقاتلة فدخل البلد بنفر قليل من اتباعه وقصدوا المجلس الذي في وسطها المسمى (بالحويش) واناخوا فيه ونادوا بالامان وبعثوا الى الدرعية يبشرونها بالفتح فاوفدت الدرعية الامير عبد العزيز على رأس ثلة من الجيش الى حريملا لينظم شؤونها . فلما وردها

قابله بعض من اهلها بالقتال فانتصر عليهم بعد قتال قليل وقد قتل ، في هذه المعركة بعض من اعيان البلد منهم اخو مينس محمد بن حمد بن محمد بن سليمان وحسن بن عبد الرحمن وابراهيم بن خالد وابراهيم بن عبد الوهـــاب بن عبدالله وغيرهم . اما الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فقد ترك حريملا لينجو بنفسه وقصد مدينـــة الزلفى في سدير ماشياً على قدميه فوصلها سالماً .

ولم يقتل من جيش الدرعية الا ثمانية رجال وكانت هذه الوقعة في يوم الجمعة لسبع خلون من شهر جمادى الثانية ١١٦٨ هـ ٢٢ مايس ١٧٥٥ م .

ولما دخل الامير عبد العزيز مدينة حريملا اعلن فيها العفو العام لجميـــع الاهلين الا من احدث حدثاً من قبيلة آل راشد او غيرهم ثم استفتى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شأن حريملا فافتاه بأنها فيء للمسلمين فعمل عبد العزيز بفتواه وترك حريملا بعد ان اسند الأمر فيها الى مبارك بن عدوان واسند القضاء فيها الى مربد بن احمد التميمي وعاد بالاموال والغنائم الى الدرعية وقسمت فيها .

مهاجمة صاحب الرياض لحريملا

وفي شهر ذي الحجة من هذا العام (ايلول) اجتمع دهام بن دواس صاحب الرياض ومحمد بن فارس صاحب منفوحة وساري بن يحيى صاحب ثادق وابراهيم بن سليمان صاحب ثرمداء على مهاجمة حريملا وحالفهم على ذلك اناس من اهل ثادق (في المحمل) ومن جلا من اهل حريملا فساروا جميعاً اليها ولما قاربوها نزلوا في اعلاها في محل يدعى (الحسيان) فنهض اليهم اميرها مبارك بن عدوان بقواته المرابطة في البلد وقاتلهم فقتل من اتباعه ثمانية عشر رجلاً . وقد خشي الفشل فارسل الى الدرعية يستنجدها فامدته بالمقاتلة والسلاح فتمكن مبارك من صد المهاجمين والتغلب عليهم ولاذ بعضهم بالفرار

وتحصن البعض الآخر في دار من دور الحسيان تعرف (ببيت ناصر) فاقاموا فيها محاصرين لمدة خمسة ايام ثم تمكن قسم منهم من الهرب ليلاً وكان من ضمن الهاربين ساري بن يحيى رئيس ثادق ثم دعا مبارك الباقين منهم فقتل منهم ستة رجال صبراً واسر الآخرين فافتدوا انفسهم بالمال .

وقد بلغت خسائر دهام واتباعه في هذا الهجوم ستين رجلاً وعرفت هذه المعركة بـ(وقعة الدار) .

تمرد مبارك بن عدوان

استتب الامر لمبارك بن عدوان في حريملا وقويت شوكته فاعتز بنفسه وصار يراوغ في تنفيذ بعض الاوامر التي كانت ترده من الدرعية فاشتبهت الدرعية في سلوكه نحوها وخشيت تمرده فاستدعته في عام ١١٧١ ﻫ ١٧٥٨ م للاشتراك في جيشها الذي ساقته على الرياض فلبّى الطلب ، وبعد عودة ذلك الجيش فرضت عليه الاقامة فيها على ان يعطى له ما يشاء من نخيل حريملا فاظهر لها الرضا والطاعة .

فاسندت الدرعية ولاية حريملا الى احد ابناء عمومته المدعو محمد بن حمد بن ناصر بن عدوان ؛ فلما تجهز محمد المذكور للذهاب الى حريملا طلب مبارك من الدرعية الاذن له في زيارة اخت له كانت تقيم مع زوجها المدعو محمد الطويل في نخل له يدعى (ام صوي) يقع في اعلى بلد العيينة . فأذن له في ذلك . فلما وصل ام صوي اخذ منها فرساً وركبها دون ان يشعر به احد وحث السير الى حريملا ليصلها قبل محمد بن حمد بن ناصر . وعندما وصل اجتمع اليه اناس من قبيلته واعوانه واعلن الثورة على الدرعية ، ولما علم به آمر حامية الدرعية التي في حريملا المدعو حسن بن عبدالله بن عيدان امر بغلق باب الحصن في وجهه والاستعداد للقتال ، فعزم مبارك على استخلاص الحصن من يد حسن بالقوة فامر بضرب الطبول في وسط المدينة في المحل المسمى

(الحويش) ايذاناً للقتال فاجتمع عليه اناس من قبيلته واعوانه . ولكنهم لما علموا ان حسناً قد ضبط الحصن خافوا مغبة الامر ومداهمة قوات الدرعية فتفرقوا عنه فاضطر مبارك عندئذ الى ترك حريملا وشأنها فغادرها ورافقه قسم من اهلها الموالين له، وممن رافقه مربد بن احمد بن عمر التميمي قاضي حريملا فتوجه مربد الى بلد رغبة فالقى عليه القبض اميرها علي الجريسي وقتله .

محاولة مبارك الثانية لمهاجمة حريملا

واما مبارك فانه قصد بلد الصفرة ومنها سار الى المجمعة ملتجئاً الى صاحبها حمد بن عثمان وطلب منه النصرة . كما طلب النصرة من آل مدلج الذين في حرمة ومن ابراهيم صاحب ثرمداء (في الوشم) ومن سدير وغيرها فخفت هذه الاقطار لنصرته ولم يتخلف منها غير سكان شقراء (في الوشم).

فسارت هذه الجموع قاصدة حريملا وعندما قاربوا بلد رغبة حطوا رحالهم على ماء يقال له (الفُقير) واقامو عليه اياماً يهيئون العدة لاحتلال حريملا . فبلغهم وهم على ذلك الماء أن محاولتهم قد انكشفت للدرعية وقد سيرت عليهم جيشاً كبيراً وليت قيادته للأمير عبد العزيز، ولما وصل هذا الجيش الى حريملا فت في عضدهم وعدلوا عن مهاجمة حريملا وتوجهوا نحو رغبة وضربوا عليها الحصار فتحصن صاحبها علي الجريسي ومن كان معه في حصونهـا واستعدوا لقتالهم . وقد تخلى اغلب العرينات من اهالي رغبة وجيرانهم من المنازل الأخرى من رغبة المسماة بـ (الحزم) عن الجريسي واعلنوا الحياد .

ولما تحقق لدى مبارك بن عدوان[1] ومن معه من الاحزاب ان الحصار سيطول صرموا نخيل المدينة (المعروف بالجو) ولم يتعرضوا لنخيل الحزم بشيء .

---

(١) توفي مبارك بن عدوان عام ١١٧٤ هـ ١٧٦٠ م .

ثم رفعوا الحصار عن رغبة ورجعوا الى اوطانهم دون ان يحققوا شيئاً يذكر. اما الامير عبد العزيز فقد ترك حريملا وتوجه الى رغبة ، فلما وصلها وجد ان مبارك بن عدوان ومن معه قد انسحبوا عنها فامر بهدم منازل اهل الحزم ومصادرة نخيلهم واعطائها لعلي الجريسي . ثم اقر احمد بن حمد بن عدوان على حريملا فهدأت الاحوال واستقر فيها الامر ، وبعد حين آلت امارة حريملا الى حمد بن مبارك بن راشد .

منفوحـــة

وحكامها آل شعلان

منفوحة تقع في وادي حنيفة في العارض قرب الرياض .

وكانت الرئاسة فيها لآل شعلان الذين يرجعون بنسبهم الى عشيرة الجلاليل من فخذ العفسة من قبيلة مطير .

دواس بن عبدالله بن شعلان

مـن ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م الى ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م

كان دواس بن عبد الله من ابرز الرؤساء الذين تولوا الحكم في منفوحة ومن اشدهم بأساً . وفي عام ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م نافسه على الحكم اناس من عشيرته من آل حمد بن مفرج وعزموا على استخلاص الحكم من يده ، فلما علم بذلك قتلهم في مسجد منفوحة . وفي عام ١٠٩٤ هـ ١٦٨٣ م اكتشف مؤامرة اخرى على قتله قام بها قسم من المزاريع فقتلهم ثم استقام الامر بعد هذا لدواس في منفوحة الى ان توفي عام ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م .

محمد بن دواس

من ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م الى ١١٤٠ هـ ١٧٢٧ م

تولى الامر في منفوحة بعد دواس ولده محمد فثار عليه ابن عمه زامل بن فارس بن عبد الله في العام الاول من امارته وناصره في ثورته اهالي منفوحة

فقتل محمد واخرج اخوانه من منفوحة وهم دهام وتركي ومشلب وفهد وتوجهوا الى الرياض ملتجئين بصاحبها زيد بن موسى .

عبدالله بن فارس
مـــن ١١٤٠ هـ ١٧٢٧ م الى ١١٦٨ هـ ١٧٥٥ م

بعد مقتل محمد بن دواس تولى امر منفوحة عبد الله بن فارس وصفا له الامر بعد اخراجه اولاد دواس من البلد واستمر في حكمه الى ان توفي عام ١١٦٨ هـ ١٧٥٥ م .

محمد بن عبدالله بن فارس
مـــن ١١٦٨ هـ ١٧٥٥ م إلى ١١٧٨ هـ ١٧٦٥ م

خلف عبد الله على الامارة ولده محمد الذي تذبذب في ولائه بين الرياض والدرعية فتعرض لغزو الطرفين . ثم اعلنت منفوحة ولاءهـا للدرعية ثم نقضت ذلك العهد وطردت الامام المنصوب للصلاة بالناس وسيطر اعداء الدعوة على امور البلد فلم يستطع انصار الدرعية المتمسكون بعقيدتهم عمل شيء الا الهجرة من منفوحة والالتحاق بالدرعية وغيرها من البلدان الموالية للدعوة ، وقد احصي من هاجر منهم في يوم واحد فبلغ سبعين شخصاً .

وقعة الرشا

ادركت الدرعية ان لا بد لها من القيام بعمل تجازي به صاحب منفوحة على قيامه باضطهاد رجالها الذين كانوا في بلده، فجهزت في عام ١١٧٠هـ ، ١٧٥٧ م جيشاً كبيراً برئاسة الامير عبدالعزيز السعود وسيرته الى منفوحة

فدخل عبد العزيز البلد فاتحاً وامر بهدم السد المعروف بـ (الرشا) المعد لحجز السيل عن المدينة، فاستنجد صاحب منفوحة بدهام بن دواس صاحب الرياض فأنجده، فدار قتال شديد قتل فيه من اهل الرياض ثلاثة رجال وقتل من جيش الدرعية عشرة رجال .

مواصلة الغزو [1] على منفوحة

لقد ظنت الدرعية ان ما قامت به في عام ١١٧٠ هـ ، ١٧٥٧ م من الهجوم على منفوحة سيكون لها رادعاً عن تآمرها عليها، ولكن ظهر لها انها لا زالت على عدائها فجهزت عليها حملة اخرى في عام ١١٧٣هـ ١٧٥٩ م بقيادة الامير عبد العزيز فأغار على منفوحة واشعل النار في ربوعها . ثم عاد الى الدرعية ولم يقم بها الا قليلاً حتى غزا منفوحة مرة ثانية ودار بين الحصمين قتال قتل فيه عدة رجال من الفريقين .

وفي عام ١١٧٥ هـ ١١٦١ م عاود الامير عبد العزيز غزواته على منفوحة وقتل من اهلها سعد بن محمد بن فارس وشبيب الصنان .

وفي آخر عام ١١٧٨ هـ ١١٦٤ م قتل محمد بن فارس صاحب منفوحة وابنه عبد المحسن ، قتلهما اولاد زامل بن فارس .

---

(١) ان الغزو في سبيل الدعوة اعتبر بمثابة الجهاد الديني .

نهـــاية العيينة وامرائهـــا

آل معمّر

لما جاء الامير عثمان الى الدرعية بعد هجرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليها يطلب من الشيخ الرجوع معه الى العيينة ، ابى عليه الشيخ ذلك وطلب منه تجديد البيعة على دين الله ورسوله ، فجدد له البيعة وعاهده على النصرة وعاد الى بلده .

وفي عام ١١٥٩ هـ ١٧٤٥ م اشترك عثمان بن معمر بالهجوم الذي قامت به الدرعية على بلدة الرياض ولكنه تقاعس عام ١١٦٠ هـ ١٧٤٦ م عن نصرة الدرعية في هجومها الآخر الذي شنته على الرياض فهاجمتها وحدها . ثم خاف ان توجه اليه تهمة النفاق والخيانة، فوفد على الدرعية ليقدم معذرته عن عدم اشتراكه في النصرة ، وعاهد الشيخ والامير محمد بن سعود على الجهاد كلما طلب منه ذلك، فصدقاه ووعداه ان يكون هو القائد الاعلى لجيشهم المقبل.

ولكن عثمان بن معمر بعد عودته من الدرعية تورط في عمل فظيع . ذلك انه جمع عنده امير الرياض وامير ثرمداء وتعاهدوا على مكافحة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامير محمد بن سعود . وقد شعر من كان في العيينة من الذين يوالون الدعوة بما يدبره اميرها فذهبوا اليه يستوضحون جلية الخبر فموّه عليهم وقال انه يريد مصالحة الاميرين مع الدرعية وادخالهما في سلك الدعوة . ثم طلب ابن معمر من الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحضور في العيينة للاجتماع بالاميرين المذكورين، غير ان الشيخ امتنع عن الحضور خوفاً من المكيدة . عندئذ حاصر اتباع الشيخ الذين في العيينة قصر الامير للفتك بأمير

الرياض وثرمداء، ولكنّ الاميرين استطاعا الهروب تحت جنح الظلام والعودة الى بلديهما بأمان .

ومع هذا لم تظهر الدرعية اشمئزازاً ونفوراً لعثمان بن معمر، فاسندت اليه القيادة العامة للحملة التي هيأتها في عام ١١٦١ هـ ١٧٤٧ م لمهاجمة الرياض والتي كانت تتكون من اهالي الدرعية وحريملا وضرمى والعيينة . ثم ولته القيادة العامة للحملة الثانية التي وجهتها على الرياض واشترك فيها الى جانب اولئك اهل منفوحة، وكان الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود تحت امرته .

ثم هيأت الدرعية حملة الى ثرمداء تحت امرة الأمير عثمان بن معمر، فأخلى اهل ثرمداء البلدة وطلب عبد العزيز من عثمان دخولها والاستيلاء عليها، فأبى وكان ذلك من دواعي الشك فيه .

ثم سيرت الدرعية حملة أخرى تحت امرة عثمان الى ثرمداء فأتلفوا زرعها ولم يقاتلوا اهلها وانقلبوا راجعين .

سبب رفض عثمان بن معمر الاستيلاء على ثرمداء

علم عثمان بن معمر ان فتح ثرمداء وغيرها من البلدان معناه استتباب السيادة في نجد للدرعية وان الدرعية متى ما توسع نفوذها لا بد انها ستقوض حكمه على العيينة، فآثر ان يحمي صاحب ثرمداء ليستعين به في المستقبل ضد من يجدهم منافسين او مهددين لامارته في المدى القريب او البعيد .

فرفع الامير عبد العزيز خبر توقف عثمان بن معمر عن فتح ثرمداء الى والده والى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فتحقق لهما ما كانا يشكان فيه من اخلاص ابن معمر لقضيتهم وما تنطوي عليه نفسه من الحقد والمنافسة لهم .

وفي عام ١١٦٢ هـ ١٧٤٨ م قاد الامير محمد بن سعود غزواته بنفسه ولم يشرك معه عثمان بن معمر .

فأخذ عثمان بن معمر يسيء الى انصار الدعوة الذين في العيينة ويمعن في اذلالهم ويظهر الموالاة لغيرهم . فذهب وفد منهم الى الدرعية وشكوه الى الشيخ . فلما تحقق الشيخ صدق اقوالهم قال لهم : « اريد منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاة من والاه ومعاداة من ناوأه وعاداه ولو كان اميركم عثمان نفسه » .

فأعطوه على ذلك العهد والميثاق ، ولما بلغت أخبار تلك البيعة الى عثمان ابن معمر ازداد حقده على الدرعية وتنكر للموالين للدعوة وعزم على الفتك بهم أو اجلائهم عن بلده ، وكتب الى صاحب ثرمداء والى امير احدى قبائل البدو ان يحضرا اليه ليستعين بهما على تنفيذ الخطة التي رسمها . وفي الوقت نفسه تلقى كتاباً من محمد بن عفالق احد علماء الدين في الاحساء يزين له نقض بيعته للشيخ محمد بن عبد الوهاب ويحثه على معاداة الدرعية ، فزاده هذا الكتاب اقداماً وجرأة ، غير ان اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانوا له بالمرصاد يقظين ساهرين لم تخف عليهم حركة من حركاته فقرروا التخلص منه قبل ان يفتك بهم ويبيدهم .

مقتل عثمان بن معمر

لم يكـد عثمان بن معمر يفرغ من صلاة الجمعة في مسجد العيينة في يوم ١٥ من رجب ١١٦٣ هـ ٢١ حزيران ١٧٥٠ م حتى احاط به نفر من الموالين للدعوة من اشهرهم احمد بن راشد وابراهيم بن زيد الباهلي وموسى ابن راجح فقتلوه وارسلوا الى الدرعية يخبرون الشيخ والامير محمد بن سعود بالامـــر .

فاستاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب من عملهم وعجل بالمسير الى العيينة فوصلها في اليوم الثالث لمقتل عثمان المذكور، فهدأت لمقدمه نفوس القوم واشار عليه اهل العيينة بأن لا يؤمّر عليهم احداً من آل معمر، فلم يلبِّ طلبهم بل ولى عليهم مشاري بن ابراهيم آل معمر.

مشاري بن ابراهيم

اظهر مشاري بن ابراهيم ولاءه للدرعية واشترك مع قواته في السنة التي تولى بها الامر في غزوات الدرعية. وبقي في الامارة الى عام ١١٧٣ ﻫ ١٧٦٠ م حيث صدرت منه بوادر انحراف عن اوامر الدرعية دعت الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامير محمد بن سعود ان يسيئا به الظن فعزلاه عن الامارة.

سلطان بن محسن المعامرة

اسندت الدرعية امارة العيينة الى سلطان بن محسن احد مماليك آل معمر، فاستاء ناصر بن عثمان لذلك وكان يطمع هو بتولي الامارة، فعزم على انتزاع الامارة من يد سلطان، فأعلن تمرده على الدرعية، الا ان تمرده لم يدم طويلاً فقد قتل في عام ١١٨٢ ﻫ ١٧٦٨ م، وكاد الامر في العيينة ان يضطرب، فذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى العيينة وامر بهدم قصر آل معمر وذلك اعلاناً لانتهاء حكمهم. وبهذا انتهى عهد آل معمر في العيينة وغدت جزءاً من اجزاء الدرعية، ثم اهمل امرها بعد ذلك حتى تلاشت وامست اثراً بعد عين.

ضرمى

كانت ضرمى من المدن السابقة في اعلان طاعتها للدرعية وايمانها بالدعوة ، غير انها لم تحافظ على ايمانها وطاعتها ، فقد نقض رئيسها ابراهيم(١) ابن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة عهده للدرعية وتنكر للدعوة وذلك في عام ١١٦٤ هـ ١٧٥٠ م اذ قتل ثلاثة من انصار الدعوة ومن اكابر دعاتها وهم عمر الفقيه التميمي ورشيد العزاري وابن عيسى . وكان رشيد العزاري اخاً لآل سيف من امهم . ولم يمض على هذه الحادثة سوى اربعة اشهر حتى هجم آل سيف وهم صقر واخوته جارالله وغيث وعثمان على ابراهيم بن محمد وهو في مجلسه العام فقتلوه وابنيه هيدان وسلطان أخذاً بثأر اخيهم رشيد المذكور . وبعد هذه الحادثة ترك ضرمى كثير من اهلها الذين كانوا موالين لابراهيم فولت الدرعية بدلا منه عبد الله بن عبد الرحمن .

ولما حل عام ١١٦٥ هـ ١٧٥٢ م اتفق اهالي ضرمى الذين غادروها مع بعض من اهالي الوشم وسدير والجنوب وغيرهم وشنوا حملة على ضرمى وحاصروها ودار بينهم وبين اهلها قتال قتل فيه من اهالي سدير والوشم ومن تبعهم نحو ثلاثين رجلاً ومن اهالي الجنوب عشرون رجلاً منهم حمد بن عثمان المزاني .

وقد قوي نفوذ آل سيف بعد هذا الحادث في ضرمى وقد اعجبوا بأنفسهم واخذوا يعتدون على الناس ويستبدون في الامور ويضطهدون امير البلد المعين من قبل الدرعية . وكثر اذاهم على مؤيدي الدعوة ودعاتها ، ثم اشيع عنهم أنهم

(١) ابراهيم هذا يمت الى الأمير محمد بن سعود في النسب .

قد تواطأوا مع اهالي الحريق وغيرهم على القيام بثورة ضد الدرعية ودعوة الشيخ . فذهب محمد بن عبد الله امير ضرمى على رأس وفد الى الدرعية واخبروا الامير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنهم لا يأمنون جانب آل سيف ويخشون بأسهم وتآمرهم على الدعوة . فقال لهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب والامير محمد بن سعود : « نحن جاهلون لحالهم ، فان كنتم تحققتم منهم شيئاً فامضوا فيهم بعلمكم » .

فلما عاد ذلك الوفد الى ضرمى القي القبض على صقر واخوانه من آل سيف وقتلوهم صبراً ، وذلك في عام ١١٦٦ هـ ١٧٥٣ م .

ثورة الغفيلي

حاول في عام ١١٦٨ هـ ١٧٥٥ م احد الرؤساء في ضرمى المدعو الغفيلي (وكان له قصر كبير في ضرمى) اعلان الثورة على الدرعية وخلع الامير المعين من قبلها . فأرسل الى ابراهيم بن سليمان صاحب ثرمداء والى عبد الكريم بن زامل صاحب اثيثة يطلب اليهما مناصرته في الثورة ، فقدما اليه بقواتهما . وكان محمد ابن عبد الله امير ضرمى قد احس بما بيته الغفيلي فأرسل الى الدرعية يستنجدها ويستحثها ، فأمدته الدرعية بقوة كافية فذهب محمد بن عبد الله بتلك القوة لمحاصرة الغفيلي في قصره وصادف وهو في طريقه لمحاصرة ذلك القصر ورود قوات اهالي ثرمداء واثيثة . فأوعز محمد الى قوات الدرعية ان تكمن في محل يدعى (قصب الذرة) لكي لا تشعر بهم اهالي ثرمداء واثيثة ، فلما قاربت تلك القوات القصر خرجت عليهم قوات محمد التي كانت كامنة فداهمتهم في القتال فقتل منهم نحو ستين رجلاً ولم ينجُ منهم الا من لاذ بالفرار واسرت منهم عدداً كبيراً ، وكان من ضمن الاسرى عبد الكريم بن زامل صاحب اثيثة .

وبعد هذا استتب الامر للدرعية في ضرمى ، ولما مات اميرها محمد بن عبد الله عينت الدرعية مكانه ولده المدعو علي على ضرمى .

ثـــادق

في عام ١١٦١ هـ ١٧٤٧ م سيرت الدرعية جيشاً على مدينة ثادق فاستولى ذلك الجيش على قسم كبير من اغنام اهل البلد ومواشيهم وقتل من الاهالي ستة رجال منهم محمد بن سلامة واعلنت ثادق ايمانها .

وفي عام ١١٧٠ هـ ١٧٥٧ م بلغ الدرعية ان مدينة ثادق تتلوى في ايمانها ، فسيرت اليها جيشاً قاده الأمير عبد العزيز فحاصر المدينة ووقع بينهم قتال قتل فيه من اهل ثادق ثمانية رجال وفقد من جيش الدرعية عدد مثله منهم محمد بن دغيثر ومحمد بن مانع . ثم شدد الأمير عبد العزيز الحصار على المدينة وامر بقطع قسم من نخيلها ودام الحصار اياماً فطلب الاهالي من عبد العزيز الصلح فوافق عـلى ذلك ، فقدم لمقابلته وفد منهم وبايعه على الدخول في سلك الدعوة والانصياع الى اوامر الدرعية ، فقبل بيعتهم واستعمل عليهم يحيى بن عبد الله بن سويلم اميراً ورفع الحصار عنهم وعاد بجيشه الى الدرعية ورافقه ذلك الوفد لملاقاة الشيخ والامير محمد بن سعود لتأييد ايمانهم . وعندما ارادوا العودة الى بلدهم طلبوا من الشيخ ان يرسل معهم مـمّن يرشدهم الى مبادىء الدين الصحيح ، فأوفد معهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الشيخ حمد ابن سويلم لهذا الغرض .

وفي عام ١١٧٢ هـ ١٧٥٨ م توفي يحيى بن عبد الله بن سويلم امير ثادق فكادت ان تنصرف ثادق عن الايمان فخشي بعض من اهلها غضب الدرعية فذهب اليها وفد من اهل ثادق والمحمل وجددوا ولاءهم وايمانهم فقبلت منهم الولاء والايمان بعد ان فرضت عليهم دفع كميات من ثمرات الزرع واسندت الامر في ثادق الى ساري بن يحيى بن عبد الله بن سويلم .

منطقـــة الوشم

الوشم ومعناه خطوط ورسوم تعمل على الوجه واليدين والرجلين وفي جهات اخرى من الجسم بالابرة والنيل .

وتقع الوشم جنوب القصيم وشمال العارض واغلب سكانها من بني تميم وعنزة واشهر بلدانها ثرمداء وشقراء (وهي اول معقل للدعوة بعد الدرعية) واشيقر وتقع الاخيرة شمال شقراء وكانت آهلة بالعلماء في القرن الحادي عشر الهجري وما قبله وينسب اليها العالم المشهور في زمانه الذي تولى القضاء فيها المعروف بابن بسام المتوفى عام ١٠٤٠ هـ ١٦٣٠ م .

والشيخ الفقية العالم محمد بن احمد بن اسماعيل الحنبلي الاشيقري المتوفى عام ١٠٥٩ هـ ١٦٤٩ م والشيخ محمد بن احمد القصير المتوفى عام ١١٠٨ هـ ١٦٩٦ م .

وامراء قطر آل ثاني الحاليون المعروفون هم من اشيقر من بني تميم .

والقويعية والفرعة والمذنب والقصب واثيثة مسقط رأس الشاعر جرير ومرآة بلدة امرىء القيس . ودانت بلدان الوشم للدعوة بعض منهـا طوعاً والبعض الآخر كرهاً .

ثرمداء

جهّزت الدرعية في عام ١١٦١ هـ ١٧٤٨ م جيشاً اسندت قيادته الى عثمان بن معمر صاحب العيينة واصطحب معه الامير عبد العزيز ، وقد تكوّن

هذا الجيش من اهالي الدرعية وقراها واهل ضرمى واهل منفوحة واهل العيينة واهل حريملا وامرته بالمسير الى ثرمداء فوصل ذلك الجيش الى ثرمداء ليلاً ورتب كمينه فلما اصبحوا خرج للقائهم اهل البلد وباشروهم بالقتال ، فلما التحم الطرفان خرج على اهل ثرمداء الكمين فانهزموا والتجأوا الى قصر كان لهم خارج البلد يسمى (قصر الحريص) بعد ان قتل منهم زهاء سبعين رجلاً .

فأراد الامير عبد العزيز احتلال البلد لخلوه من المقاتلة ، فأبى عليه عثمان بن معمر ذلك . فانسحبت جيوش الدرعية عائدة الى قواعدها ، فأخبر الأمير عبد العزيز الشيخ واباه الامير محمد بعدم سماح عثمان بن معمر له باحتلال ثرمداء فساورتهما في عثمان الشكوك ولكنهما لم يبديا له من ذلك شيئاً بل امراه ان يعاود الكرة بذلك الجيش على ثرمداء فصدع بما أمر ولكن لم يقع في هذه الكرة قتال يستحق الذكر . وبعد هذه الحملة اغتيل عثمان بن معمر في العيينة كما مرّ بنا سابقاً .

ولما حل عام ١١٦٣ هـ ١٧٥٠ م عاودت الدرعية ارسال الجيش الى ثرمداء واسندت قيادته العامة الى مشاري بن ابراهيم بن معمر وامرت الأمير عبد العزيز بمرافقته فسبق هذا الجيش النذير الى ثرمداء فاستعدت للقائه واستنفرت حلفاءها من اهالي اثيثة ومرآة ، ولما اجتمعت جموعهم خرجوا من البلد لمواجهة جيوش اعدائهم وحلوا في مكان يدعى (الوطية) .

اما جيوش الدرعية فقد جعلت كميناً لها في مواقع محصنة ، ولما دار القتال واشتدت وطأته خرج كمين الدرعية واشترك بالقتال فولى اهل ثرمداء الادبار بعد ن خسروا في تلك المعركة خمسة وعشرين رجلاً منهم علي بن زامل رئيس بلد اثيثة وابن سبهان ورزين وكداس آل زامل وعادت جيوش الدرعية الى معسكراتها سالمة .

بعد هذه المعركة فسحت الدرعية المجال لثرمداء ان تفكر في انقيادها للدعوة . ولكن ثرمداء اصرت على معاداتها للدرعية فسيرت الدرعية في عام

١١٧١ هـ ١٧٥٧ م بعض قواتها الى ثرمداء تولى قيادتها الأمير عبد العزيز . فوصلت تلك القوات الى المدينة ليلاً ورتبت كمينها في واد يدعى (الجمل). وكان بقرب ذلك الوادي نخيل يدعى (البطيحة) محاطاً بسور رفيع . فنقبوا نقباً في ذلك السور وادخلوا فيه بعضاً من مقاتلتهم فأحس بهم رجل من حراس البلد فأخبروا ابراهيم بن سليمان صاحب ثرمداء بخبرهم فحشد ابراهيم جموعه في تلك الليلة وجعلهم فرقتين أمر فرقة منهما ان تهاجم من كان في نخيل البطيحة وترك الفرقة الاخرى ترصدهم خارج النقب . ولما دارت المعركة بين الطرفين في داخل البطيحة كانت الدائرة فيها على قوات الدرعية فهموا بالفرار فتلقتهم قوات ثرمداء التي كانت على ذلك النقب بالسلاح فقتل منهم ثلاثون رجلاً منهم عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن وقتل من اهالي ثرمداء ثمانية رجال منهم عبد المحسن بن ابراهيم وابراهيم بن سليمان .

لم تدع الدرعية ثرمداء تتمتع بحلاوة ذلك النصر طويلاً بل شنت عليها حملة في بداية عام ١١٧٣ هـ ١٧٥٩ م بقيادة الأمير عبد العزيز فقتل من اهلها اربعة رجال وجُرح من قوات الدرعية مبارك بن مزروع ثم عاود الأمير عبد العزيز الكرة في هذا العام على ثرمداء فصادف في طريقه خمسة عشر رجلاً من اهل ثرمداء فهربوا من امامه واتجهوا الى بلد الحريق لائذين بأهلها المعروفين بآل سيف طالبين حمايتهم فطلبهم الأمير عبد العزيز ليقتلهم فافتدوهم بالف وخمسمائة احمر[1] فقبل الأمير عبد العزيز الفداء .

اثيثة

اثيثة من المدن التي سبقت في الايمان بالدعوة . ولكن في عام ١١٦٦ هـ ١٧٥٣ م نقض اهلها العهد واعلنوا عصيانهم على الدرعية وقتلوا اميرهم عبد

(١) الاحمر نقد ذهبي كان يتعامل به اهل نجد وغيرهم في ذاك الزمن .

الكريم بن زامل « الذي تولى امر اثيثة عام ١١٦٣هـ ١٧٥٠ م » . فارسلت عليهم الدرعية قوة فأخضعتهم واعادتهم الى حظيرة الايمان .

القويعيّة

وفد على الدرعية في عام ١١٦٩ هـ ١٧٥٥ م وفد من القويعية يتكون من ناصر بن جماز العريفي (من بني خالد) وسعود بن محمد وناصر ، وبايعوا الشيخ على دين الله ورسوله واعلان طاعتهم للدرعية ، فقبل ايمانهم وطاعتهم .

اشيقر

جهزت الدرعية في عام ١١٧٠ هـ ١٧٥٦ م جيشاً وسيرته تحت قيادة الأمير عبد العزيز الى مدينة اشيقر ، فنازلها وحصل بينهم قتال قتل فيه اربعة رجال من اهالي اشيقر .

ثم عاودت الدرعية غزوها على اشيقر فنازلوا اهلها ودار بينهم قتال قتل خلاله عشرون من اهالي اشيقر وفر الباقون وذلك عام ١١٧٣ هـ ١٧٥٩ م .

ارسلت الدرعية في عام ١١٧٥ هـ ١٧٦١ م قواتها الى اشيقر واشتبكت معها في القتال فقتل من اهاليها خمسة وعشرون رجلاً . وبقيت غزوات الدرعية مستمرة على اشيقر بمساعدة اهالي الفرعة حتى اخضعتها بعد مرور سبع سنين من هذه الحادثة .

شقراء

كان لمدينة شقراء سابقة في الايمان بالدعوة . وقد بذل اهلها انفسهم واموالهم في نصرة الدعوة ، وكانوا يفتحون مدينتهم لتكون ملجأً لمقاتلة الدرعية . فاشتد

امرها على اهالي الوشم، فاتفق اهل الوشم، مع اهالي سدير واهالي منيخ على معاداة اهالي شقراء وقتالهم. فهاجموا اهالي شقراء واستولوا على شيء من ركائبهم .

فارسل اهالي شقراء يستنجدون الدرعية، فجهزت الدرعية، جيشاً واسندت قيادته الى الأمير عبد العزيز، فرتب عبد العزيز كمينه لهم، ولما التحم القتال خرج الكمين على اهل الوشم فانهزموا الى بلد القراين بعد ان خسروا من رجالهم نحو سبعة عشر قتيلاً منهم حمد المعيبي (من بلد حرمة) ، ومانع الكبودي وسويد بن زايد (من بلد جلاجل) وذلك عام ١١٧٠ هـ ١٧٥٦ م .

القصب

غزت جيوش الدرعية في عام ١١٧٢ هـ ١٧٥٨ م بلدة القصب بقيادة الأمير عبد العزيز وضيقت عليها الحصار فصالحا اهلها على ثلاثمائة احمر وآمنوا بالدعوة .

مراة

ولما حل عام ١١٧٥ هـ ١٧٦١ م هاجمت قوات الدرعية بقيادة الأمير عبد العزيز بلدة مراة، فوقع بينهم قتال قتل فيه عدة رجال وانقادت مراة الى الدعوة واعلنت طاعتها للدرعية .

الفرعة

خرج الأمير عبد العزيز في عام ١١٧٥ هـ ١٧٦٢ م على رأس قوة كبيرة

من الدرعية وقصد بلدة الفرعة فقاتلها وقتل من اهلها عدة رجال فهادنه اهل البلدة وارسلوا منهم وفداً الى الدرعية تحت رئاسة اميرهم منصور بن حمد بن ابراهيم بن حسين ليعلن خضوعهم وطاعتهم للدعوة على يد الشيخ نفسه، فوافقهم الأمير عبد العزيز على ذلك فتم للدرعية انضمام الفرعة الى صفوفها .

ثم اشتركت الفرعة بالهجوم الذي كانت تشنه الدرعية على بلدة اشيقر لاخضاعها، وقام اميرها بالاشتراك مع اهالي شقرا لاشادة حصن في الفرعة عرف بـ (برج الحليلة) ليضيقوا على اهل اشيقر ويكون رداً لبلدهم .

منطقة سدير

سَدَيْر تصغير سدر ،والسدر شجر معروف ،وتقع سدير في شمال نجد وجنوب غربي القصيم وتتضمن من البلدان :

الزلفى وجلاجل والحوطة والجنوبية والروضة والتويم والغاط والداخلة والعودة وحرمة وكثيراً غيرها من المدن والقرى الأخرى .

الزلفى

غزا الأمير عبد العزيز في عام ١١٦٤ هـ ١٧٥١ م بلدة الزلفى واستولى على مواشيها .

جلاجل

سيرت الدرعية جيشاً في عام ١١٧٠ هـ ١٧٥٧ م واسندت قيادته الى الأمير عبد العزيز وأمرته بمقاتلة اهالي جلاجل،فنازل ذلك الجيش اهالي جلاجل ودار بينهم قتال في موضع يعرف بـ(العميري) يقع شمال البلد قتل خلاله عدة رجال وجُرح آخرون . ثم انسحب الأمير عبد العزيز وقصد جهات اخرى من سدير وارسل الى قضاة تلك النواحي وهم حمد بن غنام قاضي الروضة ، ومحمد بن غضيب قاضي بلد الداخلة ، وابراهيم بن حمد المنقور قاضي بلد الحوطة . وطلب منهم الرحيل معه الى الدرعية لمقابلة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والتداول معه في بعض الشؤون،ولما مر بطريقه على بلدة العودة

ارسل الى رجلين من رؤسائها كان يشك في اخلاصهما وهما عثمان بن سعدون ومنصور بن حماد واصطحبهما معه الى الدرعية خشية من قيامهما على أمير العودة عبدالله بن سلطان . فلما وصلوا الى الدرعية طلب عبدالله بن سلطان من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود ان يطلقا سراح عثمان ومنصور ليعودا الى بلدهما . فلما رجعا وثبا على عبدالله بن سلطان وقتلاه وقتلا معه عبدالله بن حمد ومزيد بن سعيد، وتولى احدهما وهو عثمان بن سعيد امر بلدة العودة وجاهر بعصيانه للدرعية وعدائه للدعوة .

وفي عام ١١٧٧ هـ ١٧٦٤ م سار الأمير عبد العزيز من الدرعية على رأس جيش كبير وقصد بلدة جلاجل وضرب عليها الحصار وحصل بينه وبين اهلها قتال فقتل من اهلها نحو عشرة رجال وقُتل من جيش عبد العزيز عدة رجال منهم فرحان التمامي وصالح بن محمد . ثم طلب اليه سويد امير جلاجل وجميع اهالي سدير العفو والصفح مظهرين طاعتهم للدرعية وانقيادهم للدعوة، فعفا وصفح وقبل طاعتهم .

ثم رحل الأمير عبد العزيز من سدير راجعاً الى الدرعية فلما، وصل بلدة رغبة بلغته الأخبار بان غزاة من قبيلة العجمان قد دخلوا حائر سبيع ، فجدفي طلبهم حتى ادركهم بموضع يقال له (قذلة) يقع بين القويعية والنفود، فاحاط بهم وقتل منهم خمسين رجلاً وقتل من المجاذمة عشرين وأسر منهم نحو مائة رجل واستولى على اربعين فرساً من خيولهم .

الحوطة والجنوبية

كانت الرئاسة في الحوطة والجنوبية لآل مهيدب .

ولما سيرت الدرعية جيشاً بقيادة الأمير عبد العزيز لاخضاع الحوطة والجنوبية في عام ١١٧١ هـ ١٧٥٨ م كان الذي يتولى فيهما الأمير صعب بن محمد بن مهيدب، فتم لذلك الجيش اخضاعهما وانقياد اميرها والأهلين لصفوف الدعوة .

الروضة

كان آل ماضي يترأسون الروضة اثناء قيام الدعوة، وكانوا معادين لها .

ولما حلت سنة ١١٧٤ هـ ١٧٦٠ م سار الأمير عبد العزيز بجيش من الدرعية وقصد بلدة الروضة وقاتل اهلها وبعد، ان قتل منهم خمسة رجال فرّ منها رؤساؤها آل ماضي، وبعد فرارهم اعلن اهلها انقيادهم للدرعية وطاعتهم للدعوة، فجعلت الدرعية فيها سرية من الجند من اهل العارض .

منطقة الخرج

الخرج (لعل هذا الاسم مشتق من الخراج اي الضرائب) وهو يقع في الجنوب الغربي من العارض،ومن اشهر بلدانه :

الدلم واليمامة ونعجان ونتيقة والسلمّية والسيح

الدلم

سار جيش من اهالي الدرعية في عام ١١٦٥ ﻫ ١٧٥٢ م تحت قيادة مشاري بن معمر وقصدوا بلدة الدلم واستولوا على مواشيها،فطلبهم اهل الدلم فأدركوهم في (عفجة الحاير) ودارت بين الطرفين معركة قتل فيها من اهل الدلم عدة رجال .

عاودت الدرعية الكرة في عام ١١٧٣ ﻫ ١٧٥٩ م فارسلت جيشاً على الدلم تولى قيادته الأمير عبد العزيز فاوقع بأهل الدلم وقتل منهم ثمانية رجال. واستولوا على بعض ما كان في المخازن من الأموال، ثم انسحبوا عنها،ورجع سالكاً طريقه الى الدرعية .

ثم كر هذا الجيش بعد اشهر قليلة على بلدة الدلم وقاتل اهلها وقتل من مقاتلتهم سبعة رجال وغنم كثيراً من ابلهم .

اخضاع الدلم

تولى امارة الدلم في عام ١١٧٩ ﻫ ١٧٦٥ م زيد بن مشاري بن زامل

ابن عثمان،وكان يربطه حلف وصداقة مع امير الرياض دهام بن دواس. ولما زحفت جيوش الدرعية لاحتلال الرياض عام ١١٨٧ هـ ١٧٧٢ م التجأ دهام الى حليفه زيد في بلد الدلم. ولما قتل دهام وجد زيد نفسه وحيداً في الميدان فاضطر ان يحني رأسه ويعلن الخضوع للدرعية ويظهر انقياده للدعوة،فصفحت عنه الدرعية وقبلت منه الايمان.

نعجان

عرج الامير عبدالعزيز في طريق عودته من الدلم في عام ١١٧٣ هـ ١٧٥٩ م على بلدة نعجان واشتبك مع أهلها بقتال لم يدم طويلاً قتل اثناءه من أهالي نعجان عودة بن علي.

عاود الامير عبدالعزيز في عام ١١٧٥ هـ ١٧٦١ م هجومه على بلدة نعجان واشتبك معها بقتال قتل فيه من أهلها سبعة رجال ثم ضرب عليها الحصار وأمر بقطع بعض نخيلها،فاعلنت طاعتها للدعوة ورمت السلاح وركنت للسلم.

أهم المعارك الكبرى
في عصر الأمير محمد بن سعود

إن أهم المعارك الكبرى التي خاضتها الدرعية في سبيل الدعوة أيام الأمير محمد بن سعود واعظمها شأناً كانت مع ثلاثة من الأقطار هي : الرياض ونجران والاحساء،وسنتطرق لذكرها في ما يأتي بإيجاز .

(١) الرياض

تقع الرياض في وادي حنيفة،وكانت تسمّى قديماً بـ(حجر اليمامة) .

امراء الرياض
سلامة ابو زرعة

كانت الرئاسة في الرياض لآل (ابو زرعة) من بني حنيفة المنتسبين الى قبيلة بكر بن وائل ، واول من تولاّها منهم رجل يدعى سلامة وذلك في عام ١٠٩٩ هـ .١٦٨٨م،وبقي على كرسي امارتها الى ان داهمته الوفاة.

موسى بن سلامة

وتولّى الأمر من بعده ولده المدعو موسى،ولم يذكر لنا التاريخ تفاصيلَ عن امارة سلامة وابنه موسى الا النزر اليسير .

زيد بن موسى

وبعد وفاة موسى صارت الرئاسة في الرياض الى ولده زيد. وفي عصر زيد التجأ دهام بن دواس واخوته مشلب وفهد وتركي الى الرياض لان اميرها زيداً المذكور كان متزوجاً من اخت لهم وقد ولد له منها اولاد.

وفي عام ١١٥٠ ه ١٧٣٧ م قُتل زيد امير الرياض، قتله رجل من اقاربه (معتوه) فقتل عبدلزيد يدعى خميساً ذلك القاتل وتولّى هو الأمر في الرياض،وبقي فيها ثلاث سنوات ثم هرب منهـا خوفاً من اهلها لامور بدرت منه.

دهام بن دواس

بعد فرار خميس بقي الأمر في الرياض فوضى،فانتهز دهام بن دواس هذه الفرصة واستولى على الرياض باسم (ابن اخته) ابن زيد الذي كان صغيراً واظهر لاهالي الرياض أنه سيتنحّى عن الحكم حينما يبلغ ذلك الصبي سن الرشد،فدانوا له.

ولكن دهام بعد ان استوثق من الحكم واستتب له الأمر في الرياض وكثر اعوانـه استأثر بحكم البلد لنفسه واخرج ذلك الصبي من الرياض. فاستنكر اهالي الرياض هذا العمل واعلنوا عليه الثورة لينحّوه عن الحكم،ولكن دهام ابى الانصياع الى مطاليبهم وتحصّن في قصره،فاجتمع الأهالي وأحاطوا بالقصر وصمموا على محاصرته وقتله. فارسل دهام بن دواس اخاه مشلباً الى الدرعية يستنجد بأميرها محمد بن سعود.فانجده محمد بن سعود بجيش على رأسه اخوه مشاري بن سعود،فلما وصل مشاري الى الرياض وابصر به الثوار فروا من امامه بعد ان قتل منهم اربعة رجال. وبذلك استقر الأمر لدهام في

الرياض ومكث عنده مشاري بن سعود ومن كان معه من الجند نحو ثلاثة اشهر . وقدر لدهام بعد هذا الحادث ان يحكم الرياض حكماً تاماً مطلقاً دون منافس .

دعوة الرياض للإيمان

ولما حلّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية عام ١١٥٨ هـ ١٧٤٥ م وبايعه الأمير محمد بن سعود على نصرة الدعوة أخذ يوجه رسائله ودعاته الى امراء البلاد يدعوهم الى الايمان.وقد ارسل الشيخ بالاشتراك والأمير محمد ابن سعود رسالة الى دهام يطلبان منه الانضمام الى جانبهما للدعوة.وكان الأمير محمد بن سعود يظن بان دهاماً سيلبي نداءهما لسابق مساعدته اياه،ولكن دهام ابن دواس تريّث في الاجابة وأخذ يماطل . ولما دخلت منفوحة في نطاق الدعوة واظهرت ولاءها للدرعية انجلى موقف دهام بالعداء للدعوة واعلن الحرب عليها .

مهاجمة دهام لمنفوحة

لأن دهـــام بن دواس كان يطمع في ضم منفوحة (ملك آبائه التي طرد منها) الى سلطته . ولما انحازت منفوحة الى الدعوة وخضعت لسلطة الدرعية اهتم دهام لهذا الأمر اهتماماً كبيراً وجاهر بالعداء للدعوة وصار من الدّ خصومها واخذ يضطهد الذين آمنوا بها من اهالي الرياض وغيرهم. ولم يقف عند هذا الحد بل جمع في عام ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م جموعاً من رجاله واستدعى عشيرة الصمدة وغيرها من قبيلة الظفير وسار بهم الى منفوحة وفاجأ اهلها بالقتال ففروا من امامه واستولى على دار الإمارة،ثم جمع احد اهالي منفوحة المدعو علي بن مزروع بعض الفارين من المدينة وعاد بهم الى المدينة واشتبك مع قوات دهام بقتال مرير اضطر فيه دهام الى الانسحاب بعد ان قُتل من رؤســاء اصحابه عشرة رجال منهم درع وخضير وزهلول الفضيلي وغيرهم .

ثم ارسلت منفوحة الى الدرعية تطلب منها النجدة، فانتدبت الدرعية بعض مقاتلتها وعلى رأسهم عبدالله بن سعود واوعزت اليهم بالذهاب الى منفوحة، فاشتبكت هذه القوة مع قوات دهام المنسحبة فأصيب دهام بن دواس بجرحين تقطعت منهما اصابع رجليه وعقرت فرسه . فعاد الى الرياض مدحوراً .

كان هذا بدء الخصام بين الدرعية والرياض . وقد ظنّ دهام صاحب الرياض أن الدرعية لن تسكت له عن العداء الذي قام به ضد منفوحة . وصدق ظنه، فان الدرعية لم تجد مناصاً من زجر دهام ومحاسبته على ما بدر منه بشأن منفوحة، فعزمت على قتاله وصممت على ان تكون أول حرب تشنها عليه في عقر داره بل على حصنه الذي في وسط مدينته . فجهزت جيشاً لهذا الغرض يتكون من عشرين ذلولاً وسبعة خيول وكثير من المشاة تولى قيادته الأمير محمد ابن سعود بنفسه بعد اخذ موافقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وسار هذا الجيش متخفياً الى الرياض فدخلها وذهب المهاجمون تواً الى الحصن الذي كان يقيم فيه دهام واقتحموا عليه باب قصره واطلقوا عليه الرصاص، ثم هاجموا بيوت بعض الرؤساء من اهل الرياض، منها بيت ناصر بن معمر وتركي بن دواس، فوجدوا فيها ابلاً كثيرة فعقروها ثم رجعوا الى الدرعية منتصرين .

موقعة العمارية

اما دهام بن دواس، فبعد ان تحقق له رجوع الأمير محمد بن سعود من حملته هذه الى الدرعية . اراد ان ينتقم لنفسه فشنّ غارة على قرية العمارية الموالية للدرعية فقتل عبدالله بن علي وعقر إبله .

ولما بلغ الدرعية خبر هذا الهجوم جهزت قوة من مقاتلتها قادها الأمير محمد ابن سعود وقصد بها دهاماً واراد ان يجعل من قواته كميناً لخصمه حتى يباغته، ولكن دهام بن دواس سبقه لذلك وجعل له كميناً بالمكان الذي كان الأمير محمد ابن سعود ينوي ان يكمن له فيه، فالتقى الفريقان في ذلك المكان واقتتلوا فقتل

من الفريقين عدة رجال . ثم عاد كل الى محله دون تحقيق نصر يذكر .

وقعة الشياب

بعد هذه المعركة البسيطة استعدت الدرعية لقتال الرياض ، فجهزت جيشاً من اهالي الدرعية وقراها واسندت قيادته الى صاحب العيينة عثمان بن معمر وامرته بالذهاب الى مقاتلة الرياض ، فلما قاربها رجال ابن معمر هاجم بعضهم نواحيها وكمن بعضهم في مواضع محصنة . وعندما خرج اهل الرياض لقتالهم اشتبكوا معهم بالقتال في موضع يدعى (الوشام) ، وفي اثناء المعركة خرج كمين اهل الدرعية فانهزمت قوات الرياض بعد ان خسرت عشرة رجال من مقاتليها ، منهم حمد بن علي بن ناصر ورجلان طاعنان في السن من آل شمس فسميت هذه الوقعة بـ (وقعة الشياب) نسبة الى هذين القتيلين .

وقعة العبيد

لم ترد الدرعية بعد هــذه المعركة ان تفسح الفرصة لخصمها لجمع شتاته ولمّ شعثه ، فهيّأت جيشاً من مقاتلتها وسيرته تحت قيادة اميرها محمد بن سعود الى الرياض ، فلما قارب هذا الجيش مدينة الرياض جعل له كميناً في محل يعرف بـ (جرف عبيان) وهاجم قسم من الجيش البلد فخرج اليهم دهام بن دواس بقوة من الرياض . فلما نشب القتال بين الطرفين خرج الكمين على اهل الرياض فولت جيوشها الأدبار بعد ان فقدت عشرة من رجالها اغلبهم من العبيد ، فسميت المعركة بـ (وقعة العبيد) .

مقتل فيصل وسعود ولدي الأمير محمد

كبرت على صاحب الرياض دهام بن دواس هجمات الدرعية المتوالية

عليه وفي عقر داره ، وثقلت عليه الهزائم المتكررة التي مني بها وأثارت غضبه الخسائر التي نابته من جرائها . وقد اراد ان ينتصر لكرامته فصمم على الانتقام ، وعقد العزم على ان يكون هو المهاجم للدرعية ، وفي عام ١١٦٠ هـ ١٧٤٧ م جمع جموعه من الحضر والقبائل البدوية وزحف بها الى الدرعية،وعندما قاربها نصب كمينه وهاجمت خيله الدرعية ، دافع اهلها عن بلدهم دفاعاً شديداً وقد تظاهرت لهم قوات دهام بالهزيمة وولتهم الأدبار فاستبسل اهالي الدرعية في القتال وطمعوا في استئصال اعدائهم واخذتهم سورة الحماسة لملاحقة الأعداء بالرغم من نصيحة الأمير محمد بن سعود لهم بالتريث والمحافظة على مواقفهم خوفاً من المكيدة . ولكن نشوة النصر قد اغرتهم فأبوا الا متابعة المنهزمين . عندئذ خرج عليهم الكمين الذي نصبه دهام بن دواس ، فاضطرهم الى الفرار بعد ان خسروا خمسة من رجالهم بينهم فيصل وسعود ولدا الأمير محمد بن سعود .

الدرعية تثأر لقتلاها
في وقعة الشباب

اهتمت الدرعية لهذه الوقعة اهتماماً كبيراً وعزمت على ان تثأر لقتلاها وان تكيل لعدوها الصاع صاعين،فجهزت قوة من اهالي الدرعية ومنفوحة وحريملا والعيينة قادها الأمير محمد بن سعود،ورافقه في هذه الحملة عثمان بن معمر،فساروا الى الرياض ليباغتوها قبل ان تعلم بخبرهم،فانفلت من هذه الحملة رجل من اهالي حريملا يدعى (ابو شيبة) وابلغ دهام بن دواس خبر هذه الحملة ، فاستعد لمقابلتها . ولما صبح محمد بن سعود في الرياض وجدها قد استعدت لقتاله،فدار قتال بين الطرفين في محل يدعى (دلقة) قتل فيه من اهالي الرياض عدة رجال منهم محمد بن سويد وسرحان البكاي وابن مسيفر وعشرة فتيان من اولاد الرؤساء وقتل من جيش الدرعية عدة رجال منهم (ابو منيس) حمد بن محمد بن سليمان بن حسن وسليمان بن محمد الزهير وحسن الثميري

وغيرهم . واما الجرحى فكانوا كثيرين ، ثم انسحبت قوات الرياض الى داخل المدينة فلاحقتها جيوش الدرعية ووصلت الى قصر دهام وهاجمته وضرب احد رجال الجيش دهام بن دواس بسيفه فجرحه جرحاً بليغاً . وبعد هذا عاد الأمير محمد بن سعود الى الدرعية منتصراً وقد اخذ بثأر ولديه .

وقعة البنية الأولى

جهزت الدرعية في عام ١١٦١ هـ ١٧٤٨ م جيشاً من اهالي الدرعية وقراها واهالي ضرمى وحريملا والعيينة واسندت قيادته العليا الى عثمان بن معمر ومعه الأمير عبد العزيز وأمرته بالمسير الى الرياض ، فهاجمت سرية من هذا الجيش محل يدعى (مقرن) وتوجهت سرية اخرى الى محل يدعى (صياح) . فلما بلغ الرياض خبر مسير هذا الجيش سيرت قوات كبيرة للقائه ، فاشتبك الخصمان بالقتال بمحل يدعى (البنية) كانت الدائرة فيه على جيوش الدرعية فقتل من جيشها نحو خمسة واربعين رجلاً منهم خمسة وعشرون من اهل حريملا من اشهرهم محمد بن غنام ومحمد بن حمد وداود وعبدالله بن عبيكة ، وفقدت الرياض من رجالها سليمان بن حبيب ، واما الجرحى فكثيرون من الطرفين وانسحبت جيوش الدرعية عائدة الى ديارها .

وقعة الحريزة

لم يثن هذا الحادث عزم الدرعية عن مواصلة القتال مع الرياض ، فجهزت جيشاً آخر من اهل الدرعية واهل منفوحة وضرمى والعيينة واناطت قيادته الى عثمان بن معمر وأمرت الأمير عبد العزيز بمرافقته ووجهته الى الرياض فاشتبك مع اهله بالقتال في محل يدعى (الحريزة) قتل فيه من اهل الرياض ستة رجال وفقدت الدرعية من جيشها عشرة رجال من اهالي العيينة وستة رجال من

اهالي الدرعية ومنفوحة وضرمى. وانتهت تلك المعركة دون فوز بيِّن لأي من الطرفين .

وقعة الحبونية

خرج الأمير محمد بن سعود في عام ١١٦٢ هـ ١٧٤٩ م على رأس قوة من الدرعية قاصداً الرياض فوصلها عند الصباح وعسكر في نخيل بالرياض يدعى (الحبونية) فخرج اهل الرياض لقتاله فدارت بينهم مناوشة صغيرة قتل فيها سبعة من اهل الرياض منهم عبدالله بن سبيت وقتل من جيش الأمير محمد بن سعود ثلاثة رجال هم عبدالله بن شوذب وعبدالله بن حمود وغنام ابن دعيج ثم عاد الطرفان كل الى محله .

وقعة البطيحة

عاود الأمير محمد بن سعود في عام ١١٦٣ هـ ١٧٥١ م الكرة لمهاجمة الرياض، وكان رافقه في هذه الحملة رجال اشتهروا بالشجاعة والاقدام، منهم علي بن عيسى الدروع ، وسليمان الباهلي ، ومحمد بن حسن الهلالي ، وعلي ابن عثمان بن ريس ، وعبدالله بن سليمان الهلالي ، وابراهيم الحر .

ولما قارب الجيش مدينة الرياض عسكر في محل يدعى بـ(المروة) في البطيحة فخرج لقتاله اهالي الرياض فاقتتلوا قتالاً شديداً وقُتل من اهل الرياض سبعة رجال ، منهم ناصر بن معمّر، وجنيدل ، وقتل من اتباع الأمير محمد ابن سعود عبدالله بن سليمان ، وسليمان بن جابر ، وانتهت هذه المعركة دون ان يتحقق نصر مبين لاحدى الجهات .

ولما حل عام ١١٦٤ هـ ١٧٥١ م شنّت الدرعية حملة على الرياض، فاستطاعت هذه الحملة دخول مدينة الرياض ومقاتلة اهلها في وسط مدينتهم قتالاً شديداً،

وكانت الغلبة والفوز فيها لأهالي الرياض . وقد اضطر جيش الدرعية إلى الانسحاب من مدينتهم بعد ان قُتل بطل من ابطاله يدعى علي بن عيسى الدروع .

لقد اشغلت الدرعية في عامي ١١٦٥ و ١١٦٦ هـ ١٧٥٢ و ١٧٥٣ م بعض الحروب في جبهات متعددة. فلم تضايق الرياض بالغزوات ولكنها لم تهمل امرها بل كانت ترقب حركاتها وسكناتها عن كثب .

وكذلك كان الأمر في الرياض. فان القتال المتواصل الذي كانت تقوم به الدرعية ضد الرياض قد اضعفها واهدّ قواها فلم تمكنها الحالة خلال هذين العامين من القيام بأي عمل عدائي ضد الدرعية ، فكانت فترة هدوء في هذين العامين .

مؤتمر الدرعية

ولما حل عام ١١٦٧ هـ ١٧٥٤ م اراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان يعقد مؤتمراً في الدرعية ليجتمع مع كبار انصار دعوته من مختلف البلدان ليتذاكر معهم في احوال الدعوة وما يجب عمله مع خصومها ولاسيما صاحب الرياض ، فدعاهم للحضور في الدرعية. فلما حضروا عنده وعظهم وحثهم على التمسك بمبادئهم وبيّن لهم ما يجري على الدعوة من الأعداء وكشف لهم الخطط التي بيّتها لهم الخصوم ثم بشرهم بالنصر والظفر اذا ما هم ثابروا وتمسكوا بالدفاع واستقاموا بالجهاد ووطدوا انفسهم عليه . فعاهدوه على ذلك . ثم اذن لهم بالعودة والرجوع الى بلادهم بعد ان اوصاهم بالتمسك بالله والتوبة والطاعة وصدق النية . فتصدقوا بصدقات كثيرة وسألوا الله النصر وتيسيره وعادوا الى بلادهم وقلوبهم مملوءة بالإيمان الصادق .

طلب صاحب الرياض الصلح

عندما بلغ دهام بن دواس اخبار ذلك المؤتمر خشي مغبته وسوء عاقبته. وكان قد ضجر من الحروب المستمرة مع الدرعية، فطلب في هذا العام من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود عقد الصلح وبذل في ذلك خيلاً وسلاحاً واظهر استعداده لاعتناق مبادىء الدعوة واقامة شرائع الدين الاسلامي خالياً من كل الشوائب، فلبيا طلبه. ثم طلب ارسال احد علماء الدين ليعلم اهل بلده حقيقة الدعوة ومعرفة التوحيد، فارسلا اليه الشيخ عيسى بن قاسم لهذا الغرض.

نقض عهد الصلح

لم يطل امد هذا الصلح، فقد نقضه دهام بن دواس وقلب للدرعية ظهر المجن واظهر تمرده عليها. وفي عام ١١٦٨ هـ ١٧٥٥م تعاقد مع محمد بن فارس صاحب منفوحة وابراهيم بن سليمان صاحب ثرمداء وانضم اليهم اناس من اهالي سدير وثادق ومن هاجر من حريملا وتوجهوا جميعاً لمهاجمة حريملا ليصدوها عن دعوة الإيمان تحدياً ونكاية بالدرعية. فقاومتهم حريملا وحالت دون مبتغاهم.

وفي عام ١١٧٠ هـ ١٧٥٦ م انجد دهام بن دواس منفوحة عندما هاجمتها قوات الدرعية في وقعة الرشا المشهورة.

وقعة الباب القبلي

لم تغفر الدرعية لدهام بن دواس صاحب الرياض اساءاته المتكررة وتحديه المتواصل لسلطتها، فسيرت عليه جيشاً في عام ١١٧٠هـ ١٧٥٦م تحت قيادة الأمير عبد العزيز آل سعود، فعسكر ذلك الجيش في باب الرياض القبلي ورتب

كمينه ليلاً، وعند الصباح دار القتال بين الطرفين. وفي اثناء المعركة خرج كمين الدرعية وهاجم اهالي البلد فقتل منهم ثمانية رجال منهم كنعان الفريد وصالح بن نعران وفقدت الدرعية من رجالها عبدالله بن نوح. وانتهت هذه المعركة وعاد كل لبلاده. ثم عاودت الدرعية الكرة في هذا العام لقتال الرياض، فحصل قتال قتل فيه زيد الصمعر .

وقعة ام العصافير

وفي شهر رمضان ١١٧١هـ ايار ١٧٥٨م شنت الدرعية هجوماً على الرياض، فدار بينهم قتال في موضع يدعى (ام العصافير) قتل فيه ثلاثة من اهل الرياض هم تركي بن دواس (اخو صاحب الرياض) والجبري وابن فريان .

موقعة البنية الثانية

وفي هذا العام جهزت الدرعية حملة اخرى على الرياض واشتبكت مع اهاليها بمعركة في محل يدعى (البنيّة) قتل فيها من اهل الرياض ثنيان بن مبيريك وقتل من اتباع عبد العزيز رجلان هما راشد بن غانم وحميد بن قاسم .

وبعد انتهاء هذه المعركة ارادت الدرعية ان تضيق على الرياض الخناق وتصد القوافل عن الورود الى المدينة، فأمرت بتشييد حصن منيع في محل يدعى (الغذوانة) يقع غربي مدينة الرياض في بطن الوادي ، فشيد هذا الحصن خلال سبعة ايام ثم ترك الأمير عبد العزيز ثلة من قواته لترابط في ذلك الحصن وتراقب الرياض وصاحبها وتمنع القوافل التي تردها .

فاثمر تشييد هذا الحصن ثمراً حسناً وخفت صوت الرياض فلم يرتفع بالعداء للدرعية لمدة سنتين ١١٧٢ و ١١٧٣ هـ ١٧٥٩ و ١٧٦٠ م .

ولما حل عام ١١٧٤ هـ ١٧٦١ م هبت الفتنة من مرقدها مرة ثانية من

الرياض واخذ صاحب الرياض يعدّ العدة لعداء الدرعية. فارادت الدرعية ان تفاجئه قبل ان يتم استعداده فسيرت عليه جيشاً بقيادة الأمير عبد العزيز، فوقع قتال بين الطرفين قتل فيه من اهل الرياض تسعة رجال وكُسرت رجل فهد ابن دواس (وبقي بعدها اربعين يوماً ثم مات) وفقدت الدرعية ستة من رجالها.

ثم عاودت الدرعية غزوها للرياض بجيش قاده الأمير عبد العزيز، فهاجم هذا الجيش الرياض صبيحة يوم عيد الأضحى «٤ تموز» وقاتلهم قتالاً شديداً فقتل من اهل الرياض حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريص وابو المحيا وغيرهم، وقتل من جيش عبد العزيز خزام بن عبيد وعثمان بن مجلي.

وفي عام ١١٧٥ هـ ١٧٦١ م ارسلت الدرعية بعض قواتها تحت قيادة الأمير عبد العزيز لمهاجمة الرياض، فدار قتال لم يدم طويلاً قتل فيه ثلاثة رجال من اهالي الرياض واصيب شعلان بن دواس بجروح وقتل من جيش عبد العزيز، عبد الرحمن المشعوري، وحمد بن سليمان القاضي.

وفي عام ١١٧٦ هـ ١٧٦٢ م غزت الدرعية الرياض فحصل بينهم قتال قتل فيه من اهل الرياض بعض رجال وفقدت الدرعية من رجالها دهمش بن سحيم.

ثم عاودت الدرعية الكرة لغزو الرياض، فقتل من اهل الرياض شريان وعاد الأمير عبد العزيز الى الدرعية.

مهاجمة
دهام بن دواس للدرعية

بعد عودة الأمير عبد العزيز من غزوته هذه على الرياض سار بجيوشه الى الاحساء، فاغتنم دهام بن دواس فرصة غيابه عن الدرعية وقام بحملة على الدرعية، فخرج اليه اهلها ودار بينهم قتال كان الفوز فيه الى جانب الدرعية، وقد قتل من اهالي الرياض نحو عشرين رجلاً، منهم علي القروي، وسعد

المرابع ، ومانع بن مشوط ، واستولوا على اربعة من خيولهم وبعض من الركائب الأخرى .

صاحب الرياض يعاود طلب الصلح

على اثر هذه الغزوة التي قام بها صاحب الرياض على الدرعية تحقق للدرعية ان لا مناص لها الا التخلص من صاحب الرياض، فعقدت العزم على تجهيز حملة كبرى تسوقها على الرياض لتكون حداً فاصلاً بينها وبين الرياض وصاحبها فاخذت اهبتها لذلك وصارت تترقب عودة الأمير عبد العزيز من الاحساء ليتولى قيادة ذلك الجيش . ولما عاد عبد العزيز من غزوته للاحساء ووصل العرمة التقى بقافلة محملة بأموال تعود لأهل الرياض ولأهل حرمة (في سدير)،فأخذ الأموال العائدة لأهل الرياض ولم يتعرض لأموال اهل حرمة ، ثم حث السير يريد الدرعية ليقود ذلك الجيش لحرب الرياض .

اما دهام بن دواس صاحب الرياض فعندما علم بما اعدته له الدرعية من القوة والعزيمة الصادقة حنى رأسه لها وعرض على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود خضوعه واستعداده لقبول شروط الصلح التي يفرضانها عليه .

ففرضا عليه شروطاً عادلة منها ان يسمح لانصار الدعوة بالعودة الى الرياض وكان اضطرهم للهجرة من بلده ، وان يعيد لهم املاكهم التي صادرها ، وان يساعد الدعوة في حروبها . فقبل جميع تلك الشروط ودفع الى الدرعية الفي ذهب وتم عقد الصلح في عام ١١٧٧ هـ ١٧٦٢ م .

وقد نفذ دهام صاحب الرياض مواد هذا الصلح جميعها واشترك مع جيش الدرعية الذي قاده الأمير عبد العزيز على عشائر الظفير في (جراب)، فكانت هذه اول غزوة ينضم اليها تحت راية الدرعية .

(٢) نجران

نَجْران (ومعناها اللغوي خشبة يدور عليها رتاج الباب) وهي تنسب الى بانيها الأول نجران بن زيدان بن سبا بن يشجب .

وتقع في مخاليف اليمن من ناحية مكة وبين اليمن وعسير نجد، وهي في منبسط من الأرض السهلة يخترقها مجرى الوادي المعروف بوادي نجران الآتي مـن جبال عسير والمنتهي في رمال الربع الخالي .

نجران قبل الاسلام

كانت نجران من الأماكن التجارية المهمة، وقد اشتهر سوقها قبل ظهور الاسلام بما كان يرده من البضائع التجارية من العراق وفارس وديار الروم للبيع والمقايضة وابتياع السلع الواردة من افريقية واليمن .

اصحاب الاخدود

سكن نجران قبل الاسلام جماعة من اليهود، وكان احد ملوك نجران المدعو (ذو نواس) على دينهم ثم اعتنق بعض يهود نجران الدين المسيحي حوالي عام ٥٠٠م واتخذوا من نجران قواعد لبث دينهم، فعظم امرهم على (ذو نواس) واراد ان يعيدهم الى حظيرة الدين اليهودي، ولكنهم ابوا ذلك واصروا على البقاء على دين النصرانية، فأمر ان يشق لهم اخدود عميق في الارض ويملأ بالنار وطرحوا فيه فالتهمتهم النيران ولم تترك منهم احداً، وكان ذلك في شهر تشرين

الأول عام ٥٢٣ م. وقد تعرض القرآن المجيد لذكر هؤلاء (اصحاب الأخدود) في سورة البروج الآيات من ٤ — ٨ .

اسلام اهالي نجران

ولما بعث النبي محمد (ص) لدعوة الناس الى الاسلام وفد عليه اهالي نجران واعلنوا اسلام قومهم وفيهم نزل قوله تعالى : (الّذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ مؤْمِنُونَ) [1] (وإذا يُتْلى عَلَيْهِم قَالوا آمَنّا بِه) [2] .

ويبلغ عدد مدن وقرى نجران نحواً من خمس وثلاثين من اهمها العادن وبَدْر وزَوْر والموفجة وكتاف وحبوة وغيرها .

ومن اشهر قبائل نجران قبيلة (يام) وهي من (حاشد) وهذه بطن عظيم من (همدان بن زيد) القحطانية وهي من اشد القبائل العربية شكيمة وثباتاً في الحرب .

حرب صاحب نجران مع الدرعية واسبابها

صاحب نجران هو الحسن بن هبة الله المكرمي الذي يرجع بنسبه الى الرسول (ص) . ولد بارض نجران وتولى الحكم فيها عام ١١٧٤ ه ١٧٦٠ م وكان يتمذهب بالمذهب الزيدي .

واما سبب اعلانه الحرب على الدرعية فانه لما عاد الأمير عبد العزيز من غزوته التي قام بها على سدير وعند وصوله الى رغبة وردته الأخبار بأن جماعة من قبيلة العجمان المنتسبة الى (يام) من همدان من قحطان قد تجاوزت على فريق من قبيلة سبيع التي دخلت في سلك الدعوة وآمنت بها واوسعتها قتلاً ونهباً ، فابلغ الأمير عبد العزيز الدرعية بخبر هذا الحادث ، فأمرته الدرعية ان يجدّ

(١) سورة القصص آية ٥٢ .   (٢) سورة القصص آية ٥٣ .

في طلب المعتدين ويسعى لاسترجاع ما استولوا عليه من اموال قبيلة مطير ويبتعد عن الاشتباك مع العجمان في قتال لانهم قوم قساة ومن ورائهم قبيلة (يام) وهي قبيلة يخشى بأسها . فصدع الأمير عبد العزيز بما أمر وادرك العجمان بموضع يقال له (قذلة) يقع بين بلد القويعية والنفود ، فأحاطهم بجيشه وطلب اليهم اعادة ما استولوا عليه من الأموال ، فابوا عليه ذلك واظهروا له استعدادهم لقتاله ، فاضطره الموقف على خوض المعركة وقد قتل منهم خمسين رجلاً ، منهم ابن طهيمان ، وقتل من المجاذمة عشرين رجلاً واسر منهم نحو مائتين واربعين واستولى على خمسين فرساً من خيولهم بالاضافة الى ما كان معهم من المال والسلاح ، وانطلق من نجا من العجمان في هذه المعركة الى نجران مستصرخين صاحبها المكرمي مناشدينه المروءة والنجدة لكي يثأر لهم من الدرعية ويستخلص اسراهم مهونين له الأمر مدّعين بان اولئك الأسرى يعانون الواناً من العذاب والاضطهاد .

فاستجاب صاحب نجران لشكواهم وجمع المقاتلة من عشيرة يام وغيرها وابلغ صاحب الأحساء عريعر بن دجين بعزمه على السير لقتال الدرعية ، وعقد معه اتفاقاً للتعاون والاشتراك بقتالها ، وضرب له موعداً للقاء عند حائر سبيع وسار المكرمي بمجموعة من يام والعجمان وغيرهما وقد بلغ عددهم الفاً ومائتي مقاتل .

فوصل بجموعه الى حائر سبيع (الواقع بين الخرج والرياض) في شهر ربيع الثاني ١١٧٨ هـ ايلول ١٧٦٤ م وعسكر حولها وحاصر اهلها ومن كان فيها من اهل الدرعية .

عندئذ اضطرت الدرعية ان تخرج قوة عسكرية لمقابلته وكان عددها اربعة آلاف مقاتل ، واسندت قيادتها الى الأمير عبد العزيز ، وقد اوصاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب سرّاً بالوصية الآتية : « سر له بهذا الجيش ونازله ولا تحاربه حتى يقع بيننا الصلح ، فاني لا اتوسم خيراً من وراء قتال هؤلاء القوم .

ما تقول في اناس مسكنهم اليمن ويدخلون في قلب نجد في هذا العدد القليل مع انهم عرفوا شوكتنا فلم يبالوا بها ؟ فاياك والحرب معهم وانما امرتك بالخروج اليهم حتى لا يختلف علينا فيقال : ضعف امر هذه الدعوة وهابوا الحرب مع رجل يامي» .

المعركة

ولكن افراد الجيش الذي قاده الأمير عبد العزيز كان قد غشيهم الزهو والغرور واستكبروا قوتهم وعددهم وعدتهم لدرجة لا حد لها ، وكانوا في مسيرتهم يظهرون ضروباً من التيا والخيلاء معتقدين كل الاعتقاد بان عدوهم لن يصمد امامهم وانه سيوليهم ظهره حال دنوهم من معسكراته .

ولما وصل الأمير عبد العزيز بقواته الى حائر سبيع لم يمهله عدوه فرصة للاستعداد والتفكير بل داهمه بالقتال مستعملاً البنادق . ثم رأى المكرمي ان استعمال هذا السلاح في المعركة مع جيش الدرعية لا يجدي نفعاً ولا يقرر نصراً سريعاً، فامر اتباعه باستعمال السيوف فاستلوها من الأغماد وكروا بها على جيش الدرعية فالحقوا به هزيمة منكرة بعد ان قتلوا منه خمسمائة رجل منهم سبعة وسبعون من اهالي الدرعية ، وسبعون رجلاً من اهالي منفوحة ، وثمانية وعشرون من اهالي العيينة ، وستة عشر من اهالي حريملا ، واربعة من اهالي ضرمى ، وقتيل واحد من اهالي ثادق . وكان مع قوات عبد العزيز قسم من البدو قتل منهم الكثير وقد أُسر من جيش الدرعية مائتان وعشرون اسيراً ، وفر الباقون لا يلوي احدهم على احد حتى بلغت فلولهم الدرعية .

عقد الصلح مع صاحب نجران

بعد هذه المعركة ارتحل المكرمي من حائر سبيع ونزل بالقرب من قصر

(الغذوانية) القريب من الدرعية استعداداً لاحتلالها .

فاخذت ترد عليه الهدايا والرسائل من صاحب الرياض وغيره من اعداء الدرعية يحرضونه على احتلال الدرعية ويعدونه المساعدة بالرجال والأموال ، كما كتب اليه صاحب الاحساء يخبره بقدومه اليه .

اما الدرعية فقد اوفدت فيصل بن سهيل (شيخ قبيلة الظيفر) الى صاحب نجران ليعرض له استعدادها للتفاوض معه لعقد صلح شريف ، فاجابها إلى ذلك بعد ان اشترط عليها ان تطلق سراح الاسرى الذين عندها من قبيلة العجمان ويطلق هو اسراها الذين عنده . فتم الصلح بينهم على هذه الشروط وعقدوا بينهم اتفاقية عدم الاعتداء ، فاهدت اليه الدرعية مائة وعشرين فرساً من جياد الخيل واموالاً كثيرة ، فقبل هداياها واطلق لها اسراها ثم قفل عائداً الى بلاده .

الحالة في الدرعية بعد هذه الهزيمة

عاد الأمير عبد العزيز الى الدرعية بعد هذه الهزيمة وهو في حالة يأس وخذلان فذهب تواً الى مجلس الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابدى له اعتذاراً عما وقع . فاراد الشيخ ان يخفف عنه مرارة الهزيمة والا يدعه يستسلم لليأس ، فحثه على الصبر ومناه بالفوز في المعارك المقبلة وتلا عليه الآيات الآتية : —

« وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[1]

« إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ »[2]

« وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ »[3] .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٩.
(٢) سورة آل عمران آية ١٤٠.
(٣) سورة آل عمران آية ١٤١ .

اما الأمير محمد بن سعود فقد هاله هذا النبأ واهتّم له اهتماماً كبيراً لا سيما عندما رأى جيشه المندحر يعود مع ولده عبد العزيز من معركة الحائر مدحوراً مهزوماً تلك الهزيمة النكراء التي لا عهد لهم بها سابقاً .

ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هدأ من روعه وقوّى من عزيمته وذكّره بما وقع للنبي ﷺ في غزوة أحد . كما ان زوجته موضى (التي كانت من النساء المؤمنات الصادقات الايمان) كان لها اثر كبير في تشجيع زوجها وحثّه على الصبر والسلوان .

موقف عريعر صاحب الأحساء

تلقى صاحب الاحساء ما عرضه عليه صاحب نجران للاشتراك بقتال الدرعية برحابة صدر، فجهز جيوشه من بني خالد واهل الاحساء واستنفر جميع اهالي نجد فلبوا نفيره سوى اهل العارض وشقراء وضرمى وتوجه بهذه الجموع ليلتحق بالمكرمي ويشترك معه في احتلال الدرعية، فبلغه وهو في الطريق نبأ عقد الصلح بين الدرعية والمكرمي، فكتب الى المكرمي صاحب نجران كتاباً يحثّه فيه على مواصلة قتال الدرعية، ومما جاء فيه : « اننا نحمد الله على هذا الاتفاق الذي حصل بيننا وبينكم على حرب هذا المبتدع ، ونحن ان شاء الله سنقوم بمواجهتك ونتم الأمر بيننا على كيفية حربه ولا نطيل الأمر » .

فأجابه المكرمي يعتذر عن تلبية الطلب بسبب وقوع عقد الصلح مع الدرعية ، وقد جاء في كتابه : « لو كان هذا الاتفاق قبل ان يجري الصلح بيننا وبينه لانتظم الأمر على وفق خاطرك، لكن الآن حصل مرادنا من الانتقام وقد طلب منا العفو ونحن اهل له عند القدرة واعطيناه فلا يمكن ابدال القول اما

انت فجرب حربك معه ونحن لا نتعرض بشيء » .

فلما وصل كتاب المكرمي الى عريعر فت في عضده واغتم لذلك غماً شديداً لأنه كان يظن ان المكرمي سيلبي طلبه ويشترك معه في قتال اهل الدرعية فكتب اليه كتاباً آخر يرغبه في محاربة الدرعية ويمنيه بالمال والربح الوفير ، ومما جاء في هذا الكتاب ما يـأتي :

« انك ان وافقتني على قلعه من هذه الأرض لك كل عام مائة الف ذهب تصلك الى نجران » . فرفض المكرمي هذا العرض ايضاً ورده بكتاب مما جاء فيه : « لا يكون ذلك ، كيف والشيمة هي حسن الوفاء بالقول . نعم اذا انت ادركت منه مرادك الآن فبها ، واذا احدث علينا شيئاً فانا بمجرد سماعه آتيه لا يردني عنه شيء اما قتله او الموت » .

وعندما ايس عريعر من الاتفاق مع المكرمي توجه بجيشه لضرب الحصار على الدرعية وعسكر في محل يقع بين سمحان والزلال ، وضرب على الدرعية الحصار وكان معه مدافع وقنابر كثيرة ، وبقي محاصراً لها بقواته لمدة تقارب شهراً واحداً فلم يفزمنها بطائل ، ثم رفع عنها الحصار ورجع الى بلده الاحساء بعد ان خسر من رجاله نحو اثني عشر قتيلاً .

(٣) الأحْساء

الأحساء بفتح اوله وسكون ثانيه . وكانت الأحساء تكوّن قسماً من المنطقة الّتي كان يطلق عليها في الماضي اسم (البحرين) أو (هَجَر) والتي تمتد من حدود البصرة الى سواحل عمان .

واطلق اسم «الحسا» و «الاحساء» على هذه المنطقة لكثرة الاحساء فيها، والاحساء جمع حسي وهو الينبوع الذي يمكن الوصول اليه على مسافة قريبة من الارض. واشهر مدن الاحساء :

الهفوف : والهفوف من هفت الريح اذا سمع صوت هبوبها، وريح هفافة طيبة ساكنة سريعة المرور في هبوبها، وكانت تدعى (هَجَر) وبعد القرن الرابع الهجري سميت بالحسا الاسم الذي شمل اخيراً المنطقة كلها، واول من عمّرها وحصّنها هو ابو طاهر الحسن بن ابي سعيد الجنّابي القرمطي وذلك حوالي عام ٢٨٦ هـ ٨٩٩ م .

المبرز : وتقع على بعد ميلين من شمالي الهفوف . اما اسمها فقيل انها سميت بذلك لبروز حجاج الاحساء اليها واجتماعهم فيها ليتهيأوا للسفر .

القَطيف : بفتح اوله وكسر ثانيه (من قطف الثمر) تقع في الشمال الشرقي من الاحساء وتعرف الاقسام الواقعة غربي القطيف باسم واحة صفوى .

العُقَير : والعُقَير تصغير العُقر بمعنى عدم الحمل ووسط الدار ، وهو ميناء يقع في الجنوب الغربي من القطيف وهو (جرعاء JERRHA) القديمة التي كانت سوقاً من اسواق الجزيرة العربية المهمة ومركزاً تجارياً كبيراً على

الخليج العربي ايـام السلوقيين فكان الاتصال البحري الرئيسي بين الهند والامبراطورية السلوقية يتم بواسطة هذا الميناء وإليه تأتي منتجات الهند، ومنه تصعد الى دجلة فسوريا، كما كانت تتفرع من العقير طرق تصلها باليمن وتيماء، ومنها ترسل الى سلع او «البتراء».

وساحل القطيف و «العُقير» و «قطر» كان فيما مضى يسمى «الخط» وهو الذي نسبت اليه الرماح الخطية حيث كانت تُحمل من بلاد الهند وتقوّم فيها وتباع في البلاد الاخرى.

جُبيل : تقع على مسافة ٣٥ كيلومتراً شمال القطيف، وكانت تستعمل منذ عهد طويل كمنفذ للدخول الى شمالي الاحساء ونجد.

ومن بلدان وقرى الاحساء **سيهات والجش** (بمعنى التل الذي لا يعلوه الماء في بطن الوادي) **وجعبة** قيل انه المكان الذي وضع فيه القرامطة الحجر الاسود عام ٣١٧ هـ ٩٣٠ م **وصفوى** وكثير غيرها من القرى.

وهناك جزر كثيرة في ساحل الاحساء، منها جزيرة **جنّة** وجزيرة **المُسَلّمية** وجزيرة **دارين وتاروت** التي تقع شرقي القطيف وعلى بعد اربعة كيلومترات منها والتي يبلغ طولها ٢٥ كيلو متراً وعرضها ١٠ كيلومترات، ولعلها كانت معبداً للإله عشتاروت الفينيقي فاشتهرت به ثم حذف منها المقطع الأول اختصاراً وصارت تُعرف بالمقطعين الأخيرين وهما «تاروت».

استيلاء بني خالد على الاحساء

كانت الدولة العثمانية في ايام السلطان محمد خان الرابع بن ابريم مشتغلة بالحروب من كل جهاتها ولا سيما الجهات الاوروبية، وكانت تتقاذفها الامواج والاضطرابات السياسية من كل جانب، وكانت حتى في داخليتها معرضة للأخطار والانحطاط.

وعلى اثر تلك الحالة السائدة في الدولة العثمانية اغتنم آل حميد [1] الفرصة وثاروا على ولاة الترك العثمانيين وطردوهم من الاحساء واستولوا عليها .

براك بن غرير آل حميد

مـــن ١٠٧٧ هـ ١٦٦٦ م الى ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م

ان اول من استولى على الاحساء من يد الاتراك هو براك بن غرير بن عثمان بن مسعود آل حميد رئيس بني خالد ، وقد اخرجهم منها وضبط ثغورها واحكم حصونها ونودي به ملكاً عليها . وكان لآل شبيب رؤساء بني المنتفق النفوذ الاكبر في بادية العراق الجنوبية وبوادي الاحساء، فشق عليهم استيلاء بني خالد واستبدادهم بملك الأحساء ، فجهز رئيسهم راشد بن مغامس حملة لغزو براك وجماعته في الاحساء، فخرج براك لمحاربته واسفرت المعركة عن مقتل راشد بن مغامس وكثير من جنوده وانهزام الباقين الى العراق وذلك عام ١٠٨١ هـ ١٦٧٠ م .

ثم قام براك بغزوة على آل نبهان وهم قاطنون قرية سدوس المعروفة في نجد وقتل منهم رجالاً واستولى على قسم من اموالهم .

وفي عام ١٠٨٨هـ ١٦٧٧م قام بغزوة اخرى على نجد هاجم بها آل عساف بالموضع المعروف بالزلال قرب بلد الدرعية وقتل منهم رجالاً واستولى على بعض الاموال . وتوفي براك عام ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م .

محمد بن براك

مـــن ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م الى ١١٠٣ هـ ١٦٩١ م

لما توفي براك تولى الحكم بعده ولده محمد.وكان محمد، رجلاً كريم الطبع

---

(١) آل حميد بطن بني خالد الحجاز الساكنون في بيشه .

حسن السيرة ذا همة عالية،وفي عصره حدد ارض بني خالد وجعل لكل قبيلة منها منزلاً مخصوصاً واملاكاً وارضاً في الاحساء والقطيف .

وفي سنة ١٠٩٨ هـ ١٦٨٤م قام محمد بن براك بغزوة على آل مغيرة وعابد بالموضع المعروف بالحاير موطن سبيع جنوب الرياض وقتل منهم خلقاً كثيراً ثم كر عليهم في صيف ذلك العام وهم بحاير المجمعة ونكل بهم. وتوفي محمد عام ١١٠٣ هـ ١٦٩١ م .

سعدون بن محمد

مـــن ١١٠٣ هـ ١٦٩١ م الى ١١٣٥ هـ ١٧٢٢ م

لما مات محمد تولى الملك بعده ولده سعدون ،وقد نسج على منوال ابيه من حيث حسن السيرة ونشر العدل .

وفي سنة ١١١٠ هـ ١٦٩٨ م غزا الفضول والظفير بالموضع المسمى البتراء قرب نفوذ السر فقتل منهم رجالاً واستولى على كثير من اموالهم . وفي سنة ١١٢١ هـ ١٧٠٩ م قام بغزوة اخرى على الظفير بالموضع المسمى الحجرة.وبعد هاتين الغزوتين لم تدر حرب لبني خالد مع احد في زمان سعدون . وكـــان سعدون مولعاً بالصيد وربما سافر لأجل الصيد وابتعد مسافة شهر كامل في ناحية حلب والشام . وكان العرب الذين يطأون ارض بني خالد في ايام الربيع يقدمون له نجائب الابل ويقودون لـــه الاصائل من الخيل بالاضافة الى الأموال الاخرى . وفي عصر سعدون ابتدأ نجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الشروق. وتوفي سعدون عام ١١٣٥ هـ ١٧٢٢ م .

علي بن محمد

مــن ١١٣٥ هـ ١٧٢٢ م الى ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م

ولي امر بني خالد بعد سعدون اخوه علي ولم يذع له صيت . ووقعت له فتنة مع ابني اخيه سعدون ، وهما : داحِس ودُجين ، فقتلاه عام ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م .

سليمان بن محمد

مــن ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م الى ١١٦٥ هـ ١٧٥٢ م

صار الأمر بعد مقتل علي الى اخيه سليمان واستقرّ له الحكم في الاحساء وبواديها وتجاوزت سلطته الى نجد ولم يكن له في ايامه منازع وكانت ايامه صافية والأمن مستتباً . وفي ايامه علا شأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد واتسعت شهرته،وهو الذي كتب الى عثمان بن معمر صاحب العيينة يأمــره باخراج الشيخ محمد من العيينة فخرج منها وأمّ الدرعية . وفي أيامه بدأ العداء بين آل سعود وبني خالد وقويت دولة آل سعود في اطراف نجد .

وكان سليمان مولعاً بحب النساء وكان يتعرض لبعض بنات بني خالــد غدراً فانكر عليه مشايخ قبيلته وبنو عمومته ذلك فاخرجوه من الاحساء وتوجه الى نجد،ولما وصل بلد الخرج في ارض نجد توفي هناك وذلك عام ١١٦٥ هـ ١٧٥٢ م ودفن فيها .

عريعر بن دجين

مــن ١١٦٦ هـ ١٧٥٢ م الى ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م

بعد موت سليمان تولى الأمر في الاحساء عريعر بن دجين بن سعدون، وفي ايامه كثرت الحروب مع الدرعية مقر امارة محمد بن سعود ومركز الدعوة

الدينية التي يقوم بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

عزم عريعر على مهاجمة الدرعية

لما استولت الدرعية على العيينة وضمتها الى دولتها كان صاحب الاحساء يعتبرها من المقاطعات العظيمة الموالية لآبائه، وقد هاله ما ادركته الدعوة في الدرعية من الانتصارات والاقبال واغضبته غضباً لا حدّ له ، فاراد ان يقضي على الدرعية ويطفىء نور الدعوة قبل ان تقضي عليه وتقوّض اركان حكمه . وقد عقد العزم على مهاجمتها وقتالها في عقر دارها .

وفي عام ١١٧٢ هـ ١٦٥٨ م جمع عريعر جموعه من اهـل الاحساء وعشائر بني خالد وزحف بهم الى نجد . ولما توغل في نجد استنفر اهل الوشم وسدير ومنيخ والخرج والرياض فاجتمع اليه عدد كبير من المقاتلة . ثم انفصل عنه مقاتلة سدير والوشم والمحمل .

مهاجمة حريملا

ارسل عريعر بعض قواته لمقاتلة حريملا وتوجه هو قاصداً الدرعية . فدار قتال بينهم وبين حريملا دام ثلاثة ايام ولم يستطيعوا التغلب عليها فطلبوا النجدة من عريعر فانجدهم بجماعة من بني خـالد وعنزة ولكن حريملا قاومتهم واضطرتهم الى الانسحاب وتبعهم اهل حريملا الى ان وصلوا الى مقربة من معسكر عريعر عندئذ خرجت عليهم جموع عريعر واضطرتهم الى التراجع والعودة الى حريملا .

الدرعية تحشد قواها للقتال

سار عريعر بتلك الجموع وشعاره مهاجمة الدرعية الى ان وصل الجبيلة

الواقعة على مقربة من الدرعية وحط رحاله فيها لأخذ الاهبة للهجوم المطلوب .

ولما شعرت الدرعية بما بيته لها صاحب الاحساء حشدت قواتها ووقفت على قدم وساق استعداداً للقتال والمقاومة، وبنى اهلها سورين اكثروا فيهما البروج ليمنعوا الاعداء من تسلق الجدران .

معركة الجبيلة

وكانت الجبيلة لما احاط بها الغزاة محصنة تحصيناً محكماً وكان فيها من المقاتلين خمسمائة من الرجال الاشداء ومع ذلك لم تبقَ الدرعية منتظرة الهجوم بل ارسلت الى الجبيلة قوة كبيرة مدداً لأهلها لتشد ازرهم في الدفاع، فقاومت الجبيلة الغزاة مقاومة عظيمة ثم جاءها مدد جديد من الدرعية فاحاط بالمهاجمين من الخلف وانزل بهم الهزيمة الفادحة فوقعت في صفوفهم الفوضى وتفرقت تلك الجموع بسرعة مولية الادبار مخلفة في ساحة المعركة ستين قتيلاً . وكانت قتلى الجبيلة والدرعية عشرة رجال . وعاد كل فريق الى بلده وقد طلب بعض هذه الاحزاب ومنهم اهل ثادق من الدرعية الامان والعودة الى الطاعة بعدما تعهدوا بدفع غرامة حربية، فلبت الدرعية طلبهم وقبلت عرضهم .

الدرعية تكافىء الجبيلة على بسالتها

وبعد هزيمـــة قوات صاحب الاحساء وانسحابها عن الجبيلة ارادت الدرعية ان تكافىء الجبيلة على ما ابدته من البسالة في الدفاع، فاوفدت الأمير عبد العزيز الى الجبيلة لذلك الغرض وانعم على اهلها بالعطايا والتحف وقال لهم واعظاً : « الآن تبين عندي انكم الصادقون بالقول لكن المنة لله لا تحسبوا لأنفسكم منة في ذلك فانه من ضعف الدين » . فقالوا له : « نعم ايها الأمير لقد بعنا انفسنا لله » .

عقد معاهدة مع صاحب الاحساء

وبالرغم من هزيمة عريعر صاحب الاحساء ورجوعه الى بلده مدحوراً ارسلت اليه الدرعية الهدايا واسترضته وعرضت عليه الصلح بشروط شريفة فاقر مواده وعقدت بين الطرفين معاهدة الصلح ودام مفعولها لمدة سبع سنين .

غزو قوات الدرعية للاحساء

تكدر الصفو في عام ١١٧٦ هـ ١٧٦٢ م بين الدرعية وصاحب الاحساء، فقامت قوات الدرعية بقيادة الأمير عبد العزيز بغزوة على الاحساء فظفرت بقرية تدعى المطيرفي وقتلت من اهلها سبعين رجلاً وغنمت كثيراً من الأموال واستولت على كمية من الاسلحة ثم أغارت على المبرز وقتلت منها رجلاً ثم عادت بتلك الغنائم الكثيرة الى نجد .

معركة عام ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م

بعد الغزوة السالفة التي قامت بها الدرعية على الاحساء صمم عريعر على ان يأخذ ثأره من الدرعية ،فاخذ يتحين الفرص المواتية لذلك الى ان بلغه مسير صاحب نجران بقواه العنيدة على الدرعية،فرأى ان الفرصة التي كان يترقبها قد سنحت،فجمع جموعه ودارت مكاتبات بينه وبين صاحب نجران يعده بالنصرة والانضمام اليه في قتاله للدرعية،كما دارت مخابرات بينه وبين صاحب الرياض دهام بن دواس يحثه على وعده الأخير بالانضمام اليه بقواته، وكذلك فعل مع اصحاب منفوحة وغيرها من بلدان نجد .

وتقدم عريعر الى نجد،ولما بلغ الدهناء وردته الاخبار بان صاحب نجران قد عقد الصلح مع الدرعية وقرر الرجوع الى نجران، فكتب اليه عريعر يحثه على

نقض الصلح واستئناف القتال مع الدرعية، ولكن صاحب نجران ابت عليه مروءته ان يفعل ذلك وينقض عقد ذلك الصلح كما بينا ذلك سابقاً . بيد ان رفض صاحب نجران لم يثن عريعر عن عزمه فمضى في طريقه الى الدرعية وانضم اليه دهام بن دواس ومن معه من مقاتلة الرياض الذين لم يدخلوا في دعوة الدرعية والذين ارتدوا عنها وكانوا كثيرين . ولما قاربت قوات عريعر الدرعية التمس ارضاً تصلح لنزول جيوشه الكبيرة وما كان يحمله من المدافع والعتاد والمؤن، فاشاروا عليه بارض قرب القصير فنزلها ثم هجم على القصير وسمحان والزلازل وهذه كلها قرى مسورة فسلط عليها مدافعه ولكن مدافعه لم تعمل عملاً مذكوراً في اسوارها .

تقدمت قوات الدرعية بقيادة الأمير عبد العزيز لمجابهة هذه الجيوش الزاحفة ودارت معركة حامية بين الخصمين وكان بعض رجال الدرعية يهاجمون قوات صاحب الاحساء ليضطروهم الى الهروب ويستولوا على مدافعهم . وكان لعبد العزيز عيون في جيش صاحب الاحساء ينقلون اليه اخبار عدوه وتدابيره وتحركاته، فاستفاد من ذلك كثيراً . فانتهت تلك المعركة عن هزيمة قوات عريعر ومن تبعه من اهل نجد بعد ان فقدت من رجالها اربعين قتيلاً مقابل اثني عشر قتيلاً من جيش الدرعية، وعاد صاحب الاحساء بفلول جيشه المندحر الى بلاده خائباً .

وفاة الامير محمد بن سعود

في آخر شهر ربيع الأول عام ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م توفي الأمير محمد بن سعود في الدرعية ودفن في مقابرها .

صفاتـــه

كان محمد بن سعود حسن الخلق ، معروفاً بالوفاء ، مشهوراً في نجـــد باعترافه بالجميل لا ينسى معروفاً صنع له ولا يتناساه ، كثـــير الخيرات والعبادات ، طيب السيرة والسريرة ، رؤوفاً رحيماً . ومما يدل على ذلك ابطاله للمظالم والغاء المكوس . وبالاضافة الى كل هذا فقد كان شجاعاً باسلاً مقداماً .

وكان يحب الخلوة للعبـــادة ، قيل انه كان يأتي فيجلس وحده لا يريد احداً من اولاده أو نسائه ان يدخل عليه ، ويبقى على هذه الحالة مستمراً سبعة ايام او اكثر من ذلك .

طموحه ودهاؤه

كان الأمير محمد بن سعود طموحاً حريصاً على السيادة راغباً في توسيع نطاق مملكته ، وكان ماهراً في اخفاء مقاصده التوسعية فقد كان يحقق ذلك على البلدان المجاورة له ببطء حتى لا يستفز جيرانه الاقوياء ويؤلبهم عليه . وقد مدّ سيطرته على بعض قبائل نجد واخضعها لسلطته ووقف لبقيتها بالمرصاد .

وقد فكر في اعلان دولة في الجزيرة العربية. ولكن هيبة الدولة العثمانية دعته لأن يتريث عن التعرض للمدن الكبرى التابعة لتلك الدولة .

وصيته لأولاده

ومما يستدل به على دهائه وحنكتـــه السياسية وصيته الى ولديه عبد العزيز وعبد الله . فقد احضرهما اليه وهو في مرض الموت وقال لعبد العزيز انه قد اختاره خلفاً له وكلف عبدالله ببعض المهام واوصاهما ان يكونـــا رحيمين بالضعفاء والمغلوبين . ثم اوصاهما ان يواصلا الفتوح على ان يكون ذلك في حكمة وحذر ، وقال لهما من ضمن ما قال كلمته المشهورة « لا تفجروا الصخر » ومعناها « لا تثيروا عليكم الدول القوية الساكتة عنكم باعمال تفجر غضبهـــا عليكم كما يفجر اللغم الصخور الساكنة فيفتت شظاياها وتقتل من حولها ». وهذه الوصية تعني ضرورة الامتناع عن استفزاز الجيران الاقوياء وخصوصاً الدولة العثمانية .

جوده وسخاؤه

كان الأمير محمد بن سعود جواداً كريماً سخياً كثير الهبات كبيرها . ومما يذكر عن جوده ان رجلاً من اهالي بريدة وفد عليه ، يدعى ناصر بن ابراهيم . وكان هذا تاجراً كبيراً فخسرت تجارته وانتابته ديون اثقلت كاهله وضاقت به السبل فقصد الأمير محمد بن سعود ليستدر كرمه ، فاعطاه اربعة آلاف ليرة ذهباً . فاستنكر بعض اقاربه اعطاءه ذلك المبلغ لرجل لا يعرفه الا بالاسم . ولاموه على ذلك فاجابهم قائلاً : « انما الدنيا جعلت لكرامة الناس ومـــن خير الامور فيها اكرام ذوي الشرف اذا ذلوا لكي لا يزدري بهم سفلـــة الناس . هذا ناصر بن ابراهيم قد سمعتم به وكان ذا مال ويسر وشرف وقد اضطره الزمان وقد قصدني . فعلى الناس الكرام ابداء الخير لمثله » .

ومن الادلة على سخائه ايضاً انه اذا أتاه احد من اهل بلده وجماعته وكان غير متزوج سأل عن حاله فاذا أخبر باملاقه امدّه بالمال وامره بالزواج،وان خطب فتاة وكان لها كفواً وامتنع اهلوها عن تزويجها به ذهب اليهم بنفسه وعاتبهم في ذلك واشترط لهم ان تزوجت فتاتهم واصيبت بنقص في المتاع او الكسوة او السكن فهو الضامن . وفعلاً كان ينفذ ما تعهد لهم به اذا حدث شيء من ذلك .

الأمير محمد بن سعود
والشيخ محمد بن عبد الوهاب

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامير محمد بن سعود متفقين اتفاقاً تاماً في كل تصرفاتهما كما لو كانا شخصية واحدة لها وظيفتان في الحياة،وقلما يوجد مثيل لهذا التعاون المنسق،فلم يقم الأمير محمد بن سعود بأي مشروع او يصدر قراراً ذا شأن الا بموافقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فان ارتضاه ارتضاه الامير وان اباه اباه .

وكانت الدعوة التي يدعو اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويناصرها الأمير محمد بن سعود يومئذ شغل الناس الشاغل،وكان زعيمه زعيماً دينياً بكل ما حوته هذه الكلمة من المعاني،وكان مشيراً مسموع الكلمة محبوباً،ومما زاد في بهائه وشهرته كرمه الخلقي وكثرة جوده وسخائه وما كان قد وهبه الله من الهيبة والوقار . وكانت العادة الجارية ان الأمير محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وبقية اقاربه يزورون الشيخ كل يوم مرتين صباحاً ومساءً،وكانوا يجلسون عنده متأدبين صامتين لا ينطقون بشيء ما لم يحادثهم به اولاً .

توسع الدعوة في زمانه

كانت الدرعية في زعامة الأمير محمد بن سعود وبعزم الشيخ محمد بن عبد

الوهاب قد اذنت برفع رايات الجهاد للفتوح ولكنها كانت تنتشر تدريجياً واقتصرت على بعض المناطق، وقد تم لها توحيد معظم بلدان العارض، وشقت الدعوة طريقها الى الوشم حيث انضمت شقراء ثم القرعة وبقيت ثرمداء ممتنعة، ولكن تكرار الغزوات اضعفها، وامتدت الدرعية بتوسعها الى سدير والمحمل وترنحت الرياض تحت ضربات الدرعية وطلبت السلم، وصدت الدرعية جماح صاحب الاحساء وردعت قوات صاحب نجران الغازية .

ويعتبر الأمير محمد بن سعود المؤسس الأول للدولة التي قامت بحماية الدعوة كما يعتبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب واضع الحجر الأول لذلك الأساس وان لم يشاركه بالملك .

ولقد لقي الأمير محمد بن سعود وجه ربه وهو مطمئن على مستقبل بلده، وزاده وجود الشيخ في الدرعية ايماناً واطمئناناً وثقة بالقدرة على محافظة ذلك البلد .

اولاده

ترك الأمير محمد بن سعود بعد وفاته ولدين ذكرين هما عبد العزيز وعبدالله، وكان له ولدان آخران غيرهما هما فيصل وسعود قتلا في حياته .

ارثه

لم يترك الأمير محمد بن سعود لاولاده بعد مماته ارثاً كثيراً من المال والعقار ولكنه ترك لهم ارثاً تجاوز كثيراً ما تركه له آباؤه من الملك . ترك لهم رايات نصر رفرفت على اكثر من بلد من بلدان نجد وانتشر دعاتها وانصارها في مختلف المدن والقرى والبوادي النجدية وغير النجدية .

وفوق كل هذا فقد ترك لهم هيبة وشعوراً في نفوس الناس مهد لهم الطريق فيما بعد ومكنهم من فتح بلدان كثيرة في نجد وخارج نجد .

شؤون الملك في عهد
الأمير محمد بن سعود

(١)
شؤون الامامة الكبرى

الامامة الكبرى نعني بها امامة الدين وقد كانت للشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذا ما يتبعها ويتعلق بها من المصالح الاخرى كتدبير الحرب والصلح والامور الخارجية والمعارف والتدريس ، والقضاء والافتاء والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوزيع المال وغير ذلك .

(٢)
شؤون الحكم الداخلية
والعشائرية

اما شؤون الحكم الاخرى فقد كانت الى الأمير محمد بن سعود فكان يجعل لكل بلدة حاكماً من قبله ويعين في كل كورة اميراً،وهو اعظم شأناً من سائر حكام البلاد لانه قاهر لكل من في الكورة . وكان يوصي الحكام والقضاة والمفتين بتطبق العدل والتوافق بين الأهلين واتخاذ التدابير المرضية للشعب .

اما الشؤون العشائرية فكان يقرّ امراءها القدماء عليها ولا يعزلهم وينصب اناساً غيرهم الا اذا تمرد احد منهم فيعزله ويقيم اخاه او احد عمومته مقامه ، لأنه كان على علم تام باخلاق اهل البادية الذين لا ينقادون اتم الانقيـاد الا لكبير منهم . وكان يجعل في كل قبيلة قاضياً او مفتياً وامام صلاة يقيمون لهم الصلاة جماعة ويبينون لهم حدود الله واحكامه .

وكان البدو قبل اعلان الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته يتحاشون متابعة الشرع الاسلامي،وكان امراء البلدان اذا عرفوا من اكابر البدو من يبذل

النفس في الاخلاص لهم جعلوا اكثر خراج طائفته له بل ربما قالوا لـــه : « يكفينا منك مجرد الطاعة وزكاة قومك لك » . فصاروا ينضمون الى صفوف اولئك الامراء بسهولة ويبذلون انفسهم في سبيل الدفاع عنهم .

وكان النهج الذي اتخذه امراء الدرعية في تأديب المخالفين من اهل المناصب والاعيان في المدن او البادية طريقة العزل اوالحبس ويتحاشون الضرب والجلد . فان الجأهم الأمر الى القتل قتلوا جهاراً ان تمكنوا منه غير لاجئين الى سلاح الغدر والغيلة او دس السم .

ومن جملة تأديبهم لردع المعتدين ان كان الاعتداء بسيطاً الاخذ من المعتدي غرامة ماليـــة كثيرة يدفعونها الى المعتدى عليه ان كان له مال او نفيه عن بلدهم الى بلد ناءٍ من البلاد التي تحت يدهم . وان وقع بين رعاياهم حرب او قتل او مطالبة بمال احالوهم الى المحاكم الشرعية الاسلامية .

شؤون العدل والقضاء

(٣)

كان المرجع الأعلى في شؤون العدل والقضاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان يجعل في كل بلدة كبيرة قاضياً ومفتياً وفي الصغيرة قاضياً فقط ويعين لهم خرجاً من بيت المال .

المحتسب

وكان يجعل في كل بلد محتسباً (مطوعاً) ليتفقد احوال الناس بالتجسس على ما هم عليه من صدق النية في الطاعة للدعوة وما هم عليـــه من المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء ونقص المكـــيال والميزان . او يفسد احدهم او يتعرض بشيء على احد حتى الشتم والسب ، فلو قال احد لاحد« يا فاسق او

يا كلب» اونحو ذلك التزم بهذه الدعوة ورفع المحتسب امره الى حاكم الشرع ولو كـان الأمير او الامام نفسه . وللمحتسب حق مراقبة القضاة اذا ما تجبروا او تحجبوا او اخذوا شيئاً من اموال الناس بلا وجـه شرعي او عدلوا عن اقامة حدود الله باخذ الرشوة او ما شابه ذلك .

شؤون المال

(٤)

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو المشرف الأعلى على شؤون المال، وكانت الأخماس والزكاة وما يُجبي من الأموال الأخرى دقيقها وجليلها تدفع اليه وهو يتولى تدبيرها وضبطها، وقد خصص بيتاً على حدة سماه «بيت المال» وجعل له قواعد وانظمة محددة لا يأخذ منه شيئاً الا بقدر الخرج الضروري ولا يُدفع لاحد مال إلاّ بامر منه . وله وحده حق العقد والأخذ والعطاء . ولم يكن للأمير محمد ابن سعود مخصصات اضافية إلاّ ما فرض له من خمس الغنائم .

وقد رتّب الشيخ عمالاً مخصوصين في كل بلد لاستيفاء الزكاة ولم يجعل لأمير البلد تولية عليه ولم يخوله اخذ شيء من جباة تلك الأموال .

وقد اتّبع الشيخ في بادىء الأمر سياسة اقتصادية قريبة من التقتير استعداداً للطوارىء التي سيجابهه بها الأعداء المحيطون به والمتربصون بدعوته، ومن مظاهرها انه استبدل الخيل بالابل وأمر اتباعه ان يركب كل ذلول رجلان، وقد خفض مؤنة المحاربين وعلف الحيوانات بحيث كان يحمل كل جمل مؤنة تكفي راكبه عشرين يوماً، وبهذه الواسطة استطاع ان يزيد من عدد المقاتلة من غير زيادة كبيرة في النفقات .

وكان يقع في بعض السنين دين كثير على بيت المال حتى يعجز عن وفـائه فيعلن الشيخ ذلك لأتباعه فيأتيه كل منهم بمقدار ما يستطيعه من المال عن طيبة نفس. وان قصرت تلك الأموال عن سدّ نفقات الحرب اضطر الشيخ عندئذ لاستقراض

الأموال اللازمة من الناس باسمه الخاص لانفاقها على بعض الاعمال اللازمة ولتجنيد المقاتلة .

واذا مات احد من رجال العلم وأهل الورع أو من رجال الحرب أو قتل في المعارك وكان له عيال ضعفاء قُررت لهم رواتب كافية تدفع اليهم من بيت المال .

الشؤون العسكرية وقيادة الجيش

كانت الحرب في الدرعية لا تعلن الا بموافقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو الذي يرسم لها الخطط ويوجهها التوجيه الموفق الحسن .

وكانت القيادة العليا للجيش والمسير لساحات القتال منوطة بالامير محمد ابن سعود نفسه ، وكان هذا قائداً ملهماً حذراً يستقصي دائماً احوال العدو ويمتنع عن مهاجمته الا بعد التثبت من النصر والأمن من الكمين . واذا اراد ان يغزو مكاناً ما اظهر انه يريد مكاناً آخر لئلا يبلغ خبره العدو فيستعد لمقابلته .

وكان يمرن جنده على مقاساة الجوع والعطش وقطع البوادي القاحلة ، وعلى هذا فقد كانت جيوشه اذا ما اشتبكت مع اعدائها بقتال انقضت عليه انقضاض الأسد على الفريسة .

فان يئس عدوهم من النجاة وعرض عليهم الاستسلام اجابوه لذلك ، وعشروا اموالهم وأخذوا أيضاً من رجالهم العشر ينظمونهم في جيوشهم وان أبوا أعملوا في رقابهم السيف وجعلوه هو الفيصل بينهم .

نفقة الجيش

ان نفقة الجيش كانت تدفع الى بعض سكان المدن من بيت المال ، وأما المتطوعة من القبائل وغيرها فلم تكن لهم نفقة معينة فقد كانوا يعدون انفسهم

مجاهدين ويكفي لديهم ان تعلن الدرعية الحرب عندئذ يعرف كل رئيس قبيلة أو مدينة ما يجب عليه فيهيّء المجاهدين بالمؤنة والسلاح وغير ذلك .

وكان من ضمن الخطط العسكرية التي يرسمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود اذا ما استولت قواتهم على بلدة شيدوا على مقربة منها حصناً وحفروا حولها خندقاً اذا كانت الارض صلبة ووضعوا في الحصن رجالا يتراوح عددهم بين خمسمائة الى الألف على قدر البلدة، وخراجها اما من اهلها او من بلد آخر ، بعد ان يتأكدوا من امانتهم واستقامتهم واخلاصهم للدعوة . ويعينون لهؤلاء متاعاً كثيراً ربما يكفيهم سنتين أو ثلاثاً مما يدخر . ويجعلون في الحصن أيضاً باروداً وبنادق كثيرة وربما جعلوا في بعض الحصون مدافع . ويعينون لأولئك الجنود مدخولاً سنوياً كثيراً . وهذا الجند المرتب لا حاكم عليه غير عشرة رجال ، منهم امراء يحكمون بموجب ما لهم من اجازة الحكم الذي عينوا فيه . فان اتفقوا فعلوا واطاعهم الجند والا فلا . وطاعتهم لهم بالنسبة لما قرره امام المسلمين وبينه، وان اتفقوا على غير ذلك فلا طاعة لهم . وهؤلاء الجند لا يخرجون من الحصون اصلاً .

تخلي الأمير محمد بن سعود عن القيادة

كانت المعارك في عصر الأمير محمد بن سعود كثيرة، وكان هو القائد لها في اول الأمر ثم تخلى عن القيادة الى الأمير عثمان بن معمر صاحب العيينة وانتدب ابنه عبد العزيز للسير تحت لواء ابن معمر .

وفضل البقاء في الدرعية الى جانب الشيخ محمد بن عبد الوهاب للاشتراك معه بتجهيز الجيوش ورسم الخطط لها .

وقد استحسن جميع الأتباع هذه الخطة لأنهم كانوا يخشون عليه وعلى الشيخ من خوض المعارك وتعرضهما للخطر لأن فقدهما لا يترك من يحل محلهما في ادارة الأمور وتوجيه الدعوة قبل ان تستقر في النفوس وتوطد اركانها توطيداً محكماً .

انتشار الدعــــوة

وتوسع نطاق الفتوح في عصر

الامـــام عبد العزيز (١)

من ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م الى ١٨ رجب ١٢١٨ هـ ٤ تشرين الثاني ١٨٠٣ م

ولد الأمير عبد العزيز في عام ١١٣٢ هـ ١٧١٩ م في مدينة الدرعية، وقـــد اختاره ابوه ولياً لعهده بناء على مشورة وموافقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رأس الدعوة والمحكم لعقدها. وقد ساهم عبد العزيز في عصر ابيه بمعظم المعارك التي دارت وقاد الكثير منها . وكان من اشد انصار الدعوة ومؤيديها . كما كان العضد الأيسر لأبيه حينما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب العضد الأيمن . تولى الحكم بعد وفاة أبيه فبايعه الجميع على الأثر خاصتهم وعامتهم، دانيهم وقاصيهم، والتفوا حوله واظهروا له طاعتهم . وقد درج على سيرة أبيه في تأييد الدعوة ونشرها والجهاد في سبيلها . وهو اول من سمي بالامام من آل سعود .

---

(١) كان للامير محمد بن سعود حين وفاته ولدان هما عبد العزيز وعبد الله، وقد تولى الامر بعده ولده عبد العزيز اما عبد الله فلم يتول حكماً غير ان ابنه تركي هو الذي اعاد الدولة السعودية بعد انهيارها من قبل المصريين وتولى الملك من بعده ابناؤه وما زال الملك فيهم الى اليوم .

منطقـــة الوشم

مدينة ثرمداء

ما كاد ينتشر خبر وفاة الأمير محمد بن سعود في بلدان نجد حتى ظن البعض من أهاليه ان الأمر في الدرعية قد ضعف وليس في إمكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز السيطرة على الوضع ومواصلة العمل، فبادرت بعض البلدان الى خلع طاعتها للدرعية والارتداد عن الدعوة، وكانت مدينة ثرمداء اول تلك البلدان ارتداداً ، ولكن الدرعية كانت قد اتخذت للأمر اهبته فساقت في عام ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م جيشاً على ثرمداء قاده الأمير عبدالعزيز ، ولما قارب ذلك الجيش المدينة نصب كميناً وهاجم البلدة فخرج أهلها للدفاع. فلما التحم القتال خرج عليهم الكمين فانهزموا امامه بعد ان قتل منهم نحو عشرين رجلاً منهم راشد وحمد ولدا ابراهيم بن سليمان وامام اهل البلـــد محمد بن عيد . وقُتل من جيش الدرعية نحو ذلك العدد ، منهم فوار التمامي وابن غدير .

وبعد هذه المعركة وفد أمير ثرمداء ابراهيم بن سليمان بن ناصر بن ابراهيم ابن خنيفر العنقري الى الدرعية واعلن طاعة بلدته وايمانها بالدعوة فأقرته الدرعية على امارة ثرمداء ، وفي عـــام ١١٨١هـ ١٧٦٧م توفي ابراهيم بن سليمان امير ثدمراء وبقيت ثرمداء بعد وفاته محافظة على ايمانها .

منطقـــة سدير

جلاجل

بلغ الدرعية في عام ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م ان مدينة جلاجل عازمة على العصيان فارسلت الدرعية تنذرها وتهددها بسوء المصير، فقدم سويد صاحب جلاجل الى الدرعية لينفي ما اشيع عن بلدته ويؤكد لها بقاءها على الولاء والايمان وقاد لها خمسة من نجائب الخيل .

العودة

جهزت الدرعية في عام ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م فرقة من جيشها واسنـــدت قيادتها الى هذلول بن فيصل آل سعود وارسلت معه سعود بن عبد العزيز (وهذه أول مسيرة يشترك بها سعود) وأمرته بالتوجه الى العودة . وقد رافق هذه الحملة آل سلطان رؤساء العودة وغيرهم من اهلها الذين اجلاهم امـــير العودة ابن سعدون ومعهم منصور بن عبد الله بن حماد ، فلما قاربوا العودة نصبوا كمينهم في غربيها وهاجموها من الجهة الشرقية، فخرج أهلها للقائهم والدفاع عن بلدهم ولم يبق في البلد الااميره ابن سعدون ومعه رجلان او ثلاثة رجال من حراسه . فقاد منصور المذكور ذلك الكمين الى داخل البلد وهاجم ابن سعدون فتحصن الأخير في داخل قصره واغلق ابوابه فنقبوا عليه جدار القصر وقتلوه ومن كان

معه . فدخلت جيوش الدرعية البلد واحتلته . ثم عينت الدرعية منصور بن حماد لامارة العودة لوعد سابق لها معه. ومكث عنده الذين نصروه واعانوه من آل سلطان ، ولما استقر له الأمر اخرجهم من البلد كرهاً فتوجهوا الى المحمل .

الزلفى

كان موقف الزلفي بالنسبة الى الدرعية والدعوة منذ البداية موقفاً عدائياً، وكانت مأوى ومستقراً لخصوم الدعوة وأعداء الدرعية ومع ذلك لم تحاول الدرعية الاشتباك معها في قتال ظاهر منتظرة النتائج .

ولما حل عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م ارسلت الدرعية حملة صغيرة على الزلفي لتجلو موقفها واسندت قيادتها الى الأمير سعود (وهذه أول حملة تولى فيها سعود القيادة).فلما قاربت تلك الحملة بلد الزلفي دار قتال بينها وبين الأهالي قتل فيه من أهل الزلفي ثلاثة رجال ثم قفل سعود راجعاً لوطنه .

وفي عام ١١٨٤ هـ ١٧٧٠ م ، لما رفع صاحب الاحساء سعدون بن عريعر الحصار عن بريدة ، دعاه أهل الزلفي لزيارة بلدهم فلبّى طلبهم . ولما حلّ بقرب الزلفي رحّب به الأهلون وخرجوا لاستقباله باحتفاء كبير ،فأقام عندهم عدة ايام قدم عليه خلالها كثير من رؤساء نجد المعادين للدعوة.وكان اهل الزلفي يظنـــون ان سعدون سيقضي على الدرعية . ولكن سعدون عاد الى بلاده دون ان يحقّق لهم ظنهم .

فساء الدرعية موقف الزلفى من عدوها سعدون ولكنها لم تحرك ساكناً في أمرها .

ولما حلّ عام ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م بعثت الدرعية سرية من الجيش على الزلفي اسندت قيادتها الى عدامة بن سويري من بني حسين فوافقت هذه السرية غزواً لأهالي الزلفي خارج البلد فدار بينهم قتال قتل فيه عدة رجال .

مبايعة اهل الزلفى
والتحاق الشيخ سليمان بالدرعية

لقد ذكرنا في ما سبق ذهاب الشيخ سليمان بن عبد الوهاب (شقيق الشيخ) الى الزلفي بعد ان اعلنت حريملا طاعتها وانقيادها للدرعية واقامته فيها بأهله وعياله . وقد فعل ذلك حسداً وبغضاً وعداءً لأخيه . وفي أثناء مكوثه في الزلفي كان يحرّض الناس على الدعوة التي يقوم بها أخوه ويؤلبهم عليه وينمق الرسائل والردود لدحض تلك الدعوة . وبعد حين من الدهر تحقق للشيخ سليمان صحة والدعوة التي يدعو اليها أخوه ومطابقتها لحقيقة الدين الاسلامي ،فندم على ما بدر منه بشأنها وصار يحثّ الناس على اتّباعها والانقياد اليها ، ويراسل علماء الدين لانتهاجها . وهذه فقرة من احدى الرسائل التي كتبها الى بعض من علماء الدين :

« من سليمان بن عبد الوهاب

الى الاخوان احمد بن محمد التويجر واحمد ومحمد ابني عثمان ابني شبانة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

. . . . . . والمأمول منا ان نقدم الله ونجاهد مع الحق اكثر مما جاهدنا مع الباطل وان يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لما سواه » .

وفي عام ١١٩٠هـ ١٧٧٦م لما عزم أهل منيخ واهل الزلفي على الذهاب الى الدرعية لاعلان طاعتهم وايمانهم رافقهم الشيخ سليمان (لطلب سابق ورده من الدرعية) فاستقبل فيها بالاكرام وسكنها باهله وعياله وكفته الدرعية نفقته حتى وفاته (في ٧ رجب ١٢٠٨ هـ ٩ شباط ١٧٩٤ م) .

ارتداد الزلفي

ارتد أهل الزلفي في عام ١١٩٤ هـ ١٧٨٠ م عن الايمان بالدعوة فارسلت

الدرعية جيشاً لقتالها قاده الأمير عبدالله بن سعود، فاستعدت الزلفي لقتاله ووقع بينهم قتال قُتل فيه من اهل الزلفى عدة رجال .

ثم عاودت الدرعية الكرة لمهاجمة الزلفي فدار بينهم قتال ولما قفلت جيوش الدرعية راجعة من الزلفى وبلغت بلد رغبة اذن الأمير عُبدالله للذين كانوا في جيشه من اهل سدير والوشم بالعودة الى بلادهم . فلما وصل هؤلاء العائدون الى (العتك) المحل المعروف بين المحمل وسدير عارضهم سعدون ابن عريعر في جموع من بني خالد فأحاط بهم وقتلهم ولم ينج منهم الا القليل . وممن قتل في تلك الوقعة عبد بن سدحان أمير غزو أهـل الوشم وحسين بن سعيد رئيس بلد العودة وأمير غزو أهل سدير .

عودة الزلفي الى حظيرة الايمان

وفي آخر هذا العام أرسلت الدرعية قوة لمهاجمة الزلفى فهاجمتها واشعلت في زروعها النيران، ولم تصمد الزلفى تجاه هذه القوات المهاجمة فأعلنت عودتها الى حظيرة الايمان وبايعت الدرعية على ذلك .

المجمعة

لم تكن المجمعة من البلدان التي جاهرت بعدائها للدرعية في بادىء الأمر بل كانت محايدة، ثم بلغ الدرعية ان المجمعة قد بدر منها انحياز لجهة الأعداء فكانت أول غزوة قامت بها الدرعية على المجمعة في عام ١١٨٣ هـ ١٧٦٩ م قادها الأمير عبدالعزيز. وكان جيشه يتكون من أهالي الدرعية والمحمل وسدير، فنزل بالموضع المعروف بـ « المكنس » شمال المجمعة ووقع بينه وبين أهل البلد قتال قُتل خلاله عدة رجال ، منهم أمير المجمعة حمد بن عثمان .

خضوع المجمعة

اعلنت المجمعة في عام ١١٩٣ هـ ١٧٧٩ م خضوعها للدرعية وايمانها بالدعوة ، فارسلت الدرعية حامية من جيشها لترابط في المجمعة لتصد عن المدينة هجمات الاعداء .

فكتب اهل حرمة والزلفى الى سعدون بن عريعر صاحب الاحساء يخبرونه بذلك ويطلبون منه النجدة والمساعدة لحرب المجمعة، فلبى سعدون دعوتهم ولما ، سار أهالي حرمة والزلفى لغزو المجمعة وافاهم سعدون بن عريعر بقواته الجرارة من بني خالد وغيرهم . فاجتمعت تلك الجموع في وسط النخيل المحيط بمدينة المجمعة وضربوا عليها الحصار . وعندما احس اهل المدينة بخطر ذلك الحصار تحصنوا في حصن مدينتهم وسدوا جميع مداخل البلد وعقدوا العزم على المقاومة والدفاع الى النهاية .

استمر الحصار على المدينة عدة ايام واخذت القوات المحاصرة تعبث في نخيل المدينة وصارت خيولهم وابلهم وركائبهم ترعى في زروعها، فضاق الأمر على اهل البلد ، عندئذ ارسلوا الى الدرعية يستنجدونها لارسال قوة عسكرية لترفع عنهم الحصار .

وقبل ان ترد البلد النجدة من الدرعية ارسل سعدون بن عريعر وفداً الى اهل المجمعة يخيّرهم بين التسليم المطلق او القتال ، فطلبوا اليه ان يمهلهم لمدة يومين ليروا رأيهم، وكان غرضهم من هذا الطلب وصول قوات الدرعية اليهم قبل انقضاء هذا الأجل .

وكان حسن بن مشاري بن سعود يومئذ في بلد جلاجل ومعه قوات كبيرة تتكون من أهالي العارض والمحمل وسدير . فأمر قسماً منها بالاسراع للذهاب لنجدة أهل المجمعة ورفع الحصار عنهم، فسارت تلك القوة ووصلت الى جدران سور المدينة دون ان تشعر بها قوات سعدون، فادلى اليهم اهل المدينة الحبال

فتسلقوا الجدران ودخلوا المدينة قبيل الفجر ، وعند الصباح علم سعدون ومن معه بوصولها فتحقق لديهم عدم الفائدة من الاستمرار بالحصار وقرروا الانسحاب ورجع كل الى ناحيته .

حرمة

كانت بلدة حرمة من البلدان السباقة للايمان بالدعوة ، ولكنها في عام ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م نزعت الى الثورة على الدرعية وعقدت اتفاقاً مع امير الحوطة صعب بن محمد المهيدب وأمير العودة منصور بن محمد وسويد الدوسري صاحب جلاجل لتنفيذ تلك الثورة . وقبل التنفيذ شعر امير حرمة بالمكيدة .ولما حل عام ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م جندت الدرعية بعض قواتها من الدرعية وسدير والوشم وتولى قيادتها الامير عبد العزيز ليقصد بها الخرج . فعسكر في اسفل الوادي . وفي خلال ذلك ورد الى الدرعية صاحب حرمة عثمان بن عبدالله المدلجي وأخبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامير عبد العزيز باضطراب الامر في حرمة وافلات الزمام من يده وانها ستتمخض عن فتنة عمياء وستنقض العهد وترتد عن الايمان وان من الخير للدرعية ان تسير هذا الجيش الى حرمة بدلاً عن الخرج وتلقي القبض على بعض من اهالي حرمة وترسلهم الى الدرعية ليكونوا رهائن عندها حتى تأمن شر الثورة وتسيطر على البلد .

ولم يزل صاحب حرمة يصر على هذا الطلب حتى اصدرت الدرعية اوامرها للانصراف عن تسيير الجيوش الى الخرج وارسال البعض منها بقيادة الامير عبدالله بن محمد بن سعود الى حرمة .

فسارت تلك القوة الى حرمة عن غير الطريق المألوف وجعلت سيرها عن طريق الحيسية على الحمادة لتموه عنها الاخبار حتى تباغت البلد دون سابق انذار .

فوصلت هذه القوات الى حرمة ليلاً وأهلها هاجعون ففرق الامير عبدالله قواته

في بروج البلد وحصونه والاماكن المهمة الأخرى التي تقابل ابواب حصن المدينة ، وكمنوا فيها . فلما بزغ الفجر أمر الامير عبدالله قواته باطلاق النار من البنادق في الفضاء ليرهب البلد، فارتاب اهل البلد، وخشوا الأمر فارسلوا وفداً الى الامير عبد الله ليكشف لهم جلية الخبر فقال لهم الامير عبد الله : «لا بـأس عليكم ولا تخافوا ولكن اميركم عثمان نقل عنكم اموراً توجب المخالفة وهو يحذر على نفسه منكم ولا يأمن توطيد الايمان في بلدكم وانا ارغب ان ترسلوا الينا رجالاً من كباركم ليكونوا عندنا رهائن في الدرعية حتى نأمن طاعتكم » .

فلم يجد اهل حرمة بدأ من تلبية طلبه فارسلوا اليه اربعة رجال من آل مدلج رؤساء البلد وهم حمد بن عبدالله (أخو الأمير عثمان) ومحمد بن ابراهيم وعلي بن عثمان الحسيني ومدلج المعيبي . ثم اكد اهل حرمة لملأير عبدالله طاعتهم للدرعية وايمانهم بالدعوة .

فكتب الامير عبدالله الى الدرعية يشرح لها ما تم عليه الصلح ، فاجابته الدرعية بكتاب تقول فيه :

«ان اهالي حرمة تكرر منهم نقض العهد وهي محذورة كلها فدمرها واهدمها » .

فصدع الأمير سعود بما أمر فهدّ سور المدينة والكثير من بيوتها واجلى من اهاليها من كان قد تظاهر للدرعية بالعداء ثم قفل راجعاً الى بلده .

ثورة أهالي حرمة

ولما عاد الأمير عبدالله من حرمة اناخ قرب الحوطة وارسل الى اميرها صعب ابن محمد بن مهيدب والى امير العودة منصور بن عبدالله بن حماد ليوافياه في معسكره، ولما قدما عليه طلب اليهما الذهاب معه الى الدرعية لانهما قد مايلا حرمة عندما نوت العصيان ولم يتعرض لسويد صاحب جلاجل بسوء خشية

قيام الثورة في سدير .

وبعدما وصل الأمير عبدالله الى الدرعية اجمع رؤساء اهل حرمة على اعلان الثورة وقتل اميرهم عثمان بن عبد الله المدلجي وأيدهم في ذلك أمير المجمعة حمد بن عثمان وأمير جلاجل سويد، وكان انصار الدعوة ودعاتها من اهل المجمعة كثيراً ما يأتون لزيارة حرمة لتفقد أميرها عثمان واخوانهم المنتسبين الى الدعوة . ولما عزم اهل حرمة على قتل عثمان المدلجي كان من ضمن مخططاتهم ان يلقوا القبض على انصار الدعوة من اهل المجمعة الذين يترددون على حرمة ويحبسوهم عندهم ثم يزحفوا على المجمعة ويحتلوها ويزيلوا آثار الدعوة فيها .

فلما اتى حرمة دعاة الدعوة من المجمعة لزيارة عثمان ومن معه على حسب عادتهم كان عثمان في نخل له خارج البلد فدخل هؤلاء الدعاة في المجمع (وهو الموضع الذي تكون فيه المذاكرة والدرس) ينتظرون عودة الأمير عثمان .

فانفلت رجل من المتآمرين وذهب الى عثمان في ذلك النخل واخبره بوصول اولئك الدعاة وانهم في انتظاره، فاقبل عثمان مسرعاً وكان قد كمن له اخوه خضير بن عبدالله وابن عمه عثمان بن ابراهيم في وسط السوق (وكان هذان الشخصان من كبار المتآمرين) فلما أقبل عليهما انقضّا عليه بالسيف وقتلاه ثم توجها الى من كان بالمجمع من اهل المجمعة وهم محمد بن شبانة (قاضي المجمعة) وعثمان الشميري واحمد التويجر وكنعان بن عيسى وعشرة انفار غيرهم فالقوا عليهم القبض ووضعوا ارجلهم في الخشبة (1) واغلقوا عليهم باب المجمع .

ثم توجه الثوار الى المجمعة ليستولوا عليها ويثبتوا اميرهـا حمد بن عثمان على امارته مستقلاً عن الدرعية، فلما قاربوا ابواب حصن البلد وجدوا فيه حمد بن عثمان ومعه التويجر وعدد آخر من اهل البلد الموالين للدرعية . فلما رأى هؤلاء جمع اهل حرمة ومعهم عُدد الحرب اغلقوا دونهم ابواب

---

(1) الخشبة هي خشبة مستطيلة الشكل في اعلاها حديدة مستطيلـة توضع ارجل جماعة من المسجونين فيها وتطبق عليها تلك الحديدة وتقفل اطرافها لكي تمنع السجين من الحركة منفرداً .

الحصن فضرب اهل حرمة الحصار حول ذلك الحصن واخذوا ينادون امير المجمعة حمد بن عثمان (حليفهم) ليفتح لهم الابواب وينفذ لهم وعده با لنصرة ، فلم يفعل خشية ممن كان معه في ذلك الحصن ، فعاد اهالي حرمة الى بلدهم . وتسلل من كان مع حمد بن عثمان في ذلك القصر خشية ان يتهموا بان لهم يداً في ذلك . فأنقذ البلد وضبطه أهله .

ثم طلب اهل المجمعة الى الشيخ عثمان بن حمد التويجر ان يذهب الى الدرعية لينبئها بالخبر ويطلب ارسال القوات لمحافظتها فجهزت الدرعية قوات من اهل العارض والوشم والمحمل وسدير اسندت قيادتها الى الأمير سعود و أمرته بالمسير الى محافظة حرمة ، فسار الأمير سعود بذلك الجيش قاصداً حرمة فعسكر خارج البلد في نخل معروف بـ « الظاهرية » وضرب على المدينة الحصار ودار بينه وبينها قتال ودامت هذه الحال عدة أيام ثم طلب اليه أهل البلد الصلح فأجابهم الأمير سعود الى ذلك بعد ان اشترط عليهم ان يطلقوا المساجين الذين عندهم من اهل المجمعة ونفي بعض الاشخاص من حرمة منهم جاسر الحسيني ، ويطلق لهم مقابل ذلك الرهائن من الرجال الذين عندهم في الدرعية . وقد تم الصلح على هذا الاساس واظهرت حرمة طاعتها للدرعية وانقيادها للدعوة . واسندت الامارة فيها الى ناصر بن مبارك . وبعد استتباب الأمر اصدر الأمير سعود اوامره الى احمد بن عثمان رئيس المجمعة وسويد رئيس جلاجل بالجلاء عن بلديهما . فذهب الأول الى القصب وذهب الثاني الى شقراء ثم انتقل الثاني الى الدرعية وبعد هذا عاد الأمير سعود الى الدرعية.

انحراف حرمة عن الولاء

وعندما هوجمت المجمعة من قبل بعض اهالي حرمة والزلفى وشاركهم سعدون بن عريعر بذلك الهجوم في عام ١١٩٣ هـ ١٧٧٩ م انحرفت حرمة عن ولائها للدرعية وصبت الى جانب سعدون ، ولما انفضت تلك الجموع عن

لمجمعة ارادت الدرعية ان تحاسب حرمة على ذلك الانحراف فجهزت جيشاً كبيراً اسندت قيادته الى الأمير عبدالله بن محمد بن سعود فاشتبك ذلك الجيش بقتال مع اهل حرمة قُتل خلاله من اهالي حرمة عدة رجال منهم مدلج المعيبي .

ثم عاودت الدرعية الكرة لمهاجمة حرمة بجيش قاده الأمير سعود فضرب حصاراً شديداً على المدينة حتى ضاقت باهلها الحال فارسل اهلها الى الأمير سعود يطلبون الصلح فابى عليهم الصلح وطلب منهم الاستسلام دون قيد او شرط وان يكون جميع نخيلهم لبيت المال وان يسلموا اليه جميع اسلحتهم وآلات الحرب.وبعد اخذ ورد انصاع اهالي حرمة الى التسليم حسب ما املاه عليهم الأمير سعود .

الروضة

بعد ان رفع سعدون بن عريعر صاحب الاحساء الحصار عن بريدة عام ١١٩٦ هـ ١٧٨١ م نزل بقواته قرب الزلفي واقام هناك اياماً فاجتمع له اناس كثيرون من اهل الخرج وغيرهم ، ثم ارتحل من هناك ونزل « مبايض » الماء المعروف ، فتوارد عليه بعض الرؤساء الذين جلوا من بلادهم ، منهم عون ابن مانع واخوانه ، وتركي بن فوزان واخوه منصور من آل ماضي امراء الروضة ، وزيد بن زامل من امراء الخرج ، وبعض امراء الزلفي . وكان يصاحب هؤلاء جميعاً قسم من قبائلهم فاقاموا على مبايض اياماً يتداولون الرأي على أي من بلدان سدير يهجمون فقر رأيهم على مهاجمة الروضة.وبعد انقضاء عيد الأضحى من هذا العام توجه آل ماضي مع من كان معهم من اولئك الرؤساء واتباعهم لمهاجمة الروضة فوصلوها ليلاً واستولوا عليها قبل طلوع الصبح واحاطوا بالحصن الذي في داخل المدينة وضيقوا الحصار على حامية الدرعية التي كانت فيه من اهالي العارض منهم سليمان بن موسى بن قاسم وعلي بن حمد قاضي اهل العطار فانزلوهم من ذلك الحصن بالامان واخرجوهم عن البلد .

اجلاء آل ماضي عن الروضة

ولما تم لآل ماضي الاستيلاء على البلد واحكموا حصونه واستتب لهم الأمر ، ترك سعدون مبايض بجيشه ودخل مدينة الروضة ومكث فيها حتى اطمأن الى استقامة الأمر لآل ماضي فتركها عائداً الى بلاده .

وعندما ترك سعدون الروضة التبس الأمر على آل ماضي على اثر الحملات التي كان يشنها عليهم اهالي سدير والمحمل وكثرة الوقائع وتضييق الخناق عليهم.

وقد قُتل من آل ماضي في هذه الوقائع عدة اشخاص منهم منصور بن فوزان ولم تنقطع تلك الحملات على آل ماضي فقُتل رئيسهم عون بن مانع وقُتل معه عدة رجال آخرين منهم علي بن حسين بن عمر وحزيم بن عودة بن حمد بن حزيم . ثم تولى في الروضة بعد مقتل عون عقيل بن مانع .

في أثناء قيام هذه الحوادث في الروضة كان الأمير سعود مع بعض قوات الدرعية معسكراً في بلد ثادق . وبعد تولي عقيل بن مانع ارتحل بقواته من ثادق وقصد الروضة وضرب عليها الحصار ودار قتال بينه وبين اهلها وكثرت الوقعات وشدد على المدينة الحصار واستولى على النخيل المحيط بها الا ماضمته بروج حصنها وأمر بقطع النخيل منها نخيل الحويطة والرفيعة وغيرهما واستولى على بعض البروج التي كانت فيها ولم يبق بيد أهلها الا حصن المدينة فضاقت بهم الحالة فارسلوا الى الأمير سعود يطلبون الصلح فأجابهم إلى طلبهم بعد ان اشترط عليهم شروطاً اهمها ان يدفعوا له مقداراً كبيراً من المال (غرامة حربية) نكالاً لما قاموا به من الحروب . وان يخرجوا آل ماضي واتباعهم من البلد . ومقابل ذلك يكف عن دمائهم ويترك لهم اموالهم التي في البلد . فأذعنوا لما طلب وأُخرج آل ماضي من الروضة بعد ان دام استيلاؤهم على الروضة في هذه المرة مدة لا تتجاوز الشهر الواحد . وانقادت الروضة الى طاعة الدرعية واعلنت ايمانها بالدعوة .

منطقة الخرج

الـدلم

لم يواظب صاحب الدلم زيد بن زامل على ولائه للدرعية فقد نقض عهده في عام ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م فسيّرت الدرعية جيشاً الى الدلم بعد ان بلغها ارتدادها عن الدعوة، واسندت قيادته الى الأمير سعود فهاجمها وقتل من اهلها نحواً من عشرة رجال واستولى على بعض اموالهم وقُتل من جيش سعود عوض بن ذيب وراشد بن مطيع .

مؤامرة زيد بن زامل

وفي عام ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م اتفق زيد بن مشاري بن زامل صاحب بلد الدلم ، وحويل الوداعين الدوسري صاحب وادي الدواسر ، وغيرهما من رؤساء اهل جنوب نجد ، على القيام بمؤامرة ضد الدرعية لاقلاقها فبذلـوا أموالاً لأهالي نجران واغروهم على المسير لشنّ غارات على بلدان العارض، فأقبل أهل نجران وجميع قبائل يام الذين اشتركوا في وقعة حائر سبيع السالفة الذكر ، ورافقهم اهل وادي الدواسر وبعض اهالي الخرج ومن حولهـم ، وقصدوا العارض ونزلوا بحائر سبيع وقطعوا منه نخيلاً ودار بينهم وبين اهله قتال فيه قتل اهل الحائر من النجرانيين نحو اربعين رجلاً ثم صالحوهم . ورحلوا

عنها وتوجهوا الى بلدة ضرمى وحاصروها فقاتلهم اهلها حتّى الجؤوهم الى التحصن بالنخيل المجاور، فثابر اهل البلد على قتالهم حتّى اخرجوهم من ذلك النخيل واضطروهم الى العودة الى بلادهم .

خضوع زيد بن زامل

بعد انسحاب النجرانيين من العارض وجد زيد نفسه قد تورط بأما ثقيل المراس ليس له منه مخرج سوى اعلان خضوعه للدرعية ، فقصدهـــر وقدم طاعته الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز واظهر لهما استعداده للإيمان فتغاضيا عن اساءته وغفرا له وذلك في عام ١١٨٩هـ ١٧٧٥ م.

اخضاع الدلم للدرعية

ولما حلّ عام ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م انحرف زيد بن زامل عن ايمانه بالدعوة وتنكر لها وقتل امير نتيقة فوزان بن محمد ، وكان فوزان احد اقطاب المؤمنين بالدعوة ، فحشدت الدرعية عليه جيوشاً كثيرة وحصرته في بلدته اشدّ الحصار حتّى اضطرته الى الهرب لينجو بنفسه . عندئذ أرسل اهل الدلم الى الدرعية مُظهرين خضوعهم وايمانهم فأمّرت الدرعية عليهم سليمان بن عفيصان.

عودة زيد بن زامل
الى الدلم

في اواخر هذا العام جمع زيد حوله بعض القوات وسار بها على الدلم فتمكن من استرجاعها واقصاء سليمان بن عفيصان عن الخرج .

فارسلت الدرعية في عام ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م قوة صغيرة قادهـــا

الأمير عبدالله بن سعود الى ناحية الخرج لتستكشف الأمر. فوقع بينهم قتال وقتل من اهل الخرج ستة رجال وعقر قسماً من ابلهم واستولى على بعض اغنامهم .

ثم واصلت الدرعية ارسال جيوشها الى الدلم بقيادة الأمير عبد العزيز. فلما وصل البلدة ضرب عليها الحصار وضيّق على أهلها وكان زيد بن زامل اميرها غائباً عنها بزيارة قام بها الى البجادي امير اليمامة. فلما بلغه محاصرة جيوش الدرعية لبلده استنجد بصاحب اليمامة وبغيره من الرؤساء فاجتمعت لديه قوة كبيرة توجه بها الى مقابلة قوات الدرعية. فلما قارب بلد الدلم وجد أن تلك القوات قد دخلت البلد واحتلته وقد اتخذت في خارجه معسكراً لها اودعت فيه اثقالها وذخيرتها وقسماً من مقاتلتها فهاجم ذلك المعسكر واشتبك مع رجاله في القتال وقتل نحو عشرين رجلا من جيش الدرعية واستولى على بعض ركائبهم واموالهم . فلما شعر الذين في داخل البلد من جيش الدرعية انسحبوا منها فدخلها زيد بقواته واضطر الامير عبد العزيز على الانسحاب من الدلم .

وفي اثناء عودة الأمير عبد العزيز الى الدرعية هاجم في طريقه بعض قرى الدلم منها نعجان ونبقان، وقتل عدة رجال واستولى على بعض الأموال والمواشي .

بعد هذا ركن زيد بن زامل للهدوء واستمر على هدوئه سنتين فتوقفت الدرعية عن مهاجمته الى ان وافتها في اواخر عام ١١٩٤ ﻫ ١٧٨٠ م اخبار مريبة حول موقف صاحب الدلم فارسلت حملة استطلاعية الى الدلم لتكشف هذه الاخبار . وعندما تحقق لها صحتها ارسلت حملة اخرى في عام ١١٩٥ ﻫ ١٧٨١ م قادها الأمير سعود فنازلت اهل الدلم وحاصرت المدينة وقطعت نخيل ابن عشيان المسمى «خضرا» البالغ عدده نحو الف نخلة وقتل من الأهالي عدة رجال .

تشييد حصن البدع

ثم ترك الأمير سعود محاصرة الدلم وتوجه بجيشه الى السلمية وأمر بتشييد حصن كبير بالقرب منها سُمّي حصن « البدع » وترك فيه فرقة من الجيش اسند قيادتها الى محمد بن غشيان .

فعظم امر هذا الحصن على اهل الخرج واجمعوا امرهم على احتلاله ، فساروا اليه ليلاً لمهاجمته، فشعر بهم من كان في ذلك الحصن فقاوموهم وقتلوا منهم عدة رجال فولى الآخرون منهزمين .

وبعد هذا ارسل اهل الخرج وفداً لصاحب الاحساء سعدون بن عريعر يشكون مضايقتهم من هذا الحصن ويطلبون منه النجدة ، فسار سعدون بالجنود والمدافع ونازل اهل الحصن فلم يحصل على طائل وعاد الى بلده خائباً .

وفي هذه السنة سارت قوة صغيرة من الدرعية الى الدلم قادها الأمير عبد العزيز فهاجمت بعض قراها كبفجان والفريع ونتيقة وغيرها وعادت راجعة مكتفية بذلك .

مقتل زيد بن زامل

في عام ١١٩٧ هـ ١٧٨٣ م خرج زيد بن زامل على رأس مائتي رجل من قومه وهاجم قبيلة سبيع واستولى على كثير من ابلهم . وكانت الدرعية قد اوعزت الى سليمان بالخروج على رأس ثلاثين راكباً من قواتها لمحافظة أمن الطريق ، وكانت هذه القوة قريبة من قبيلة سبيع لما قام زيد بمهاجمتها ، فلما علمت بذلك طلبته فلحقته واشتبكت معه بقتال فاصيب زيد برمية طائشة اردته قتيلاً فهرب من كان معه بعد ان قتل منهم نحو عشرة رجال ، واسترجعت منهم الابل واعيدت لاصحابها .

براك بن زيد

مـن ١١٩٧ هـ ١٧٨٣ م الى ١١٩٩ هـ ١٧٨٥ م

خلف زيد على الامارة ابنه براك وسار براك على خطة أبيه العدائية نحو الدرعية والدعوة . واستمر في الحكم الى ان قتله ابنا عمه زامل وعبدالله ابنا محمد بن راشد الابرص وذلك عام ١١٩٩ هـ ١٧٨٥ م .

تركي بن زيد

تولى أمر الدلم بعد براك اخوه تركي عام ١١٩٩ هـ ١٧٨٥ م . وكان ضعيف الرأي سيء السيرة . فلم تشأ الدرعية ان تضيع هذه الفرصة فارسلت اواخر شهر ذي الحجة من هذا العام قوة كافية قادها الأميرسعود . فذكر له في اثناء الطريق ان قافلة من اهل الخرج والفرع وغيرهم ظاهرة من الاحساء. فرصد لها على (الثليما) الماء المعروف في الخرج واقبلت القافلة فكان عدد رجالها ثلاثمائة وهم على ظمإٍ وقدموا لهم رجالاً وركائب الى الماء ، فاغارت عليهم قوات الأمير سعود وقتلتهم . ثم اناخت القافلة فقاتلتها قوات الأمير سعود فقتل من رجال تلك القافلة قرابة تسعين رجلاً منهم زامل بن زيد وابن زيد الهزاني وسنان بن شاهين واستولوا على جميع اموال تلك القافلة . ثم توجه الأميرسعود الى الدلم وضرب عليها الحصار فوقع بينهم وبين أهلها قتال في النخيل ثم الجؤوهم الى دخول البلد وحصروهم فيه . وهاجم الأمير سعود البلد فأخذه عنوة وقتل أميره تركي وقتل معه عدة رجال . فاذعن لطاعة الدرعية جميع اهل الخرج واظهروا ايمانهم للدعوة . وعيّنت الدرعية سليمان بن عفيصان[1] اميراً عاماً للخرج .

---

(١) استمرت امارة سليمان بن عفيصان على الخرج الى عام ١٢٠٧ هـ ١٧٩٣ م ثم خلفه عليها ولده ابراهيم وبقي فيها الى عام ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م .

حائر سبيع

سيرت الدرعية جيشاً في عام ١١٨٤ هـ ١٧٧٠ م تولى قيادته الأمير عبد العزيز آل سعود فتوجه الى حائر سبيع وضرب عليها الحصار وقطع نخيلها ثم اذعن اهلها للطاعة واعلنوا ايمانهم للدعوة .

اليمامة

كانت الدرعية قد ارسلت قوة من مقاتلتها تحت قيادة الامير سعود لاخضاع اليمامة ، فضيق الأمير سعود الحصار عليها وارسل ثلة من جيشه فاستولت على السلمية . ووقع محمد البجادي وولده اسرى بيد الأمير سعود ، فخرجت نساء المدينة طالبات العفو والصفح من الأمير سعود فصفح عنهم ورفع الحصار عن اليمامة واطلق الاسرى واعاد آل بجاد الى امارتهم .

وفي عام ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م قدم صاحب اليمامة حسن البجادي الى الدرعية على رأس وفد من وجوه بلده واعلنوا طاعتهم وايمانهم بالدعوة ورجعوا الى بلدهم . وبعد مرور ايام قليلة على اعلان ايمانهم نكثوا العهد وارتدوا عن ايمانهم مسايرة لأهل الدلم عندما اعلنوا ثورتهم على الدرعية واشتركوا معهم في تلك الثورة واخرجوا منها ابن عفيصان ومن كان معه من المرابطة في الدلم .

وهاجمت في عام ١١٩٥ هـ ١٧٨١ م قوات من الدرعية مدينة اليمامة وهدمت بعض بروجها .

ثم عاودت الدرعية هجومها على اليمامة فقتل مرخان بن راشد البجادي احد رؤسائها .

وفي هذا العام ارسلت الدرعية جيشاً آخر الى اليمامة وسلّمت قيادته الى الأمير عبدالله بن محمد بن سعود فنازل اهل اليمامة ووقع بينهم قتال قتل فيه عشرون رجلاً من اهل اليمامة وهدمت بعض بروجها وقتل من جيش الدرعية عدة رجال.

وقبيل انتهاء هذا العام مات صاحب اليمامة حسن بن راشد البجادي وبموته اختفى عصيان اليمامة على الدرعية الى ان حلّ عام ١١٩٨ هـ ١٧٨٤ م حيث اشتركت اليمامة مع براك بن زامل صاحب الدلم عندما هاجم منفوحة . وكانت الدرعية في هذا العام قد وجهت جيشاً الى الاحساء بقيادة الأمير سعود . وعندما عاد هذا الجيش من الاحساء اتجه به الأمير سعود الى محاربة اليمامة . فلما قاربهـا وجد اهلها قد خرجوا جميعاً الى خارج المدينة للتفرج والنزهة فاغار عليهم فولوا منهزمين بعد ان قتل منهم اكثر من ثمانين رجلاً .

الضبيعة

أغارت في عام ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م سرية من جيش الدرعية تحت لـواء الأمير عبد العزيز على الضبيعة (احدى قرى الخرج) فقتل من اهلها اثني عشر رجلاً واستولى على بعض مواشيهم وقطع بعض نخيلهم .

الحوطة والجنّوبيّة

ارسلت الدرعية في عام ١١٩٤ هـ ١٧٨٠ م سرية قادها الأمير سعود الى الحوطة والجنوبية فقتل من اهلها خمسة عشر رجلاً وقُتل من رجال هذه السرية رجال منهم بطي المطيري .

ثم سيرت الدرعية في عام ١١٩٥ هـ ١٧٨١ م سرية اخرى اليها قادها الأمير عبد العزيز فهب اهلها لقتاله فقتل منهم خمسة عشر رجلاً وقطع بعض نخيلهم المعروف بـ «الرحيل» .

منطقـــة الحريق

كانت الرئاسة في المنطقة التي تدعى (الحريق) الى القواورة من سبيع وقد استخلصها منهم آل هزان المنتسبون الى الجلسة من قبيلة وائل وذلك عام ١٠٤٠ هـ ١٦٣٠ م .

واول من شيد مدينة الحريق هو رشيد بن مسعود بن سعيد بن فاضل الهزاني الجلاسي . وغرسها بالنخيل والاشجار . وفي عام ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م قدم على الدرعية اهالي منيخ ومحمد بن رشيد الهزاني صاحب حريق نعام واعلنوا انقيادهم للدرعية وايمانهم بالدعوة .

وادي الدواسر

يقع وادي الدواسر غربي الافلاج وهو آخر نجد من جهة الجنوب .

ومن اهم بلدانه : دام ومِشرف والسُليّل والفرعة .

وفي عام ١١٩٩هـ ١٧٨٥ م قدم ربيع وبدن ابنا زيد الدواسر رئيسا اهل بوادي الوادي ، ومعهما رجال من رؤساء قومهما الى الدرعية ، واعلنوا طاعتهم وآمنوا بالدعوة على يد صاحبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وفي عام ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م وفد الى الدرعية اهالي وادي الدواسر معلنين خضوعهم وايمانهم بعد محاولات ومعارك عديدة .

منطقـــة القصيم

القَصِيم بالفتح ثم الكسر على وزن فعيل ومعناه الرمل الذي ينبت الغضا وهو ضرب من الاثل ، والواحدة قصيمة .

وتقع القصيم جنوب جبل شمر وهي احدى مقاطعات نجد الشمالية الكبرى وتُعتبر من أغنى مقاطعات نجد واكثرها قرى وسكاناً . وكانت القصيم من اهم مراكز المقاومة للدعوة .

ومن اشهر مدنها بُرَيْدة وعنيزة والرس والهلالية والتنومة وغيرها .

مدينة بريدة

بُرَيْدة تصغير بُردَة وهو اسم لعين ماء تقع على الجانب الايسر من وادي الرمة ومعظم سكانها من بني تميم وهي على مسافة ثمانية عشر ميلاً من مدينة عنيزة .

كانت بريدة ماءً لآل هذال من قبيلة عنزة فاشتراها منهم عام ٩٥٨ هـ ١٥٥١ م راشد الدريبي العنقري التميمي من آل عليان وسكنها مع عشيرته من بني تميم وتوارثها اولاده واحفاده حتى عام ١٢٧٩ هـ ١٨٦٣ م .

حمود الدريبي

كان امير بريدة حمود الدريبي على نزاع مستمر مع امير عنيزة عبدالله ابن احمد بن زامل فعزم على مهاجمة مدينة عنيزة وطلب النجدة من الدرعية

فاغتنمت الدرعية هذه الفرصة للتدخل في شؤون القصيم فانجدت أمير بريدة بجيش ولت قيادته للأمير سعود بن عبد العزيز فعسكر هذا الجيش في « باب شارخ » في مدينة عنيزة فرجحت به كفة صاحب بريدة وانتصر على عدوه بعد ان قتل من اهل عنيزة ثمانية رجال منهم عبدالله بن حمد بن زامل وفقدت الدرعية من جيشها عدة رجال . ولم ينسّ حمود الدريبي للدرعية هذا الجميل فاعلن ولاءه لها في عام ١١٨٢ ﻫ ١٧٦٨ م ولم تدم مدة حكم حمود لبريدة بعد هذا الا قليلاً حتى وافته المنيّة في عام ١١٨٤ ﻫ ١٧٧٠ م .

راشد الدريبي

تولى بعده راشد الدريبي فتنكر هذا للدرعية وغير موقفه نحوها ، فثار عليه ابناء عمومته آل عليان واخرجوه من بريدة واعلنوا انضمامها الى الدرعية. وفي هذا العام عادت بريدة للعصيان فارسلت الدرعية جيشاً تحت قيادة الأمير سعود لتعيدها الى الطاعة ، واستعصى على جيش سعود دخول المدينة فضرب عليها الحصار وبنى بجوارها قاعدة عسكرية لمضايقتها وملأها بالمقاتلة واسند قيادة اولئك المقاتلة الى عبدالله بن حسن آل عليان ولم يطل الحصار حيث استسلمت المدينة وانقادت للدرعيــة وذلك عام ١١٨٩ ﻫ ١٧٧٥ م واسندت الدرعية الامارة في بريدة الى حجيلان بن حمد العليان .

وفي سنة ١١٩٦ ﻫ ١٧٨٢ م اجمع اهل القصيم على نقض عهدهم للدرعية واعلان الحرب عليها (ولم يُستثنَ منهم الا اهل بريدة والرس والتنومة) فقتلوا كل من كان ينتسب الى الدعوة عندهم وهم ناصر الشبيلي ومنصور ابو الخيل وثنيان ابو الخيل وعبدالله القاضي وغيرهم ثم ارسلوا الى سعدون بن عريعر يستنجدونه فاجابهم سعدون الى ذلك وجمع جموعه من بني خالــد واستنفر الظفير وبوادي شمر ومن حضر من بوادي عنزة وسار بهم الى القصيم . فاقبلت تلك الجموع وضربت على مدينة بريدة الحصار وكان المتولي الرئاسة

في بريدة حجيلان بن حمد من رؤساء آل ابي عليان . ودام الحصار لبريدة شهراً واحداً فبلغ اميرها حجيلان أن مفاوضات تدور بين اهالي بريدة وبين سعدون بن عريعر وعلى رأسهم احد اقاربه المدعو سليمان الحجيلاني ليسلموا له البلد، فأمر بضرب عنق سليمان. ولما قتل سليمان فسدت تلك المؤامرة وثبت اهل البلد مع حجيلان للدفاع عن بلدهم .

وبعد ان أقام سعدون على محاصرته البلد مدة اربعة اشهر كانت تدور خلالها بعض المعارك دون جدوى تحقق لسعدون ان لا فائدة تُرجى من وراء هذا الحصار فارتحل عن بريدة بقواته .

زحف ثويني بن عبدالله
على القصيم

في شهر محرم من عام ١٢٠١ هـ تشرين أول ١٧٨٦ م زحف أمير المنتفق ثويني بن عبدالله آل شبيب بجموع غفيرة من المنتفق واهل المجرة واهل الزبير وبوادي شمر وغالب طي ، ومعه من العدة ما يفوق الحصر ، يريد القصيم . فلما وصل التنومة نازله اهلها وحصرها اياماً وضربها بالمدافع ثم استولى عليها عنوة واستأصل اهلها قتلاً ونهباً ولم ينجُ منهم إلا الشريد وقد بلغ عدد من قتلهم من اهل التنومة مائة وسبعين رجلاً .

ثم ارتحل منها وقصد بريدة ونازلها وحصل بينهم قتال قُتل فيه عدة رجال من الطرفين . وبينما هو محاصرها بجنوده وردته الأخبار بوقوع بعض الخلل في اوطانه فارتحل عنها راجعاً .

مدينة عنيزة

عنيزة تصغير عنزة . وهي بلدة قديمة ذكرها امرؤ القيس في شعره ،

تقع على بعد ميلين من وادي الرمة وتبعد اثني عشر ميلاً عن بريدة .

كان موقف مدينة عنيزة للدرعية موقفاً عدائياً وكان المتزعم لذلك العداء عبدالله بن احمد بن زامل امير عنيزة . فاعدت الدرعية عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م حملة كبيرة لمناصرة بريدة وفتح القصيم واسندت قيادتها الى الأمير سعود بن عبدالعزيز فاشتبك مع قوات عنيزة التي كانت تهاجم بريدة وانتصر عليهاوقتل امير عنيزة عبدالله بن احمد بن زامل . وعادت قوات الدرعية بعد ان حققت ولاء مدينة عنيزة الى جانبها .

مدينة الهلالية

قاد الأمير عبد العزيز في عام ١١٨٣هـ ١٧٦٩م حملة كبيرة على القصيم فهاجم مدينة الهلالية واستولى عليها بعد معركة شديدة، فاقبل عليه فريق كبير من اهالي القصيم مظهرين طاعتهم ومعلنين انقيادهم للدعوة ، وكان من ضمن الخاضعين اهالي عنيزة . ثم واصل الأمير عبد العزيز سيره عائداً للدرعية .

وفي عام ١١٩٦ هـ ١٧٨١ م تزعمت مدينة عنيزة ثورة كبرى ضد الدرعية انجدها فيها صاحب الاحساء سعدون بن عريعر، ولكنها فشلت واضطرت عنيزة ان تحني رأسها من جديد وتعلن خضوعها .

عبد الله بن احمد الرشيد

وفي عام ١٢٠٠ هـ ١٧٨٥ م تولى عبدالله بن احمد الرشيد شؤون الحكم في عنيزة ولكنه قتل بعد حكم دام اقل من سنة فخلفه ابن اخيه يحيى بن علي .

محمد بن يحيى

وفي عام ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م قاد سعود بن عبد العزيز جيشاً من الدرعية واتجه به الى عنيزة ودار قتال معها قتل في اثنائه مصلط بن مطلق بن محمد الجرباء . واستولت قوات الدرعية على عنيزة واجلت منها رؤساءها آل رشيد وآل الجربة برئاسة مطلق بن محمد مع قبيلته الى العراق والشام. واسندت الدرعية الإمارة في عنيزة إلى محمد بن يحيى .

البيعة للأمير سعود
بولاية العهد

وبعد عودة الأمير سعود من عنيزة أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (بعد ان استشار الأمير عبد العزيز) جميع البلدان الخاضعة للدرعية باجراء البيعة للأمير سعود بن عبد العزيز بولايته العهد بعد ابيه فبايعه الجميع بذلك .

منطقة جبل شمر

جبل شمر او « جبل طي » يتكوّن من سلاسل الجبلين « اجا » و « سلمى » اللذين يمتدان من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . ويقع جبل اجا الى الشمال من جبل سلمى ومن اشهر مدنه حائل[1] وسميت بهذا الاسم لوقوعها بين بلاد نجد وملحقاتها الشمالية . وحائل مدينة قديمة ، كثيراً ما ورد اسمها على السنة الشعراء القدماء .

ومن مدنها قفار وهي ثاني مدينة تقع في الجنوب الغربي من حائل، وهي مدينة قديمة أيضاً .

ومن مدنها قنبد — والقنبد ورق الزعفران — وهي من المدن القديمة تقع بالقرب من جبل سلمى وعلى بعد خمسة واربعين ميلاً من حائل .

ومن مدنها ايضاً مدينة تيماء وهي بلدة صغيرة تقع في وسط واحة تيما، والبلدة عريقة ، توجد فيها آثار قديمة .

وقد اطلق هذا الاسم على الجبل نسبة الى قبيلة شمر التي تنحدر من طي من العرب القحطانية ، وتنقسم شمر الى عدة عشائر هي سنجارة والتومان واسلم والعبدة وغيرها .

---

(١)ومن معاني حائل اللغوية : الناقة التي لم تحمل عامها ذاك . ورجل حائل اللون اذا كان اسود متغيراً.

وكانت الرئاسة العامة لشمر في اسرة الجرباء من بطن سنجارة وقد اجلاهم الامير سعود بن عبد العزيز عن ديارهم عام١٢٠٥ه١٧٩٠م بعد ان نازلهم قرب مدينة حائل وقتل مصلط بن مطلق وسار مطلق من جبل شمر الى العراق وبر الشام ورافق احمد باشا الجزار الى الحج ثم اقام في بادية السمارة من العراق .

وقد خضع جبل شمر الى الدعوة واعلن انقياده الى الدرعية بعد حروب يسيرة وذلك عام ١٢٠٥ ه ١٧٩٠ م .

غزو القبائل البدوية

بالاضافة الى الحروب والغزوات التي كانت تدور رحاها في المدن والقرى الواقعة في مناطق نجد لغرض نشر الدعوة وتوطيد السلم قامت جيوش الدرعية ببعض الغزوات على القبائل البدوية الرحل لتحد من جماحها ودعوتها للدخول في الدعوة واستقرار الأمن . وسنطرق بايجاز لبغض تلك الغزوات مراعين مناطق السكن لتلك القبائل وتسلسل تواريخ الغزوات .

قبائل المنطقة الشمالية

قبيلة مطير

وجهت الدرعية في عام ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م الأمير عبدالله بن محمد بن سعود على رأس حملة لغزو قبيلة مطير . فاستعدت مطير لمقابلتها ، فاقتتلوا وخسرت جيوش الدرعية عدة رجال ، منهم دوخي الصبحي وابن ربيع .

وفي عام ١١٩٧ هـ ١٧٨٣ م سارت جيوش الدرعية بقيادة الأمير سعود قاصدة عشيرة الصهبة (العشيرة المعروفة في مطير) وهم على المزرع المعروف بالمستجدة ، فاشتبكوا بالقتال فكانت الدائرة على الصهبة وقُتل منهم عدة رجال من رؤسائهم وفرسانهم ، منهم دخيل‌الله بن جاسر الفغم ، وخلف الفغم . وأخذت ابلهم واغنامهم وعشرة من الخيل واموالاً اخرى كثيرة .

وفي عام ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م اصدرت الدرعية أمرها الى هادي بن قرملة (رئيس بوادي قحطان) بغزو قبيلة مطير . فالتقى بها هادي وهي على ماء يعرف بـ « الجنايح » واستولى على كثير من ابلها .

وبعد هذه الغزوة جهّزت الدرعية جيشاً كبيراً تحت قيادة الأمير سعود ووجهته لغزو قبائل مطير . وكانوا مقيمين على ماء يدعى (الشقرة) فقاتلهم وانتصر عليهم واستولى على الكثير من اموالهم كما استولى على ثمانية آلاف بعير واكثر من عشرين فرساً ، وقتل منهم عدة رجال ، وبعد هذا ركنت قبيلة مطير الى السكون .

غزوة الشقرة

سيرت الدرعية في عام ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م جيشاً كثيفاً اسندت قيادته الى الأمير سعود . وامرته بغزو شمر . وقد ذكر للأمير سعود أن قبائل كثيرة من مطير وحرب نازلة على الماء المعروف بالشقرة (قرب جبل شمر) فقصدهم واشتبك معهم في القتال فقتل منهم عدة رجال واستولى على اموالهم ، وكان عدد الابل فيها ثمانية آلاف بعير ، واكثر من عشرين فرساً ، واغناماً كثيرة . وبعد هذه المعارك انخفضت حدة مطير وركنت الى الهدوء .

قبيلة الظفير

سيرت الدرعية في عام ١١٨٤هـ ١٧٧٠م جيشاً آخر قاده الأمير عبد العزيز وقصد بوادي الظفير فحصل بينهم قتال وقتل منهم رجالاً واستولى على كثير من اغنامهم .

وفي عام ١١٨٥هـ ١٧٧١م سيرت الدرعية آخر جيشاً تولى قيادته الأمير عبد

العزيز ووجهته الى منيخ . فلما وصل هذا الجيش مدينة حريملا ذكر له ان آل ضاص رؤساء الظفير على رأس بعض قواتهم قادمين لغزو بعض المناطق وقد وصلوا الى محل يدعى غيانة (بين حريملا وسدوس) فكر راجعاً وقصدهم. فاشتبك معهم بقتال فقتل منهم عدة رجال منهم وهق بن فياض .

وسارت قبيلة سبيع في عام ١١٩٤هـ ١٧٨٠م بوحي من الدرعية وهاجمت قبيلة الظفير وهم على سفوان (الماء المعروف عند البصرة) فاخذت منهم ابلاً كثيرة يربي عددها على اربعة آلاف بعير .

وفي عام ١١٩٥ هـ ١٧٨١م اتفق رئيسان من رؤساء الظفير . هما محسن بن حلاف رئيس عشيرة السعيد ، ودهام أبو ذراع رئيس عشيرة الصمدة ، على القيام بشن غارة على بعض القبائل الموالية للدرعية ، فاستنفرا بقية رؤساء الظفير فاجتمع عليهم منها سبع عشائر فساروا جميعاً ونزلوا على مبايض (بقرب سدير) . فلما علمت الدرعية بذلك سيّرت اليهم جيشاً قليلاً تحت قيادة الأمير سعود . فلما اشرف الأمير سعود عليهم هاله كثرتهم فرجع بجيشه الى بلد «تمير» واستنفر اهالي سدير فخفوا لنصرته رجالاً وفرساناً فعاد الأمير سعود بتلك القوات الى قتالهم فدار بينهم قتال شديد كان النصر فيه الى جانب قوات الدرعية بعد ان قتل منهم عدة رجال منهم دهام ابوذراع ، وثواب بن حلاف . واستولت قوات الدرعية على جميع اموالهم فكانت من الأغنام سبعة عشر الفاً ومن الابل خمسة عشر الفاً ومن الخيل خمسة عشر فرساً .

وجهزت الدرعية في عام ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م قوات وارسلتها الى مقابلة الظفير وتولى قيادتها الأمير سعود . فاجتمعت تلك القوات بهم على قنا وقني (جبلان معروفان) فقتلت منهم عدة رجال . وبعد هذه الغزوات ركنت قبيلة الظفير الى الهدوء وضعفت شوكتها .

قبيلة شمر

اوعزت الدرعية في عام ١١٩٩ هـ ١٧٨٥ م الى حجيلان بن احمد امير القصيم للقيام بغزو قبيلة شمر، فوافق وهو في غزوته قافلة لشمر معها كثير من الالبسة والأمتعة وغيرها . فقاتل تلك القافلة وقتل منهم عدة رجال واستولى على ما كان معها من الأموال .

لما عاد ثويني في عام ١٢٠١ هـ ١٧٨٧ م من محاصرة القصيم اوعزت الدرعية الى حجيلان بن حمد بالذهاب لغزو بعض قبائل شمر التي كانت تتمايل الى جانب ثويني حين حصاره القصيم . فسار اليهم حجيلان واشتبك معهم بقتال قتل خلاله ما يقارب المائة رجل واستولى على الكثير من اموالهم .

قبيلة المنتفق

سيّرت الدرعية في عام ١٢٠٣ هـ ١٧٨٩ م الأمير سعود على رأس جيش وأمرته بمهاجمة قبيلة المنتفق فادركهم بالموضع المعروف بالروضتين (بين المطلاع وسفوان) فقاتلهم واستولى على كثير من اموالهم . ثم رجع وورد الماء المعروف بـ « الوفرة » ثم رحل منها فالتقى بغزو لآل سحبان ، من بني خالد . فقاتلهم وقتل منهم تسعين رجلاً .

المنطقـــة الشرقيـــة

قبيلة آل مرة

جهزت الدرعية في عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م قوة تولى قيادتها الأمير سعود وسيرتها لغزو قبيلة آل مرة فادركتهم الامير سعود وهم على الماء المعروف « قنا وقنى » . فلما التحمت معهم قوات الدرعية بالقتال هب لنصرتهم من كان يجاور من الاعراب فكانت الدائرة على قوة الدرعية فقتل منها نحو عشرة رجال منهم ناصر بن عثمان بن معمر ، وعلي القصام ، وفوزان بن ناصر المدلجي .

وقعة مخيريق

ولما حلّ عام ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م سيرت الدرعية جيشاً قاده الأمير عبد العزيز واتجه به قاصداً آل مرة فاستولى على كثير من ابلهم . ولما شعرت القبائل المجاورة لآل مرة اجتمعوا عليه فرساناً وركباناً فاضطُر جيش الدرعية الى الانسحاب واللجوء الى عقبة في جبل تسمى « مخيريق الصفــا » فوقع في تلك العقبة كثير من ركائب جيش الدرعية . فهاجمهم العدو وقُتل منه ستون رجلاً ، منهم عبدالله بن حسن امير القصيم ، وهذلول بن نصر .

قبيلة العجمان

سار في عام ١١٨٦ هـ ١٧٧٣ م جيش من الدرعية قاده الأمير عبد العزيز وقصد آل حبيش من قبيلة العجمان وقتل منهم عدة رجال واستولى على كثير من الأموال .

المنطقة الغربية

قبيلة سبيع

عند حلول عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨م تركت الدرعية قوة بقيادة الأمير عبد العزيز وتوجهت لغزو قبيلة سبيع وهم على الماء المعروف بـ «حائر سبيع» فاستولت على كثير من اموالهم وانعامهم .

المنطقة الجنوبية

اليمن

سار الأمير عبد العزيز في عام ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م على رأس قوة من الدرعية وقصد بعض قبائل اليمن وهم على الماء المعروف بالمربع (قرب نفوذ السر) واستولى على بعض اموالهم .

قبيلة قحطان

في عام ١١٩٩ هـ ١٧٨٤ م سيرت الدرعية قوة تولى قيادتها الأمير سعود وامرتها بغزو قبيلة قحطان، فاشتبكت تلك القوة مع قحطان بقتال خسرت فيه قحطان الكثير من رجالها ومن اموالها .

عودة الى جبهات القتال الكبرى

في اواخر عصر الأمير محمد بن سعود كانت الدرعية تخوض معارك كبرى في ثلاث جبهات مهمة هي جبهة صاحب نجران، وصاحب الرياض، وصاحب الاحساء ، بالاضافة الى الجبهات الأخرى الصغيرة في داخلية نجد .

وقد استطاعت التخلص من جبهتي صاحبي نجران والرياض بعد ان عقدت صلحاً معهما فخففت عن كاهلها اثقالاً كبيرة ولم يبق امامها الا جبهة صاحب الاحساء .

ولما آل الأمر الى الأمير عبد العزيز هبت الفتن من رقدتها ضد الدرعية مرة اخرى ، فنقض صاحب الرياض عهده واشتد عزم صاحب الاحساء ، وبالاضافة الى ذلك فقد انفتحت للدرعية جبهتان اخريان هما جبهة الحجاز وجبهة العراق . وسنتعرض لذكر هذه الجبهات بايجاز .

جبهة الرياض

لما توفي الأمير محمد بن سعود نقض دهام بن دواس صاحب الرياض عهد الصلح مع الدرعية وثار عليها واعلن الحرب .

وفي عام ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م سار دهام بن دواس ، وزيد بن زامل صاحب الدلم ، قاصدين منفوحة . فلما وصلا الى الصبيخات (نخل معروف في منفوحة) وجدا بعض الحيوانات من الابل والحمير المعدّة لسحب الماء من الآبار واستولوا عليها. فخرج عليهم اهل منفوحة ودار بينهم قتال قُتل فيه من الطرفين نحو

عشرة رجال . عند ذاك لم يبق للدرعية مناص من زجر المعتدين فسيرت جيشاً الى الرياض بقيادة الأمير عبد العزيز وقد ضبط هذا الجيش بعض بروج الرياض الحربية فاستنفر دهام بن دواس قبيلة سبيع فهبت لنصرته ودار قتال قُتل فيه من جيش الدرعية عدة رجال .

فلما بلغ الدرعية هذا الخبر سيرت جيشاً آخر اسندت قيادته الى الأمير عبدالله ابن محمد بن سعود وامرته بمهاجمة قبيلة سبيع قصاصاً لما قامت به، فقصد الأمير عبد الله بجيشه العرمة وكان فيها عشائر كثيرة من سبيع ، منهم آل شلبة ، فهاجمهم واستولى على كثير من اموالهم ومواشيهم .

وقعة العدوة

وفي اواسط هذا العام عزم ستون رجلاً من اهالي الدرعية على غزو الرياض، فبلغت اخبارهم الى دهام فخرج عليهم من الرياض بخيله ورجاله وقتل منهم عدة رجال . فارسلت الدرعية قوة للرياض بقيادة الأمير عبد العزيز لتثــأر لأولئك القتلى فقتل من اهل الرياض ستة رجال .

ثم ترك الأمير عبد العزيز الرياض وتوجه الى ثرمداء، ولما عزم على العودة من ثرمداء صادف في طريقه بعض قوات دهام بن دواس فقاتلهم وقتل منهم حسين بن قار المعلومي وذلك عام ١١٨٠ ه‍ ١٧٦٦ م .

وفي شهر شوال من هذا العام (أيار ١٧٦٦ م) قامت الدرعية بغزوة على الرياض قادها الأمير عبد العزيز فقتل من اهل الرياض اربعة رجال وقتل من جيش الدرعية مرشد بن حصين .

وفي عام ١١٨١ه‍ ١٧٦٧ م غزا الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود الرياض ونزل « المشيقيق » وقتل من اهل الرياض ستة رجال منهم ناصر بن عبدالله ومحمد ابن حسن .

وقعة باب الثميري

ثم واصلت الدرعية غزوها للرياض بقوة ارسلتها مع الأمير عبد العزيز ، فدخلت هذه القوة الرياض من باب الثميري وقاتلت اهاليها فقتل منهم خمسة رجال واربعة من الخيل وخسرت الدرعية من قوتها عشرة رجال منهم مبارك بن سبيت ، وزيد بن سعيد . وابن رشيدان .

ولما حلّ عام ١١٨٣ هـ ١٧٦٩ م سيرت الدرعية جيشاً الى الرياض وعلى رأسه الأمير عبد العزيز فصادف فرساناً لدهام بن دواس قد اخذوا ابلاً من بوادي سبيع فوقع بينهم قتال قُتل من قوم دهام اربعة رجال منهم مطرود الفريد ، وابن المرابع . وقُتل من جيش الدرعية عدة رجال بعد ان استولوا على تلك الابل .

وسيرت الدرعية في عام ١١٨٥ هـ ١٧٧١ م جيشاً صغيراً على الرياض تولى قيادته الأمير عبد العزيز فوقع بينه وبين اهلها قتال قتل فيه منهم ستة رجال منهم عقيل بن زيد .

مقتل
دواس وسعدون ولدي دهام

ثم جهزت الدرعية في هذا العام جيشاً كبيراً بقيادة الأمير عبد العزيز لقتال صاحب الرياض ، فلما بلغ هذا الجيش بلدة عرقة (الواقعة اسفل الرياض) التقى بدواس بن دهام على رأس قوة من الرياض كان قد قصد بها غزو عرقة . فلما ابصر رجال الرياض قوات الدرعية الزاحفة لاذوا بالفرار فحث جيش الدرعية السير في اثرهم فعثرت فرس دواس بن دهام في « صفاة الظهرة » التي بين عرقة والغوارة . فامسكه جيش الدرعية وقادوه الى الأمير عبد العزيز مع اناس آخرين من جيش منهم سعدون بن دهام . فأمر الامير عبد العزيز بقتل

دواس وسعدون ولدي دهام صاحب الرياض . وقتل معهم نحو عشرين رجلاً .

ثم عاودت الدرعية الكرة بعد هذه الحادثة بأيام وهاجمت الرياض وقتلت من اهلها عدة رجال . وكرت ثانية على الرياض فقتلت من اهلها عدداً آخر .

وواصلت الدرعية في عام ١١٨٦ هـ ١٧٧٢ م غزوها للرياض فارسلت جيشاً قاده الأمير عبد العزيز فقتل من أهلها سبعة رجال ، منهم مرخان بن فريان ، وعبدالله الساري ، واستولى على كثير من اغنامهم ومواشيهم .

ثم عاودت الدرعية ارسال قوة الى مهاجمة الرياض بزعامة الأمير عبد العزيز ، فدار قتال قُتل فيه من أهل الرياض رجال ، منهم مرزوق المطيري ، ومحمد ابن فايز . وقُتل من جيش الدرعية علي بن محمد أمير ضرمى .

انسحاب
صاحب الرياض من الميدان

وفي شهر صفر عام ١١٨٧ هـ نيسان ١٧٧٣ م صممت الدرعية على القيام بعمل حاسم مع صاحب الرياض فهيأت قوات كافية ارصدتها لهذا العمل ثم أمرتها بالسير الى الرياض وتولى قيادتها الأمير عبد العزيز فنازل أهل الرياض بقتال مرير دام عدة ايام استولى خلالها على بعض بروج المدينة وحصونها وهدم حصن المرقب ، وقتل من اهلها رجالاً كثيرين ، وخسرت الدرعية من جيشها اثني عشر رجلاً ، منهم عقيل بن نصير ، وابن خفيقان .

وفي منتصف شهر ربيع الثاني من هذا العام (٢٦ حزيران ١٧٧٤ م) خرجت قوات كبيرة من الدرعية وعلى رأسها الأمير عبد العزيز وكانت مصممة على فتح الرياض مهما كلفها الأمر من التضحيات .

فلما بلغ دهام بن دواس خبر مسير هذا الجيش اللهام فتّ في عضده وتحقق لديه عدم طاقته على القتال حتى ولا الصمود في وجه تلك القوات الزاحفة ،

فقرر ترك الرياض باهله وعياله وامواله . ولما خرج من قصره اجتمع عليه اهل الرياض ليستوضحوا منه الأمر فالقى عليهم الكلمة الآتية :

« يا أهل الرياض كلكم يعلم بأني خضت معارك كثيرة لسنين كثيرة مع ابن سعود . وأما الآن فقد سئمت الحروب وتركت له البلد فمن اراد منكم مرافقتي فليفعل ومن شاء البقاء في المدينة فليبقَ » . فخرج دهام من الرياض وخرج معه الرجال والنساء والأطفال مذعورين دون ان يتزودوا بالماء والطعام، وقصد دهام حليفه زيد بن زامل في الخرج .

ولما بلغ الأمير عبد العزيز خبر ترك دهام للرياض كان قد وصل بقواته قرب بلدة عرقة فجد السير الى الرياض ، ولما دخلها وجدها خالية من السكان الا القليل من المتخلفين . فاستولى على ما كان فيها من الأموال والمتاع والسلاح ، وأقام حراساً على البيوت الخالية . ودخلت الرياض في نطاق الدعوة وخضعت للدرعية فعينت عليها عبدالله بن مقرن بن محمد بن مقرن اميراً من قبلها .

ثم لاحقت جيوش الدرعية دهام بن دواس الى الخرج واشتبكت مع اهالي الخرج بمعركة صرع خلالها دهام بن دواس ولاقى حتفه بعد ذاك النضال الطويل المرير .

اعتزال الشيخ امور السياسة

بعد ان تم فتح الرياض تحقق للشيخ محمد بن عبد الوهاب ان الأمور قد استتبت في نجد ودخلت البلاد في حظيرة الايمان وانقاد للدرعية كل صعب وتأمّنت السبل للدعوة ولم يبق ما يخشى منه الخطر وان المهمة التي اختاره الله لها قد انتهت وكملت وقد امسى لنجد مجتمع جديد قوامه التقوى والايمان . وكان الشيخ يومئذ قد نيّف على السبعين فقرر اعتزال امور الدنيا والسياسة والتزام بيته واحالة الشؤون كلها وامامة المسلمين الى عهدة الأمير عبد العزيز لينصرف هو الى العبادة والتعليم . وكتب اليه كتاباً يهنئه بالفتح ويبارك له فيه ، هذا بعض ما جاء فيه :

« احب لك ما احب لنفسي ، وقد اراك الله في عدوك ما لم تؤمل . فالذي اراه ان تكثّر من قول الحسن البصري ، وكان اذا ابتدأ حديثه يقول : « اللهم لك الحمد بما خلقتنا ، وهديتنا ، وفرجت عنا ، لك الحمد بالاسلام ، والقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال ، والمعافاة . كبتّ عدونا . وبسطت رزقنا ، واظهرت امننا ، واحسنت معافاتنا ، وفي كل ما سألناك ربي اعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك ، حمداً كثيراً طيباً حتى ترضى ، ولك الحمد اذا رضيت » .

فاثبت الشيخ بذلك ترفعه عن المطامع ، وأقام الدليل على أنه كان مخلصاً في دعوته ، وعالماً صادقاً زاهداً لا يريد سوى وجه الله ربه وانقاذ امته وتحريرها من ربقة الجهل والضلال . فلما حصل كل ذلك اعتزل وانصرف لعبادة ربه والزهد والورع وتعليم العلم حتى آخر نسمة من حياته .

ومع ذلك فلم يكن الأمير عبد العزيز يستغني عن استشارته في الأمور المهمة ولا يقطع أمراً دونه ولا ينفذ شيئاً الا بإذنه .

جبهة الاحساء

عريعر بن دجين

بعد ان فشل صاحب الاحساء في حصاره للدرعية عام ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م ذلك الفشل غير المنتظر لم يحاول معاودة حرب الدرعية مرة ثانية وركن الى الهدوء والسكون .

ولما اعلنت بريدة طاعتها للدرعية عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م ثارت كوامن الحسد لدى عريعر وتهيّأ للحرب مع الدرعية مرة ثانية واخذ يعدّ العدة لذلك . وفي غرة شهر ربيع الأول عام ١١٨٨ هـ ١٢ أيار ١٧٧٤ م سار على رأس قوة كبيرة وقصد القصيم ، وحاصر مدينة بريدة ، ثم دخلها واستولى على ما فيها من الأموال . ثم ارتحل عنها ونزل « الخابية » الواقعة قرب بلد « نبيقة » مع جميع قواته فكاتبه اناس من بلدان نجد بالطاعة واظهار الاستعداد لنصرته. فاستعد للمسير لمهاجمة الدرعية وغيرها من البلدان التابعة للدعوة ، ولكن المنيّة عاجلته قبل ان ينفذ هذه الخطة ، وذلك في آخر شهر ربيع الأول من هذا العام (عاشر حزيران) قبل ان يرتحل .

بطين بن عريعر

من ربيع الأول ١١٨٨ هـ ١٠ حزيران ١٧٧٤ م
الى رمضان ١١٨٨ هـ تشرين الثاني ١٧٧٤ م

لما مات عريعر كان ابنه بطين يرافقه في حملة فتولى الحكم من بعده وفرق اموالاً كثيرة في الجيش حتى يصفو له الامر ويسير على الخطة التي نواها ابوه. ولكن قوات

من الوشم كان يقودها محمد بن جماز أمير شقرا فاجأته واشتبكت معه بقتال وهو في « النبقية » قتل فيه الكثير من أهل الوشم . وبعد هذا لم يصفُ الجيش لبطين فاضطرّ للعودة الى الاحساء .

وكان بطين سيء السيرة ، قاصر التدبير ، مهملاً لأمور رعاياه ، جاهلاً ، متمادياً في جهله ، مستبداً في احكامه ، فلم يرحّب برئاسته أهالي الاحساء . وبعد ستة اشهر من توليه الحكم دخل عليه اخواه دجين وسعدون وخنقاه في بيته .

دجين بن عريعر

تولى الأمر في الاحساء ، بعد مقتل بطين ، أخوه دجين . غير ان ايامه في الحكم لم تدم طويلاً . فقد سقاه أخوه سعدون سماً فمات من تأثيره بعد توليه الحكم بأيام قليلة .

سعدون بن عريعر

من ١١٨٩ هـ ١٧٧٩ م الى ١٢٠٠ هـ ١٧٨٦ م

بعد دجين ترأس على الاحساء أخوه سعدون وكانت الأمور في الاحساء مضطربة والفتن متأججة بين الناس وقد اختلف معه اخواه دويحس ومحمد وخالهم عبد المحسن بن سرداح فالتجأوا الى ثويني شيخ المنتفق . وفي عهد سعدون قويت شوكـــة الدرعية فسلك معها سياسة عدائية ظاهرة وأيد أعداءها وسار بنفسه لنجدتهم فانجد « حرمة » في عام ١١٩٢ هـ ١٧٧٨ م وناصر الدلم في ثورتها في عامي ١١٩٥هـ ١٧٨١ م و١١٩٦ هـ ١٧٨٢ م .

ان تكرر هذه الأعمال العدائية من سعدون حفز الدرعية على القيام بعمل يكون زاجراً له ويضع حداً لتصرفاته في نجد . فسيرت في عام ١١٩٨ هـ ١٧٨٤ م

جيشاً الى الاحساء اسندت قيادته الىالامير سعود بن الأمير عبد العزيز ، فهاجم هذا الجيش قرية « العيون » واستولى على ما ظفر به من المواشي ، ودار بينهم قتال قُتل خلاله من جيش الدرعية عدة رجال ،منهم ناصربن عبدالله بن لعبون . ثم عاد هذا الجيش الى الدرعية دون ان يحقق فوزا مبيناً .

الثورة على سعدون
ووقعة جضعة

كانت العادت الجارية عند امراء بني خالد في الاحساء انهم يخرجون في فصل الشتاء الى البرية يؤدبون على من يخرج عن طاعتهم من القبائل البدوية المخلة بالأمن . فخرج سعدون في عام ١١٩٩ هـ ١٧٨٥ م على جاري العادة وقد اظهر اهل الاحساء العصيان عليه . فلما علم سعدون بذلك جمع جموعه وعاد الى الاحساء ولما اقترب منها خرج اهل الاحساء لمحاربته ولكنهم تخاذلوا وبادر بعضهم لاخذ الأمان لنفسه. فلما اشتبك الباقون مع سعدون بالقتال عمهم الفشل وانهزموا وقُتل منهم في المعركة عشرون رجلاً . ودخل سعدون البلد ، وقتل عدة رجال من رؤسائهم . فاستغل أخوه دويحس هذه الفرصة وخرج عن طاعة أخيه سعدون وانضم اليه عبد المحسن بن سرداح بن عبيدالله بن براك ابن غرير[1] وتبعهم المشاهير وآل صبيح واستنجدوا بثويني بن عبدالله رئيس بني المنتفق . فجمع سعدون جموعه والتقى الجمعان ودارت بينهم معارك دامت عدة أيام قُتل فيها كثير من الطرفين . ثم وقعت الهزيمة على سعدون واستولى دويحس على معسكره وفر سعدون والتجأ الى الدرعية فاكرمته واعطته عطاء جزيلاً ، وتُسمّى هذه الوقعة بـ (وقعة جضعة) .

---

(١) من آل حميد .

دويحس بن عريعر

من ١٢٠٠ هـ ١٧٨٦ م   الى ١٢٠٤ هـ ١٧٩٠ م

بعد انهزام سعدون تولى الأمر في الاحساء أخوه دويحس بن عريعر واشرك معه في الحكم خاله عبد المحسن بن سرداح . فارادت الدرعية ان تمهد الأمر لاعادة سعدون الى الاحساء فارسلت حملة بقيادة سليمان بن عفيصان لغزو الاحساء وأمرته أن يصل بحملته هذه الى شواطىء الخليج . فسار سليمان بن عفيصان باهل الخرج فغزا قرية «الجشة» وقتل منها رجالاً ، ثم تركها وتوجه الى ميناء العقير واستولى على ما فيه من الأموال ، وعاد راجعاً الى مقرّه .

وعلى اثر عودة سليمان جهزت الدرعية حملة اخرى على الاحساء اسندت قيادتها الى الأمير سعود بن عبد العزيز الذي ، فهاجم الامير سعود بلدة المبرز ثم تركها وسار الى قرية الفضول فظفر بها وقتل من اهلهــا ثلاثمائة رجل واستولى على ما فيها من الأموال ، وعاد راجعاً الى الدرعية بما غنمه من الأموال فوجد سعدون بن عريعر قد مات .

نهاية حكم آل حميد

سيرت الدرعية في سنة ١٢٠٤ هـ ١٧٩٠ م جيشاً بقيادة الأمير سعود على الاحساء ، وكان معه زيد بن عريعر ، فاشتبك هذا الجيش بقوات الاحساء بمعركة حامية في محل يدعى « غريميل »[١] دامت ثلاثة ايام واسفرت النتيجة عن اندحار جيش الاحساء بعد ان قُتل منهم اناس كثيرون وغنمت جيوش الدرعية جميع ما كان معهم من الأموال والأسلحة وهرب دويحس وخاله عبد المحسن الى العراق والتجأ الى امير المنتفق وسُمّيت هذه المعركة معركة « غريميل » وكانت هي الخاتمة لحكم آل حميد على الاحساء .

---

(١) غريميل جبل بقربه ماء يقع في الاحساء وهو معروف بهذا الاسم حتى الآن .

الأحساء تحت ظل الدرعية

زيد بن عريعر

من ١٢٠٤ هـ ١٧٩٠ م الى ١٢٠٧ هـ ١٧٩٣ م

عندما انتهى حكم آل حميد على الاحساء وخضعت للدرعية عينت عليها زيد بن عريعر .

احتلال القطيف

وفي عام ١٢٠٦ هـ ١٧٩٢ م سيرت الدرعية حملة تحت قيادة الأمير سعود الى بلـد القطيف فحاصر « سيهات » ثم دخلها عنوة واستولى عـلى ما كان فيها من الأموال وقتل جماعة منها ثم احتل القرية المسماة « عنك » وقتل من اهلها اربعمائة رجل واستولى على اموال عظيمة ثم عاد الى القطيف فصالحه اهلها على خمسمائة ليرة ذهباً .

مقتل عبد المحسن بن سرداح

اما زيد فبعد ان تولى امر الاحساء ارسل الى قريبه عبد المحسن بن سرداح وكان يومئذ في العراق يستهويه العودة الى الاحساء وانه سيوليه امر بني خالد، فلما عاد عبد المحسن القى زيد عليه القبض وقتله غدراً وذلك عام ١٢٠٦ هـ ١٧٩٢ م .

جبهة الحجـــاز

اطلق جغرافيو العرب اسم الحجاز على الجبال الحاجزة بين عالية نجد وبين ساحل البحر الأحمر المنخفض لأن تلك الجبال تحجز بين اليمن والشام وتمتد حتى سواحل عسير .

ولكن الحجاز في العرف السياسي يشمل السواحل المنخفضة أيضاً .

واشهر مدن الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع .

موقف حكام مكة
من الدعوة

كان اشراف مكة يحكمون الحجاز حكماً مطلقاً لا يزاحمهم عليه احد ، وان كانت السلطة الاسمية فيه للدولة العثمانية ولكنها سلطة لا اثر لها في حكم البلاد .

صلة حكام الحجاز بنجد

صلة حكام مكة بنجد صلة قديمة ، وروابطهما قوية ومتينة . والحدود بين القطرين لم تكن واضحة ولا مرسومة . وكان اشراف مكة يسيطرون على بوادي نجد المجاورة لهم ويجبون من قبائلها الزكاة ويتقبلون منهم الهدايا ويقومون بتأديب بعض المتمردين منهم ، كما شملت سيطرتهم السراة وبعض اجزاء من تهامة .

ولما اعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وبدأ ينتشر صداها في نجد أخذ اشراف مكة يتابعون سير تلك الدعوة باهتمام ولكنهم كانوا كبعض الناس في ذلك العهد لا يتوقعون لها نجاحاً فلزموا جانب الحياد منتظرين نتائج المعارضة للدعوة الدائرة في قلب نجد .

وعندما حل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية وآمن بدعوته الأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية واعلن نصرته لها ، ارتفعت رايات الجهاد لنشر الدعوة في داخل نجد وفي اطرافها ، واعلنت القبائل ايمانها بالدعوة وطاعتها للدرعية ، وطُهرت نجد من البدع وترسبات الخرافات التي علقت في الدين واقرها بعض المشايخ اجيالاً بعد اجيال لفرط طيبتهم ، وايدها البعض الآخر منهم لسذاجتهم ، واعتبروها من الأعمال الصالحة ، وتقبلوا تلك البدع واعتبروها بدعاً حسنة ، ولما هدمت في نجد القباب المقامة على القبور التي افتتن الناس بها وقدسوها وتضرعوا بها دون الله ، عندئذ تبدّل موقف اشراف مكة نحــو الدعوة ورهبوها لانهم وجدوها قد رفضت كل ما لا يعرفه السلف وخشوا على ما هو موجود في الحجاز من تلك المقامات والقباب القائمة على بعض القبور التي يقدسونها والتي كانت تدر عليهم موارد من الرزق لا تنضب تساق اليهم من حجاج المسلمين القادمين الى الحرمين من انحاء العالم الاسلامي .

فانضموا الى مواكب العدوان ضد الدرعية ومشوا في ركابها واعــلنوا حربهم للدعوة القائمة وقرروا القضاء عليها لاتقائها قبل ان تتسرب مبادئها الى الحجاز وتخرجهم منه .

واقرتهم الدولة العثمانية على هذا وشايعتهم لتستميل جمهرة علماء الدين ، وتكسب صفوف ملايين الأتباع الذين ورثوا هذه التقاليد ، ولتحول في الوقت نفسه دون تكتل القبائل في البلاد العربية حول دعوة موحدة تجمع صفوفهم خشية انتباههم للمطالبة باسترجاع الخلافة الاسلامية من يد تلك الدولــة الى العرب . وكانت الخلافة يومئذ هي الركن الاساسي لسيادة الدولة العثمانية

على الأقطار الاسلامية الخاضعة لها .

فأخذت الدولة العثمانية تعمل من وراء الستار لتغذية الحركات التي تدور بين اشراف مكة واقطاب الدعوة في الدرعية دون ان تزج بنفسها في قتال ظاهر مكشوف .

الشريف

مسعود بن سعيد

من ٧ رمضان ١١٤٦ هـ ٢٢ شباط ١٧٣٤ م الى ١١٦٥ هـ ١٧٥١ م

الشريف مسعود بن سعيد هو أول من تصدى بالعداء الواضح لمحاربة الدعوة ، واتهم المؤمنين بها بالمروق عن الدين الاسلامي . وعين دعاة ليندسوا بين الحجاج الذين يقصدون مكة من اطراف العالم الاسلامي ليهولوا عليهم في وصف الحالة في نجد ، فكانوا يبكون ويندبون اسفاً ما تقوم به الدعوة واصحابها من محاربة الاستغاثة بقبور الأولياء والصالحين وهدمها القباب المقامة على تلك القبور ، ويؤكدون لهم أن هدف تلك الدعوة الأساسي هو محاربة الدين الاسلامي والقضاء على من يهتدي بهديه وانها جاءت بدين وبنحلة جديدة لا صلة لها بالتعاليم الاسلامية .

ثم رفع الشريف مسعود في عام ١١٦٢ هـ ١٧٤٨ م تقارير الى الباب العالي في اسطنبول عن قيام هذه الدعوة يشرح له مدى الخطر الذي ينجم منها على مقام الخلافة الاسلامية ويطلب من دار الخلافة ان تشد ازره في مكافحتها وتطلق يده لمحاربة المؤمنين بها . فصدق الباب العالي مقاله وبارك خطواته .

وأول خطوة خطاها الشريف مسعود بعد هذا منعه اهالي نجد من دخول مكة لاداء فريضة الحج .

وعندما بلغ الدرعية اخبار هذه الخطوات العنيفة التي قام بها الشريف المذكور

ضدها أبت أن تستفزه ولم تقم بعمل يشمّ منه رائحة العدوان بل سعت سعياً حثيثاً للتفاهم مع أهل الحجاز وحكامه واقناعهم بحسن نيتها وصادق رغبتها في انشاء افضل العلاقات الودية معهم . وقد أرسلت وفداً الى مكة ليـدلي بالبراهين الصادقة لصحة الدعوة التي تدعو اليها ويوضح لهم الأغراض التي ترمي اليها والمبادىء المنبثقة منها ، ويذكر لهم النتائج الباهرة التي حققتها في خلال تلك السنوات القليلة حيث استطاعت انقاذ نجد من الجهالة التي كان يخب بها وانشأت فيه مجتمعاً جديداً يؤمن بالتوحيد ، ويتفانى في سبيل تعاليم الدين الاسلامي الصحيحة ، ويعمل لاعلاء كلمة « لا اله إلاّ الله » ويقتفي اثر السلف الصالح ، ويهتدي بهدي الرسول ﷺ وينبذ التواكل ويكفر بجميع البدع والزيغ والخرافات .

وكان وفدالدرعية يتكون من ثلاثين عالماً دينياً من علمائها لمناظرة علماء مكة حول مبادىء الدعوة ، فدارت مناظرات طويلة بين الطرفين شرح فيها وفد الدرعية مبادىء الدعوة واهدافها وادلى بالحجج القاطعة ، حتى أحجم علماء مكة عن الرد ونقض الادلة ، ولكنهم اصروا على عنادهم واصدروا فتوى كفروا بها صاحب الدعوة وعدوه مارقاً عن الدين . وصادق على تلك الفتوى قاضي الشرع في مكة . ونشرت بين الناس ليشهدوا بها .

اما الشريف مسعود فلم يكتفى بذلك بل اصدر أوامره باعتقال اولئك العلماء النجديين وزجهم في السجون حتى مات اكثرهم ولم يسمح لأهالي نجد بدخول مكة لاداء مناسكهم وتأدية فروضهم ، وقد استطاع من بقي من اولئك العلماء الفرار من سجن الشريف وعادوا الى الدرعية واخبروا الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود بذلك فكان لهذا اسوأ الأثر في نفوسهم .

ولم تكن الدرعية يومئذ تملك من القوة والسلاح ما يمكنها ان تثأر من الشريف مسعود فسكتت على مضض بعد ان ادركت ان القوم في مكة يضمرون لها الشر ويتربصون بها الدوائر .

الشريف

مساعد بن سعيد

من ١١٧٤ هـ ١٧٦٠ م الى ١١٨٤ هـ ١٧٧٠ م

بعد وفاة الشريف مسعود تولى الأمر في مكة اخوه الشريف مساعد. فقامت في ولايته الأولى ثورات اقصته عن الحكم فتولاه اخوه جعفر ثم تنازل جعفر عن الولاية لاخيه الشريف مساعد وذلك عام ١١٧٤ هـ ١٧٦٠ م .

ولما عاد الشريف مساعد للحكم مرة ثانية ارسلت الدرعية تطلب اليه السماح لأهالي نجد باداء فريضة الحج. فلم يأذن لهم وبقي الأمر على ذلك حتى توفي الشريف مساعد عام ١١٨٤ هـ ١٧٧٠ م .

الشريف

احمد بن سعيد

من ٢٣ جمادى الثانية ١١٨٤ هـ ١٣ ايلول ١٧٧٠ م الى ١١٨٦ هـ ١٧٧٢ م

بعد وفاة الشريف مساعد تولى الأمر في مكة اخوه عبدالله بن سعيد. ولكن حكمه لمكة لم يدم الا اياماً قليلة فتولى الأمر من بعده اخوه الشريف أحمد ثم نُحي عنها وتولى الأمر فيها الشريف عبدالله بن حسين في ١٨ ربيع الأول ١١٨٤ هـ ٢٠ حزيران ١٧٧٠ م ثم استعاد الشريف احمد بن سعيد الحكم من يده .

ولما عادت شرافة مكة الى الشريف أحمد بن سعيد مرة ثانية أراد هذا الشريف ان يحسّن علاقته بالدرعية ويكفّر عن اعمال اسلافه، فكتب كتاباً الى الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز آل سعود عام ١١٨٤ هـ ١٧٧٠ م يطلب

اليهما ان يرسلا اليه عالماً من علمائهم ليناظر علماء مكة ويبين لهم حقيقة الدعوة التي يدعون اليها ، فاوفدا اليه الشيخ عبد العزيز بن عبدالله الحصين وارسلا معه الى الشريف أحمد هدايا وتحفاً كثيرة وزوداه بكتاب جواباً لكتابه هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

«المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك ، حضرة الشريف أحمد ابن الشريف سعيد اعزه الله في الدارين ، وأعز به دين جده سيد الثقلين .

ان الكتاب لما وصل الى الخادم ، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن ،رفع يديه بالدعاء الى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ، ومن تبعها ، وعداوة من خرج عنها ،وهذا هو الواجب على ولاة الأمور .

ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر ، وهو واصلكم ، ويحضر في مجلس الشريف أعزّه الله تعالى هو وعلماء مكة ، فان اجتمعوا فالحمد لله على ذلك ، وان اختلفوا احضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة . والواجب على كل منا ومنهم ان يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله ، كما قال الله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ [1]) الى قوله تعالى : (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) .

فاذا كان الله سبحانه قد أخذ ميثاق الأنبياء ان ادركوا محمداً صلى الله عليه وسلم على الايمان به ونصرته ، فكيف بنا يا امته ؟ فلا بد من الايمان به ، ولا بد من نصرته ، لا يكفي احدهما عن الآخر . وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض به وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم . وغير ذلك يعلم الشريف أعزّه

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١ .

الله ان غلمانك من جملة الخدام ، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته » .

فلما وصل الشيخ عبد العزيز الحصين نزل على الشريف الملقب بالفعر . واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم يحيى بن صالح الحنفي وعبد الوهاب ابن حسن التركي (مفتي السلطان) وعبد الغني بن هلال وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها :

الأولى : ما نسب الى الدعوة الوهابية من التكفير بالعموم .

والثانية : هدم القباب التي على القبور .

والثالثة : انكار دعوة الصالحين للشفاعة .

فذكر لهم الشيخ عبد العزيز الحصين : ان نسبة التكفير بالعموم الى الدعوة الوهابية هو زور وبهتان . أما هدم القباب التي على القبور فهو من مبدإ الدعوة وهو حق وصواب وهو وارد في كثير من الكتب الدينية الاسلامية وليس لدى العلماء فيه شك .

وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل فقد نص عليه الأئمة العلماء وقرروا أنه من الشرك الذي فعله القدماء ولا يجادل في جوازه الا كل ملحد أو جاهل .

فاحضروا كتب الحنابلة فوجدوا أن الأمر على ما ذكره لهم فاعترفوا بصحة الدعوة التي يدعو اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانصرف عنهم الشيخ عبد العزيز مبجلاً معززاً[1] .

وتحسنت العلاقات في أيام الشريف أحمد بين الدرعية ومكة وازيحت

(١) توفي الشيخ عبد العزيز بن عبدالله الحصين في ١٢ رجب ١٢٣٧ م ٥ نيسان ١٨٢٢ م وكان تولى القضاء في ناحية الوشم في عصر الأمير عبد العزيز وابنه سعود وابنه عبدالله .

الدعاية الباطلة التي كانت تنشرها مكة ضد الدعوة وأهلها ومعتنقيها .

الشريف سرور بن مساعد

من يوم الجمعة ١٣ ذي القعدة ١١٨٦ هـ الى ١٨ ربيع الثاني ١٢٠٢

٦ شباط ١٧٧٣ ٢٦ كانون الثاني ١٧٨٧ م

ولكن حدث في مكة ما لم يكن في الحسبان . ففي عام ١١٨٦هـ ١٧٧٣م ثار آل مساعد على عمهم الشريف أحمد وازالوه عن كرسي الشرافة وانتقلت الشرافة الى أخيه الشريف سرور بن مساعد وكان هذا اصلب من أخيه عوداً وأميل الى الشدة والعنف فأمر بمنع أهالي نجد من دخول مكة لاداء فريضة الحج فاستأنفت الدرعية الاتصال به وكتبت اليه كتاباً وأرفقت كتابها بهدية من الابل والخيول وطلبت اليه السماح لأهل نجد بدخول مكة فاذن في عام ١١٩٧ هـ ١٧٨٣ م لثلاثمائة منهم .

ثم اشترط على الدرعية بأنه لـن يسمح لحجاج نجد بعد هذا العام الا أن يأخذ منهم ما يأخذ من حجاج الأعاجم من الضرائب والمكوس وان ترسل اليه الدرعية في كل عام مائة عدد من جياد الخيل (من خيول قبيلة العجمان)، وكانت القاعدة المتبعة قبل هذا أن يدخل أهل نجد الحجاز دون قيد ولا شرط، فرفضت الدرعية هذا الطلب لأنها كانت واثقة بأنها ستدخل الحجاز يوماً ما بقوة السيف .

الشريف غالب بن مساعد

من ٢٠ ربيع الثاني ١٢٠٢ هـ ٣٠ كانون الثاني ١٧٨٨ م

بعد سرور بن مساعد تولى زمام الحكم في مكة أخوه الشريف غالب،

فبذلت الدرعية المساعي لتحسين علاقتها معه وطلبت اليه السماح لأهل نجد بدخول مكة لاداء فريضة الحج واخبرته بان مكة طبقاً لأحكام الشرع بلد آمن يدخله كل مسلم دون قيد أو شرط أو استثناء . وان منع المسلمين عن اداء فريضة الحج دون سبب شرعي أمر غـــير جائز ولا يقره الدين . وكان الشريف غالب عندما تولى الحكم يمني نفسه بالاطاحة بالدرعية والقضاء على الدعوة ليوطد لنفسه مكاناً لدى الباب العالي . فرفض ما عرضته عليه الدرعية واصرّ على عدم السماح بدخول أهالي نجد إلى مكة وذلك عام ١٢٠٣ هـ ١٧٨٩م.

ولم يكتف الشريف غالب بهذا،ففي عام ١٢٠٥ هـ ١٧٩٠ م جهز حملة عسكرية اعدها من شراذم الأتراك والمغاربة والمصريين وبعض البـــدو بلغ مجموعها عشرة آلاف مقاتل وأسند قيادتها الى أخيه عبد العزيز ومعه كثير من أشراف مكة،وكانت هذه الحملة مزودة بالذخيرة والعتاد ومعها عشرون مدفعاً،وأمرها بالمسير الى نجد . فسار الشريف عبد العزيزكما أمروكان يستميل في طريقه القبائل الحجازية وقبائل شمر ومطير . فعسكر ذلك الجيش على اطراف نجد وطال مكوثه هناك دون ان يعمل شيئاً .

ثم جهز الشريف غالب جيشاً آخر قوامه بعض القبائل وخرج يقوده بنفسه في ٢٣ شعبان ١٢٠٥ هـ ٢٨ نيسان ١٧٩١ م ليلتحق بأخيه عبد العزيز ليتولى شخصياً قيادة الجيش،فالتحق بأخيه وساروا جميعاً الى « الشّعرْا » وحصروها ولم يفوزوا بطائل ، فتركوها وقصدوا « البرود » في اقليم السرّ وحاصروها فلم يدركوا منها المرام،وبعد هذا تسرب الملل الى قوات الشريف فتفرقت عنه القبائل فاضطر عندئذ الشريف غالب للعودة الى مكة لقرب أيام الحج،فعاد في اواخر شهر ذي القعدة الموافق شهر حزيران يجر اذيال الفشل .

وقعة العدوة

أما ما كان ن أمر قبائل مطير وشمر الذين تركوا الشريف غالب فقد تجمعوا على الماء المعروف بـ« العدوة » مقابل حائل .فادركت الدرعية ان لابد لها من القضاء على قوة هذه القبائل لتضعف أمل الشريف في الاعتماد على تلك القبائل. فسيرت جيشاً بقيادة الأمير سعود لقتالهم، فقصدهم الأمير سعود وهم على ذلك الماء واشتبك معهم بالقتال فانهزموا وقتل منهم عدة قتلى بينهم كثير من فرسانهم ورؤسائهم ، منهم مسعود الملقب «حصان ابليس » وسمرة رئيس العبيات من مطير . وقد استولى على الكثير من ابلهم وانعامهم وامتعتهم وكان ذلك في شهر ذي الحجة ١٢٠٥ هـ آب ١٧٩١ م .

مقتل مسلط بن مطلق الجربا

ولما حلت تلك الهزيمة المنكرة بهذه القبائل جمع الهاربون شتاتهم مرة ثانية واستنجدوا بالقبائل التي لم تكن قد اشتركت معهم في ذلك القتال فانجدتهم ، وكان في مقدمة تلك القبائل مسلط بن مطلق الجربا وكان اكثرهم حماسة لقتال الدرعية .

فارسلت هذه القبائل في عام ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م انذاراً الى الدرعية تهدد باعلان الحرب عليها ،فأوعزت الدرعية الى الأمير سعود ، الذي كان مرابطاً بقواته على ماء العدوة ولم يكن قد فارقها ، ان يكبح جماح تلك القبائل الثائرة . فسار اليهم الأمير سعود واشتبكت قواته معهم في القتال . فاثارت الحماسة هياج مسلط بن مطلق ونذر ان يهجم على خيمة الأمير سعود وهو على ظهر جواده، فاطلق لجواده ملء العنان وقصد خيمة الأمير سعود فحال حرس الأمير بينه وبينها وتصدى له احد رجال الحرس وضربه بسيفه فسقط عن ظهر

جواده الى الأرض ميتاً . وبعد مقتله انهزمت جموع تلك القبائل وتركت جميع اموالها غنيمة باردة لجيوش الدرعية .

كشفت هذه الحركات القناع للقبائل الحجازية ، المتاخمة لحدود نجد الغربية ، عن ضعف قوات الشريف غالب وفشل سياسته . فأخذ بعضها ينضم الى صفوف الدرعية ويعلن ايمانه بالدعوة،وكان في طليعة تلك القبائل المنضمة الى الدرعية قبيلة البقوم الساكنة في تربة وبيشة . فلما اتصلت اخبارها بالشريف غالب جهز جيشاً لقتالها واسند قيادته الى اخيه عبد العزيز ،فغادر هذا الجيش مكة في شهر ربيع الثاني ١٢٠٦ ﻫ تشرين الثاني ١٧٩١ م واصطدم مع بعض تلك القبائل،وبعد جهد كبير استطاع ان يعيد بعضاً منها الى طاعة الشريف غالب .

وقد اعادت قوات الشريف الكرة لمهاجمة تلك القبائل،فصمدت في وجهها وهزمت قوات الشريف هزيمة نكراء حتى وصلت فلولها الى مكة مذعورة خائفة .

اذعان الشريف غالب
للصلح

عندئذ جنح الشريف غالب للصلح وارسل كتاباً الى الدرعية يوجه فيه الدعوة الى الامام عبد العزيز وولده سعود واهله وعشيرته ومن يشاء من أهل نجد لزيارة الاماكن المقدسة واداء فريضة الحج،فاجيب طلبه وتوجه الامام عبد العزيز وولده سعود ، وعدد كبير من اهله وحاشيته ، ومن اهل نجد الذين اعتنقوا الدعوة ، الى مكة وهم يحملون معهم رسالة من الشيخ محمد بن

عبد الوهاب معنونة الى علماء مكة يوضح لهم فيها حقيقة الدعوة التي يدعو اليها وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

«من محمد بن عبد الوهاب الى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام نصر الله بهم سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتابعي الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فقد جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان في ارضنا على قبور الصالحين ، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين وأمرناهم باخلاص الدعاء لله . فلما اظهرنا هذه المسألة، مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور ، كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب ما تخفى على امثالكم ، اعظمها اتباع الهوى ، مع اسباب أخرى .

فاشاعوا عنا ، انا نسب الصالحين ، وانا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر الى الشرق والغرب ، وذكروا عنا اشياء يستحي العاقل من ذكرها .

وانا اخبركم بما نحن فيه ، بسبب ان مثلكم ما يروج عليه الكذب على الناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام ، فنحن ولله الحمد ، متبعون لا مبتدعون على مذهب الامام احمد بن حنبل .

وتعلمون، اعزكم الله ، ان المطاع في كثير من البلدان ، لا يتبين بالعمل لهاتين المسألتين ، انها تكبر على العامة الذين درجوا وآباءهم على ضد ذلك .

وانتم تعلمون — رحمكم الله — ان في ولاية الشريف احمد بن سعيد وصل اليكم الشيخ عبد العزيز بن عبدالله ، واشرفتم انتم على ما عندنا بعدما

احضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمدة ، كالتحفة والنهاية عند الشافعية .

فلما طلب منا الشريف غالب اعزه الله ونصره ، امتثلنا ، وهو اليكم واصل . فان كانت المسألة اجماعاً ، فلا كلام . وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم انه لا انكار في مسائل الاجتهاد ، فمن عمل من محل ولايته ، لا ينكر عليه .

وانا ، اشهد الله وملائكته ، واشهدكم ، اني على دين الله ورسوله ، واني متبع لأهل العلم » .

جبهـــة العراق

استهانت الدولة العثمانية في بادىء الأمر بالدعوة التي يدعو اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبالدولة السعودية الجديدة الناشئة في نجد عند ظهورها ولم تعرها اهتماماً بل اعتبرتها حركة داخلية بسيطة تدور في فلك محدود ولا تكاد تختلف في شيء عن المنازعات التي تتكرر بين القبائل في داخل الجزيرة العربية دون انقطاع . واكتفت باطلاق يد شرفاء مكة لقمع هذه الدعوة والقضاء على تلك الدولة .

ولكن شرفاء مكة خيبوا آمالها عندما مُنيت جيوشهم بالاندحارات المتوالية تجاه قوات الدرعية .

عندئذ خطت الدولة المذكورة خطوات أخرى كانت تظنها اشدّ وطأة واكثر نجاحاً للقضاء على الدرعية من جبهة الحجاز .

وكانت السلطة في جنوب العراق يومئذ في أيدي آل شبيب امراء المنتفق، وكان ثويني بن عبدالله آل شبيب هو المتولي لرئاسة المنتفق . وكانت الدولة العثمانية تسايره خشية انتقاضه عليها . وكان ثويني يتخوف من انتشار الدعوة في نجد ويخشى خطر توسعها . فاستمالته الدولة العثمانية الى جانبها وطوت كشحاً عن اظهار العداء له . ثم اثارت مخاوفه من توسع نفوذ الدرعية واظهرت استعدادها لمساعدته اذا ما قام بقمع تلك الدعوة وكفاها خطرها، وكان غرض الدولة من اثارة الصراع بين تينك القوتين العربيتين اضعافهما والتخلص منهما .

ولما شن ثويني حملته على القصيم وحاز بعض الانتصارات (كما ذكرناه

سابقاً) تبادر الى ذهن تلك الدولة ان الخطر الذي ستلاقيه بعد فوز ثويني سيكون اشدّ وطأة عليها من خطر الدرعية،فنقضت عهدها له وتآمرت مع ابن أخيه حمود بن ثامر آل شبيب وولته رئاسة المنتفق . فارتاب ثويني من هذه المؤامرة وانسحب بقواته عن القصيم وكر راجعاً للعراق . ولما دخل مدينة الزبير قدم متسلم البصرة (ابراهيم بك) للسلام عليه فالقى ثويني عليه القبض وأمر بسجنه ثم تقدم الى البصرة واستولى عليها ودعا أهاليها ان يكتبوا الى اسطنبول يطلبون منها الاعتراف بحكمه . وحمل كتابهم اليها مفتي البلد . ولكن اسطنبول أبت ذلك ورفضته . ثم أوعزت الى واليها على العراق سليمان باشا باسترجاع البصرة من يد ثويني . فسار الوالي المذكور من بغداد على رأس جيش كبير لهذا الغرض . ولما علم ثويني بمسيره جمع جنده وخرج لمقاتلة الوالي فالتقى الجيشان بادنى المجرة بقرب النهر المعروف بـ« الفاضلية » الذي يقع قرب مدينة سوق الشيوخ فكانت الدائرة على ثويني فانهزم شر هزيمة ولم يستقر الآ في الجهرة .

اقام ثويني في الجهرة مدة ثم ارتحل الى ديار بني خالد في الصمان . ولما شعرت الدرعية بمقدم ثويني الى ديار بني خالد خشيت وقوع الفتنة في منطقة الاحساء وغيرها فسيرت جيشاً تحت قيادة الأمير سعود الى ديار بني خالد في ارض الصمان ، فالتقى هذا الجيش بثويني ومعه بعض قومه من آل شبيب ، وكثير من قبائل المنتفق . فدار بين الطرفين القتال ولم يصمد ثويني وقواته امام قوات الدرعية فانسحب من امامها بعد ان ترك الكثير من امواله غنيمة باردة ، وتوجه الى سفوان واستقر فيها مع قواته .

ثم سار الأمير سعود وقصد بعض قبائل المنتفق فوجدهم في الروضتين (بين المطلاع وسفوان) فقاتلهم واستولى على اموالهم وعاد راجعاً .

بعد ان نال سليمان باشا النصر في حربه مع ثويني توجه الى البصرة واسند الأمر فيها الى مصطفى آغا وعين حمود الثامر أميراً على قبائل المنتفق .

ولما علم حمود الثامر بوصول ثويني الى سفوان جمع جموعه وسار بهم لقتاله فالتقى به عند جبل سنام في صفوان فالتحم القتال بينهما وكان النصر فيه لجانب حمود فانتهب خيام عمه ثويني واستولى على امواله وذلك عام ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م .

عندئذ ترك ثويني تلك الأطراف والتجأ الى الدورق (احدى مدن عربستان) مستجيراً بأمير بني كعب الشيخ غضبان بن محمد، فاكرم الشيخ غضبان مثواه وبقي ثويني هناك حتى هدأت الأحوال . ثم ترك الدورق واتجه الى الاحساء ليستنفر صاحبها زيد بن عريعر لمحاربة ابن اخيه حمود، فاعتذر زيد عن اجابة طلبه . فترك ثويني الاحساء وذهب الى الدرعية لاجئاً ومكث فيها بضعة اشهر .

استشف سليمان باشا والي العراق وجود ثويني في الدرعية وما يترتب على ذلك من النتائج اذا ما اجتمعت كلمة الدرعية مع ثويني ، فاشار الى بعض اخصائه ان يتصلوا بثويني وان ينصحوه ويحسنوا له طلب العفو من الدولة العثمانية واظهار الندم والعودة الى العراق . ففعل ثويني بهذه النصيحة فعفت عنه الدولة وقدم الى بغداد فشمله سليمان باشا برعاية خاصة ليدخره لحوادث المستقبل .

وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

في أول شهر شوال سنة ١٢٠٦ ﻫ ٢٥ آذار ١٧٩٢ م اصيب الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بمرض لم يمهله طويلاً حتى انتقل الى رحمة ربه في يوم الجمعة آخر شهر ذي القعدة من هذه السنة ٢٢ حزيران ١٧٩٢ .

ولما شاع خبر وفاته حزن الناس له حزناً شديداً وخصوصاً الامام عبد العزيز واخرجت جنازته الى المسجد الجامع فجاء الناس افواجاً افواجاً للصلاة عليه ودُفن في مقبرة في الدرعية معهودة لآل سعود من قبل وقبره فيها معروف الى اليوم .

اوصافه

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب جميل المنظر ، ربع القامة ، قوي البنية . وقد منحه الله تعالى جانباً عظيماً من الهيئة والوقار ما اتفق لغيره من العلماء والرؤساء حتى كانت طاعة اصحابه له كطاعة الصحابة لرسول الله ﷺ ينفذون اوامره وهو عندهم بمنزلة احد الأئمة الأربعة .

ايمانه وورعه

كان الشيخ محمد مؤمناً صادق الايمان ، شديده ، لا يتهاون فيه . وقد قال عن نفسه في بعض رسائله : « وانا امرؤ فيَّ بعضُ الحدّة ، وهي حدة لا تُبطل حقاً ، ولا تُثبت باطلاً . ولا تخرج بصاحبها عن الجادة » .

وكان ورعاً تقياً كثير الذكر لله . قلّماً يفتر لسانه عن قول : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله إلاّ الله ، والله اكبر » . وكان اذا جلس الناس في انتظاره يعلمون اقباله اليهم قبل ان يروه من كثرة تكرر لهجته بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير .

علمه ومعرفته

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب عالماً غزيز العلم ، فاضلاً ، مناضلاً ، شجاعاً بنضاله ، من طراز ابن تيمية ، وان كان لابن تيمية عليه فضل السبق ، وغزارة العلم ، وقوة اسلوب الكتابة ،ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان اجمع لصفات الزعامة ،لان ابن تيمية قد ظهر في الشام البلد المتحضر الغارق في النعم ، المملوء بعلماء الدين البارزين ، ومع ذلك فقد اخفق في ما دعا اليه وعرّض نفسه للخطر والسجن والقتل قبل ان يحقق شيئاً مما يدعو اليه في مدة حياته

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد ظهر في نجد البلاد التي كانت فيها البداوة متفشية ، وكانت الصعوبات جمّة لافهام اولئك الناس موءدّى الدعوة التي يدعو اليها،ولكن الشيخ محمد قد آتاه الله من صفات الزعامة وقوة الشخصية وحلاوة الحديث وقوة الحجة فوق ما أوتي ابن تيمية فانتصر الشيخ وراجت دعوته وانقذ اقطاراً كثيرة من هوة الهلاك .

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب محباً لابن تيمية، وما احبّ احداً من علماء الدين الذين سبقوه ، بعد الامام احمد بن حنبل ، كما احبّ ابن تيمية .

عبادته وتهجده لله

كانت حالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العبادة وفي الصلاة والصيام

مشهورة لا يزال القرآن سميره في دجى الظلام ، ودأبه احياء غالب الليـــل بالقيام متهجداً لله دؤوباً على المطالعة في كتب علوم الدين ، لا يصرفه عن ذلك شيء ولا يلهيه .

زهده وتقشفه

كان الشيخ محمد جامعاً للفضيلتين : الزهد في أمور الدنيا ، والبساطة والتقشف في المعيشة .

ولم يكن للمظاهر الخلابة مكان عنده ولم يحفل بكثير من الأمور التي يوليها الناس شطراً كبيراً من اهتمامهم .

ومع ما افاض الله على بيت المال من الأموال التي كانت تُجبىء اليه من جميع البلدان التابعة للدعوة ، ومع انه هو الذي كان يفرّقها على الأتباع ، فقد كان متعففاً لا يأكل منها الا بالمعروف .

عدله وتأنيه في الأحكام

كان رحمه الله عادلاً ، ومن دأبه التأنّي والتريّث في اصدار وتنفيذ الاحكام الشرعية ، لا يميله الهوى عن الحكم ، ولا تصدّه عداوة عن الحق ، بل كان يحكم بما ترجح له وجه الصواب فيه . فان وجد نصاً من كتاب الله او سنة نبيه (ص) التزمه ولم يعدل عنه ، والا رجع الى كُتُب الأئمة الأربعة وأخذ نفسه بدقة المراجعة والتحقيق للنص ، وشدة البحث والكشف والتنقيب .

رجـــاحة عقله

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب راجح العقل ، مدبراً للأمور بحكمة ، متأملاً في الأشياء بدقة ، عارفاً للكثير من العلوم . ولم يكن يضنّ بشيء من

علمه على احد . وكثيراً ما كان يخفض جناحه لطالب علم ، أو سائل ، أو ذي حاجة ، او مقتبس فائدة .

عفوه وحلمه

كان الشيخ كثير العفو ، حليماً ، رحيماً ، رقيق القلب ، نقي السريرة ، لا يحب سفك الدماء بل يترفّع عنه ويتجنبه . واكره ما لديه قتل النفوس .

وكان يسير دائماً سيرة الصفح والعفو . ولم يكن احب اليه من ان يأتيه احد بالمعذرة حتّى يبادره بالمغفرة . ولم يعامل احداً بالاساءة بعد ان غلب ، ولم ينتصر لنفسه اذا جاءه خصومه منقادين طوعاً او كرهاً بل كان يقابلهم بالبشاشة ويرحب بهم ويلاطفهم ويمنحهم برّه ومعروفه وكرمه وصفحه وعفوه . وكثيراً ما كان يتضرّع الى الله ان يشرح للحق والايمان صدور اعدائه وان يكفيه وقومه شرّهم .

شجاعته وصموده

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب على جانب من الشجاعة والصمود امام الشدائد ، صابراً محتسباً واثقاً بالله ، لا يهن ولا يجزع . وقد مكنته شجاعته من المثابرة على مجابهة المصاعب والصمود امام التيارات التي جابهته عند تصديه لنشر دعوته . لم يهدأ ولم يتزعزع ولم ينسحب حتّى تمكن من تغيير ما كان عليه أهل نجد من الضلال وجعلهم يقيمون الصلاة ساعة الدعوة اليها ويؤتون الزكاة عند استحقاقها ولا يُشاهَد فيها ، في رمضان ، ما يُشاهَد في البلدان الاسلامية الاخرى من الإهمال والتهاون في الصيام . وكانوا يحجون بقلوب لا متّسع فيها لغير الايمان بالله . وكل منهم عنده كفنه يحمله مع سلاحه اذا ما نودي الى الجهاد .

سياسته وتدبيره

كان الشيخ محمد سياسياً من الطراز الأول ، مدبراً للأمور ، يحسن اقناع محدثيه ويأسر قلوبهم بطلاوة بيانه وحلاوة لسانه . وقد مكنه دهاؤه وحكمة تدبيره من توطيد دعائم الدعوة التي دعا اليها وترسيخها في القلوب وتطهير الدين الاسلامي من البدع التي دخلت عليه خلال العصور الطويلة ، وكانت له قدرة عجيبة على استيعاب الأمور وتجربة مستنيرة يستعين بها على حلّ المشاكل المعضلة .

جوده وسخاؤه

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب جواداً سخياً لا يرد سائلاً ولا يخيب املاً .

وكان عطاؤه عطاء من يثق بالله ، ولا يخشى الفقر . فقد كان كثير العطايا بحيث كان يهب حقه من الزكاة والغنيمة في موضع واحد لا يقوم ومعه منه شيء .

وكان الشيخ يقوم باستقبال واكرام الوفود والضيوف الذين يؤمون الدرعية ، ويتحمل الانفاق عليهم من ماله الخاص . وقد يضطر احياناً ان يستدين المال لهذا الغرض .

تركة الشيخ

لم يخلف الشيخ بعد وفاته من المال شيئاً يوزع بين ورثته لا ديناراً ولا درهماً بل كان عليه دين كثير سُدّد بعد وفاته .

ولكنه خلف ارضاً ، اشتراها في بداية حياته ، ذات نخل وزرع واشجار وفواكه ، وبقيت هذه الأرض غير مقسومة كما كانت عليه قبل وفاته ،

وكانت حاصلاتها تقسم كل سنة بين ورثته ، وترك مائتي كتاب وقيل ستمائة . وقد اصطلح اولاده اجمع على جعلها وقفاً لكل عالم يتولى مسند القضاء والفتوى.

التغييرات التي طرأت على نجد بعد انتقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية

تغيرت الأوضاع في نجد بعد هجرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية تغييراً كاملاً واهمها ما يأتي :

أولاً : أبطل الأسلوب العشائري الذي كان يحكم به الناس وحلّ محلّه حكم نظامي[1] مدني دستوره القرآن وقانونه الشريعة المحمدية . وقد أحلّ الجهاد الديني محل الغارات العشائرية القديمة التي كان يقصد منها مجرد السلب والنهب والعدوان . وكانت تبعث السرايا للجهاد ويتم تجهيزها وتدريبها على استعمال الأسلحة النارية الحديثة باشراف الشيخ نفسه .

ثانياً : أبطل جباية الأموال في الناس عن غير الطرق الشرعية كالاخاة (القانون) والمكس، وكان الناس يسمون رجال الامراء الذين يأخذون منهم الأموال : مكاساً وعشاراً، ووضع محلها الزكاة والغنائم ونحوها من المواد التي احلها الله فصار الامراء يرسلون الجباة لقبض الزكاة وخرص الثمار .

ثالثاً : أبطل أسلوب القوة في حسم الخلافات التي تقوم بين الناس وكان القول فيها دائماً للقوي يأخذ ما اراد وأما الضعيف فلا يجد من يشكو اليه ليرد حقه، واحلّ الشيخ محله حكماً عادلاً يتولاه قضاة مشهورون بالعدل والتمسك

---

(١) كان الأمير محمد بن سعود قبل مقدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية يناديه الناس بـ(الشيخ) ولكن الشيخ محمد امرهم أن ينادوه بـ(الأمير) وخصص لقب (شيخ) باهل العلم فقط .

بالدين . يفصلون الخصومات التي تقع بين الناس ، فعمّت الجمهور نعمة الأمن والعدل والاستقرار .

الحث
على التمسك بالعبادات
وتعلم فروض الدين

ومن اصلاحاته أيضاً حث الناس على تنفيذ أوامر الدين والانتهاء عن نواهيه وكانوا يكرّهون بالقوة على حضور الصلوات في الجوامع . وقد أمر اهل البلاد بالحضور في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشائين للدرس والسؤال عن معرفة الله ومعرفة دين الاسلام ومعرفة اركانه وما ورد عليه من الأدلة ومعرفة النبي (ص) ونسبه ومبعثه وهجرته واول ما دعا اليه من كلمة التوحيد وهي «لا اله إلاّ الله» ومعرفة معناها والبعث بعد الموت وسائر العبادات التي لا تُرفع الا لله تعالى كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والانابة وغير ذلك .

والسؤال عن شروط الصلاة واركانها وواجباتها ومعاني قراءتها .

وقد أثمرت هذه التعاليم ثمراً طيباً بحيث لم يبق احد من عوام اهل نجد جاهلاً باحكام الدين الاسلامي بل تعلم كلهم ذلك وانتفعوا به بعد ان كانوا يجهلونه (ما عدا الخواص منهم) .

مكافحة الأمية ونشاط التعليم

ومن الاصلاحات التي قام بها الشيخ في نجد مكافحة الأمية ونشاط التعليم بكل ما استطـاع من قوة . وكان يلزم كل واحد من اتباعـه تعلم القراءة

والكتابة مهما كانت سنه ومهما كانت منزلته حتى الامراء كانوا يتعلمون القراءة مثل بقية الناس فصار منهم العلماء والمدرسون كالامام سعود ابن الامام عبدالعزيز .

وكانت طريقة تعليمه اياهم تبدأ بكتابة القرآن وحفظه كما يصنع مع صبية المكاتب . ثم وضع الرسائل السهلة العبارة القريبة الى عقول البسطاء في بيان التوحيد .

وكان يُلزم الناس ان يحفظوا القرآن ثم يطالعوا هذه الرسائل ويحفظوها . وقد تجاوزت مكافحته الأمية الدرعية وشملت كل قرية وواحة ففتحت فيها المدارس وكان يرسل المعلمين الى جميع القبائل لينشروا التعليم بين الناس .

الخلاصة

كانت الدرعية قبل هجرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليها قرية صغيرة خافتة الصيت لا يتجاوز عدد دورها السبعين . ولما امها الشيخ واتخذ منها مركزاً للدعوة الاصلاحية التي يدعو اليها ، توسعت رقعتها وعمها العمران وازداد عدد سكانها وبدأت تظهر عليها دلائل الرخاء واصبحت مدينة بعد أن كانت قرية صغيرة وعلا اسمها وشاع صيتها وأخذ الدعاة ينطلقون منها وهي تُرسِل الرسل والكتب الى الأقطار والمدن تدعو الناس الى الهداية والخضوع فتوحدت الصفوف وتجمعت البلدان ونشأت بذلك وحدة من العارض ثم من نجد . ثم توسع مدلول نجد فنشأت دولة نجد الكبرى ، واصبحت الدرعية عاصمة لتلك الدولة العربية صاحبة الدعوة الاصلاحية الدينية التي هدفها انهاض المسلمين من الهوة العميقة التي وقعوا فيها واعادتهم الى تعاليم الدين الاسلامي الصحيحة ، واتخذت الدرعية شعاراً لها اعلاء كلمة التوحيد ، وباتت مُثُلها العليا محاربة البدع وعدم اتخاذ الاحبار والانداد ارباباً من دون الله .

وصار لتلك الدولة الغنية قوة وجيش ومنعة وادارة متينة قادرة بحيث ضمنت للأهلين أمناً لا عهد لهم بمثله قبل هذا التاريخ .

وغدت مصدر خير وبركة . لا لنجد وحدها ، ولا للعرب وحدهم ، بل للمسلمين عامة ، وللشرق كله بوجه اعمّ وأوسع .

وقد حققت الدعوة التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب غايتهـا وادركت سؤلها وانتجت افضل النتائج . فكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مؤسس هذه الدعوة ، في قمة كبار رجال الدين الخالدين .

زوجات
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

المعروف عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب انه تزوج وهو في سن المراهقة في مدينة العينية بحياة والده قبل رحلته الى الحجاز ثم تزوج بعد ذلك بزوجات أخـــر .

ولما انتقل الى العيينة من حريملا تزوج «الجوهرة» بنت الأمير عبدالله ابن معمر وهي التي نزل الأمير محمد بن سعود بامانها من مكان كان قد صعد اليه وتحصن فيه حينما قُتل زيد بن مرخان أمير الدرعية .

آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب

خلف الشيخ من الذرية ستة اولاد ذكور وست اناث .

أما أولاده الذكور فهم : ابراهيم وعبد العزيز وعبدالله وحسن وحسين وعلي.

(١) **ابراهيم** : كان عالماً فاضلاً .

(٢) **عبد العزيز** : ظل في نجد وقُتل فيها على ايدي الأتراك بعد سقوط الدرعية بسنوات .

(٣) **عبد الله** : كان عبدالله من أولاد الشيخ محمد البارزين وكان يشارك أخاه حسين في تولي القضاء وسائر الشؤون الدينية المتفرعة عن الدعوة وقد خصه الله بالعلم والمعرفة وكان معاصراً للامام عبد العزيز وسعود وعبدالله . ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية ونفى آل سعود وآل الشيخ الى مصر كان عبدالله من ضمن أولئك المنفيين ومكث في مصر مدة طويلة ثم مات فيها .

وكان لعبدالله ولدان مشهوران هما : سليمان وعبد الرحمن .

أما سليمان فقد دعاه ابراهيم باشا يوماً ليحضر مجلس طرب، وكان ابراهيم باشا قد احضر معه في حملته على الدرعية المغنيات وآلات الطرب والمسكرات ، فاستنكر سليمان ذلك العمل وزجر فاعليه فأمر ابراهيم باشا جنوده باطلاق الرصاص عليه فاردوه قتيلاً .

واما عبد الرحمن فنفي مع أبيه الى مصر واستقر فيها ودرس في رواق الحنابلة بالأزهر ، وبلغ في العلم شأناً كبيراً حتى صار يشار اليه بالبنان ، وتوفي في مصر عام ١٢٧٤ هـ ١٨٥٨ م وله ذرية معروفة .

(٤) **حسن** : كان حسن من الأتقياء الأبرار وقد انجب أربعة أولاد هم : الشيخ علي والشيخ عبد الرحمن والشيخ حسن والشيخ عبد الملك ، وقد اشتهر بالعلم منهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن وكان من اكابر علماء نجد واجلهم في زمانه وهو صاحب كتاب « الفتح المجيد في شرح كتاب التوحيد » وكتاب « قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين » وكتاب « المقامات »

وغيرها من الرسائل والمؤلفات والردود .

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن ذرية كثيرة في مقدمتهم ولده الشيخ عبد اللطيف صاحب المؤلفات الكثيرة ك« مصباح الظلام » و « تأسيس التقديس » و « دلائل الرسوخ » وغيرها من المؤلفات وتعرف ذرية الشيخ حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بآل عبد اللطيف نسبة الى جدهم الأدنى عبد اللطيف .

ومن ذريته أيضاً مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم ابن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٥) **حسين** : كان الشيخ حسين من أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب البارزين في العلم والمعرفة . تولى الافتاء والتدريس والتفسير بعد وفاة والده بالاضافة الى امامة الصلاة والخطبة فكان امام مسجد البجيرين الكبير الذي يقع في منازل الدرعية الشرقية . وكان صيتاً بحيث يسمع تكبيره في الصلاة الى ادنى المسجد وأقصاه وهو الخطيب والامام يوم الجمعة في مسجد الطريف الكبير الذي تحت قصر آل سعود في المنازل الغربية من الدرعية . وكان ضريراً مكفوف البصر توفي في الوباء الذي حصل في نجد عام ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م .

وخلف عدة بنين منهم : علي وحسن وعبد الرحمن وحمد وعبد الملك . ولحسن ولد يُدعى عبدالله كان رئيس قضاة المملكة العربية السعودية في وقته .

(٦) **علي** : تعرف ذرية علي ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليوم بآل محمد نسبة الى جدهم الادنى محمد بن علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

أما الإناث من ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهن :

سلمى وصفية وفاطمة وسعدى وعايدة وحبيبة .

ويسير احفاد الشيخ وذريته على طريقة جدهم المصلح الديني الكبير في خدمة العلم ونشر الدين وهداية الشعب واصدار الكتب العلمية النافعة. ويقومون في الوقت نفسه بتدريس العلوم الدينية والادبية في بيوتهم وطلبة العلم يجدون فيها ما يساعدهم على المعيشة للانقطاع لدرس العلم .

اشهر العلماء
الذين تلقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب
عنهم العلم

والده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان

الشيخ اسماعيل العجلوني

الشيخ حسن التميمي

الشيخ حسن الاسلامبولي قاضي البصرة

الشيخ زين الدين المغربي

الشيخ سليمان الكردي

الشيخ شهاب الدين الموصلي قاضي البصرة

الشيخ صفة الله الحيدري

الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف

الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف

الشيخ عبدالله العفالق

الشيخ عبد الرحمن بن احمد

الشيخ عبد الكريم الكردي

الشيخ علي الداغستاني

الشيخ علي ميرزا خان الأصفهاني

الشيخ محمد المجموعي

الشيخ محمد بن عبد اللطيف

السيد محمد حياة السندي توفي سنة ١١٦٥ هـ

الشيخ يوسف آل سف

اسماء بعض تلامذة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
والرجال الذين أخذوا عنه العلم

ابراهيم ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

احمد بن سويلم

احمد بن ناصر بن معمر

ثنيان بن سعود

حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حسن بن عبد الله بن عيدان تولى القضاء في بلد حريملا

حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبد الوهاب بن عبدالله الوهبي التميمي قاضي مراز وقد تزوج احدى بنات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسكن الدرعية عنده .

حمد بن حسين

حمد بن راشد العريني تولى القضاء في ناحية سدير

سعود ابن الامام عبد العزيز

سعيد بن حجي

سليمان الوشيقري

عبدالله بن دغيبر

عبدالله بن عيسى قاضي الدرعية

عبدالله بن محمد

عبد الرحمن بن خميس امام مسجد الدرعية (ايام الامام عبد العزيز)

عبد الرحمن بن عبد المحسن ابو حسين

عبد العزيز ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

عبد العزيز بن عبدالله الحصين الناصري التميمي

عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

عبد الرحمن بن نامي تولى القضاء في الأحساء

عبد العزيز بن عبدالله الحصين

عبد العزيز بن سويلم تولى القضاء في القصيم

عبد العزيز بن محمد بن سعود

عبد العزيز الناصري

علي ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

علي الغزاز

عيسى بن قاسم

فرحان بن سعود

محمد بن حسين

محمد بن سلطان العوسجي تولى القضاء في الاحساء

محمد بن سويلم

محمد بن ناصر بن معمر

محمد الخريمي

محمد المجموعي

مشاری بن سعود

وكثيرون غير هؤلاء الرجال حضروا حلقات دروسه واستفادوا من علمه وغزارة معرفته .

مؤلفات
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
وكتبه

الى جانب اشتغال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتدريس والتعليم والوعظ والارشاد فقد عكف على التأليف والتصنيف فألف الكتب والرسائل ومـا زال الناس في نجد وفي جميع البلدان الاسلامية الأخرى يكبون على قراءتها ويتدارسونها ويستفيدون منها وينتفعون بها .

وهذه أسماء مؤلفاته التي وصلت الينا :

أحاديث الفتن

استنباط القرآن

اصول الإيمان

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تفسير بعض سور أجزاء القرآن

تفسير سورة الفاتحة من القرآن

تفسير شهادة لا اله إلا الله

تفسير كلمة التوحيد

رسالة في أن التقليد جائز لا واجب

رسالة في معنى الطاغوت

رسالة الأربع قواعد في الدين

رسالة فوائد الفاتحة

على أبواب الفقه

فضائل الاسلام

كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد

كتاب الثلاثة الأصول في معرفة الله والدين الاسلامي ومعرفة الرسول

كتاب السيرة المختصرة

كتاب السيرة المطولة

كتاب الكبائر

كتاب مختصر تفسير ابن كثير

كتاب مختصر الانصاف

كتاب كشف الشبهات

مجموع الحديث على أبواب الفقه

مختصر زاد المعاد

مختصر الشرح الكبير والانصاف

مختصر الفتح

مختصر الهدي النبوي.

معنى الكلمة الطيبة

مفيد المستفيد

معرفة العبد ربه ودينه ونبيّه

المسائل التي خالف فيها رسول الله اهل الجاهلية وهي اكثر من مئة مسألة

مجموعة الحديث

نصيحة المسلمين في الحديث

اربع مسائل في الأحكام العملية والردة وبعض فوائد التفسير

وله غير ذلك من الكتب والرسائل والفتاوي الفقهية والأصولية بعضها مطول وبعضها مختصر .

سير الدعـــوة

بعد وفاة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لما توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت رايات الدعوة للجهاد قـد توغلت في الاحساء واخترقت بتقدمها حدود الحجاز ودقت ابواب العراق ورفت على بعض ضفاف الخليج العربي.

وبناءً على ذلك لا نجد من المستحسن الوقوف بتاريخنا هذا عند وفـاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والانقطاع عن تتبع خطى تلك الرايات اتمـاماً للفائدة ، واكمالاً للبحث ، واصلنا تدوين الحوادث الى آخر عصر الامام عبد العزيز .

تتمة لاخبـــار الاحساء

وقعة اللصافة [1]

لقد أثار قتل زيد لعبد المحسن غضب جميع بني خالد فاعلنوا عصيانهم على زيد واجتمعوا حول براك بن عبد المحسن السرداح فابلغ زيد خبر عصيانهم الى الدرعية فجهزت جيشاً واحالت قيادتـــه الى الأمير سعود وأمرتـــه بالمسير الى الاحساء وتأديب الثائرين . وعندمـــا وصل الأمير سعود الى الاحساء علم بان براك ومَن تبعه من بني خالد قد ذهبوا الى حدود العراق وعسكروا على ماء الجهرة بقرب الكويت . فسار سعود في اثرهم . فوافقته الأنباء بأن براك ومن معه قـــد غزوا قبائل سبيع وغيرها في تلك الباديـــة وأخذوا ابلاً كثيرة منهم ، وانهم على وشك العودة . فعرف الأمير سعود أن طريقهم لا بد سيكون على احد المياه : اللصافة ، او اللهابة ، اوالقرعة ، وهي المياه القريبة بعضها من بعض . فجعل على مـــاء منها قسماً من جيشه ليرصدهم . فلم يلبثوا الا يسيراً حتى اقبل براك بجموعه وارداً الماء ، وكان الوقت صيفاً ، وقد اشتد بهم العطش . فمنعوهم عن الورود ونشب بينهم القتال في محل يدعى « الشيط » شرقي اللصافة . وقد أكثر جيش الدرعية فيهم القتل وولّوا الأدبار ، وهلك منهم عدد كثير من شدة العطش . وقد بلغت خسائرهم زهاء الف رجل وأُخذت جميع اموالهم وركائبهم وخيولهم .

وكذلك كانت الخسائر من جيش الدرعية كثيرة . ومن ضمن من قُتل

---

(١) اللصافة واللهابة ماءان معروفان يقعان في الصمان من جهة الدبدبة المعروفة قديماً باسم « شواجين » .

منها في تلك المعركة سليمان بن عفيصان أمير الخرج .

أما براك فقد استطاع الهرب مع فلول من جيشه والتجأ الى العراق لدى أمير المنتفق ، ثويني بن عبدالله . وكانت هذه الحادثة في عام ١٢٠٧ هـ ١٧٩٣م.

استسلام
اهالي الاحساء

لما خضد الأمير سعود شوكة بني خالد توجه الى الأحساء ، وعند وصوله الى الردينيات في الطف اقام عليها اياماً فوردته الرسائل من أهل الأحساء يدعونه للقدوم الى مدينتهم . ولما قصد مدينة الأحساء خرج لاستقباله الثائرون من أهل الأحساء يطلبون منه العفو والصفح والأمان واظهروا ندمهم واستسلامهم وجددوا له البيعة فصفح وعفا وقبل البيعة . ثم دخل المدينة وضبطها ثم أمر بهدم ما كان فيها من القباب المقامة على بعض القبور والمشاهد فهدمت ولم يترك لها أثر ، ومكث في الاحساء شهراً واحداً .

ولاية
محمد الحملي على الاحساء

وعندما عزم الأمير سعود على العودة الى الدرعية عين محمد الحملي أميراً على الاحساء وجعل على بيت المال حسين بن سبيت وجعل على الثغور مرابطة تحت رئاسة محمد بن غشيان وأقام جماعة للوعظ والارشاد والأمر بالمعروف ، وهم عبدالله بن فاضل ، وابراهيم بن حسن بن عيدان ، ومحمد بن سليمان ابن خريف ، وحمد بن حسين بن حمد بن حسين .

ثورة الأحساء
والمناداة بامارة زيد بن عريعر

ثم ارتحل الأمير سعود عن الاحساء وقصد الدرعية فنزل في طريقه على انطاع (الماء المعروف بالطف) وأقام عليه اكثر من شهر وسمح لكثير من جيشه بالانفضاض، فاغتنم اهل الاحساء هذه الفرصة واعلنوا الثورة ضد الدرعية وقتلوا أميرهم ، ومدير بيت المال ، وهيأة الارشاد والآمرين بالمعروف وجرّوا أجسامهم بالحبال في الأسواق . وحصروا الجند المرابط في الحصون حتى فني زادهم فتركوا تلك الحصون وهربوا ليلاً . ولما خلت المدينة من الجند دعا اهل الاحساء زيد بن عريعر وأقاموه أميراً عليهم. واتخذ زيد المبرز مقراً له.

قمع الثورة

بلغت هذه الأخبار الى الأمير سعود وهو ما زال معسكراً على ماء انطاع وقد تفرق اكثر جيشه، فعاد الى الدرعية وابلغها الخبر ، فاستنفرت الدرعية قواتها لتأديب العصاة في الأحساء واستخلاصها من يد زيد . فلما اجتمعت لها الجيوش سيرتهم تحت قيادة الأمير سعود وذلك في عام ١٢٠٨ هـ ١٧٩٤ م وقاد الأمير سعود تلك القوات وقصد الأحساء فنزل قرية الشقيق وحاصرها يومين فهرب عنها اهلها بعد ان قتل منهم عدة رجال ودخلها عنوة واستولى على ما كان فيها .

ثم اجتمع أهل قرى الاحساء في قرية القُرين فسار اليهم الأمير سعود وضرب الحصار على قريتي القرين والمطيرفي ثم صالحه اهلها على نصف اموالهم ، فتركهم وتوجه الى بلدة المبرز وكان فيها زيد بن عريعر، فخرج لقتاله من كان فيها من الفرسان فحصل بينهم قتال قُتل فيه من قوم زيد : عزيّز بن عمر ، وحمود بن غرمول . ولاذ زيد ومن معه بالفرار . وعادوا

الى المدينة فضرب الأمير سعود عليهم الحصار .

وبعد أيام قليلة على ذلك الحصار صمم الأمير سعود على قتالهم فجعل لهم كميناً في المحل المسمى المحيرس وهاجم المبرز فخرج اهلها اليه ليردوه فاظهر لهم الانسحاب واستطردهم حتى تجاوزوا مخابىء الكمين وصارت في ظهورهم فانعطفت عليهم جيوش الدرعية واشتبكت معهم في القتال . عندئذ خرج عليهم الكمين من الخلف فصاروا بين نارين فقُتل منهم نحو مائة رجل وانهزموا مرة ثانية الى البلدة وتحصنوا فيها فضربت جيوش الدرعية عليهم حصاراً محكماً .

ثم تركهم الأمير سعود في حصارهم وتوجه ببعض قواته الى بلاد ابن بطال فدار معهم قتال قتل فيه من اهل تلك الديار بعض الرجال . ثم تركها واتجه الى شرقي الاحساء ، ونازل اهل قرية الجبيل وقتل من اهلها رجالاً . وكان ذلك في ايام الصيف وابان الارطاب ، فاكثر جنده من صرام النخيل وافساد الزرع لكي لا يصل منه شيء الى المحاربين .

طلب أهل الأحساء الصلح

ضاق بأهل الاحساء الحصار وكادوا يهلكون ، فاوفدوا من قبلهم براك ابن عبد المحسن الى الدرعية ليطلب لهم الصلح من الامام عبد العزيز ويظهر له استعدادهم للدخول في طاعته على أن يأمر ولده سعوداً برفع الحصار عنهم والكف عن قتالهم ، فوافق الامام عبد العزيز على طلبهم وكتب الى ابنه سعود بالرجوع الى الدرعية ورفع الحصار عن المبرز .

وبعد رجوع الامير سعود بقواته اختلف أهل الأحساء في تنفيذ شروط الصلح فكانت الجهة الشرقية ترغب في بقاء الأمر لآل عريعر وتحزبوا لزيد بن عريعر وانزلوه في قرية الجشة والتفوا حوله .

وكان اهل المبرز يرغبون في تنفيذ شروط الصلح والدخول في طاعة الدرعية والتفوا حول براك بن عبد المحسن بن سرداح وايدوه وناصروه .

وقد ايد القسم الآخر من اهل الأحساء حزب زيد بن عريعر واجتمعت كلمتهم على محاربة بلدة المبرز فحاصروها وهاجموها عدة مرات ، فكتب براك وأهل المبرز الى الدرعية يطلبون النجدة والمدد فامدتهم بجيش ولت قيادته ابراهيم بن عفيصان . وحينما طلعت نواصي ذلك الجيش على المحاصرين تركوا حصونهم ولاذوا بالفرار بعد ان قتل منهم عدد كثير . ورحل زيد بن عريعر بمن تبعه وقصد العراق . وبذهاب زيد زال كل اثر لآل عريعر من الاحساء وذلك عام ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م .

الأحساء

تكرر الثورة والعصيان

بعد هرب زيد من الاحساء اسندت الدرعية امارة الاحساء الى براك بن عبد المحسن لينفذ أوامرها .

ولما حل رمضان من عام ١٢١٠ هـ آذار ١٧٩٦ م اتفق جماعة من رؤساء اهل الأحساء وعلى رأسهم صالح بن النجار ، وعلي بن حمد ، وسلطان الجبيلي ، على الثورة والعصيان على الدرعية . وطلبوا من السياسب الدخول معهم فابوا ذلك ، وتمايل براك بن عبد المحسن الى جانب الثوار . فدار قتال بينهم وبين السياسب واهل المبرز فكتب السياسب واهل المبرز الى الدرعية يستنجدونها فامدتهم بقوة صغيرة تولى قيادتها ابراهيم بن سليمان بن عفيصان ، وكانت هذه القوة طليعة لقوة أخرى كبيرة عزمت الدرعية على تهيئتها .

فلما بلغت أخبار مسير قوة الدرعية الى الأحساء قويت عزيمة السياسب وصمموا على الصمود للقتال . وعندما ادرك صالح بن النجار ان السياسب

مصرّون على القتال وان المبرز غير متخلية عن مساعدتهم ارسل إلى مهوس ابن شقير رئيس القبسان ليأخذ منه الأمان لنفسه . اما بقية الثوار من الرقعة والنعاثل واهل الشرق فصمموا على مواصلة القتال .

فقاتلهم ابراهيم بن عفيصان بعد ان انضم اليه السياسب والقبسان فقتل من أهل الشرق واتباعهم نحو ستين رجلاً اكثرهم من اهل الجبيل فلاذ ابن عفالق والحبابي والحمـلي بابن احمد فحاصرهـم ابراهيم بن عفيصان عدة أيام وضيق عليهم الحصار فطلبوا منه الأمان فأمنهم على شرط ان يسلموا انفسهم ويسيروا الى الدرعية لتنظر في امرهم . فانصاعوا لذلك وذهبوا الى الدرعية فعفت الدرعية عن اكثرهم . أما براك بن عبد المحسن ونفر من قومه فقـد لاذوا بالفرار وقصدوا العراق لاجئين الى ثويني بن عبدالله أمير المنتفق .

اخمـاد
ثورة الأحساء

في شهر ذي القعدة ١٢١٠ هـ ايار ١٧٩٦ م جهزت الدرعية جيشاً كبيراً ولت قيادته الى الأمير سعود وأمرته بالذهاب الى الأحساء ليكون مدداً لجيش ابراهيم بن عفيصان . فسار الأمير سعود بهذا الجيش الكبير ونزل روضـة « محرقة » قرب الوشم وركب خيله ودخل شقرا فاضافه اهلها وبقي في محرقة عدة ايام حتى تجمعت جيوشه فسار بهم وقصد ناحيـة الاحساء فقـاربها وقت المساء فعسكر في الجهة الجنوبية من محلة المفوف في مزرعـة تدعى « الرقيعة » وبات فيها ليلته، فلما اصبح الصباح قدم عليه أهل الأحساء وابدوا ندمهم وأسفهم واعلنوا طاعتهم وانقيادهم من جديد ففرض عليهم غرامة مالية أدوها طائعين .

وعسكر على الرقيعة مدة اشهر قام خلالها بتأديب كثير من العصاة وقتل

بعضاً من الرجال المتظاهرين بالفسق والعصيان . وبعد ان وطد الأمن وعزم على العودة الى الدرعية أمّر على الأحساء رجلاً منهم يدعى ناجم ابن دهينيم، والقى القبض على بعض من كان يشك في اخلاصهم من كبار أهل الأحساء وهم علي بن حمد ، وآل عمران ، وبريكان ، ومحمد حسن العدساني ، وغيرهم ، وأخذهم معه الى الدرعية حيث فرضت عليهم الإقامة فيها .

ولاية
سليمان بن محمد بن ماجد

وبعد ناجم بن دهينيم اسندت الدرعية امارة الأحساء الى محمد بن سليمان ابن محمد بن ماجد وذلك في عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م وبقي في منصبه الى عام ١٢١٩ هـ ١٨٠٥ م .

ولاية
ابراهيم بن عفيصان

ثم احالت الدرعية امارة الاحساء الى ابراهيم بن عفيصان بالاضافة الى امارته على البحرين .

انتشار الدعــــوة

في سواحل الخليج وعمان

بعد ان تم للدرعية اخضاع الأحساء وأمنت جانبها اتجهت بانظارها لتنشر الدعوة وتوسع الفتوح في السواحل العربية للخليج .

العقير

وفي عام ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م سار سليمان بن عفيصان بأهل الخرج وقصد ميناء العقير الواقع عند ساحل الخليج ، فوافق في طريقه عيسى بن غفيان الشاعر المشهور ومعه جيش من أهل اليمامة ، فقاتلهم وأكثر فيهم القتل فقتل عيسى المذكور واستولى على تلك القافلة ثم واصل سيره الى العقير فلم تستطع الصمود أمامه فاستولى عليها واشعل فيها النيران .

سيهات وعنك

وفي شهر جمادى الثانية من عام ١٢٠٦ هـ شباط ١٧٩٢ م سار الأمير سعود على رأس جيش من الدرعية وقصد القطيف وحاصر مدينة سيهات وأخذها عنوة واستولى على ما فيها من الأموال ثم توجه الى « عنك » ودار

بينه وبين اهلها قتال فقتل منهم اكثر من اربعمائة رجل وفتحها واستولى على كثير من أموالها ثم صالحه اهلها فصالحهم بعد ان فرض عليهم دفع مال معين .

قطر

وفي عام ١٢٠٦هـ ١٧٩٢م قاد سليمان بن عفيصان بأمر من الدرعية جيشاً من أهل الخرج وغيره وقصد قطر فصادف في طريقه قافلة يبلغ عددها خمسين بعيراً فقاتلهم وقتل الكثير منهم واستولى على تلك القافلة .

وفي عام ١٢٠٨ هـ ١٧٩٤ م عاود سليمان بن عفيصان غزو قطر ونازل أهل الحويلة فاستولى عليها ثم توغل في مناطق أخرى من قطر واخضعها .

الكويت

ثم توغل سليمان بن عفيصان في هذا العام بفتوحه في شواطىء الخليج الى ان وصل الكويت واغار عليها، وكان قد نصب لأهلها كميناً فلما خرج اهلها للدفاع خرج عليهم الكمين وقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً فولوا الأدبار لا يلوي احدهم على شيء .

وعاودت قوات الدرعية في عام ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ م مهاجمة الكويت بسرية تولى قيادتها مناع ابو رجلين الزعبي ، فسار من الأحساء ، وعندما قارب مدينة الكويت نصب لأهلها كميناً ثم أغار على سوارحهم فاخذها يستفز اهلها للقتال ، وعندما خرج أهل البلد لقتاله هجم عليهم الكمين فلم يستطيعوا الصمود أمامه فولوا منهزمين بعد ان فقدوا عشرين قتيلاً .

جزيرة العماير

غزا محمد بن معيقل في عام ١٢١٤ هـ ١٨٠٠ م ، بجيش من أهل الأحساء وأهل نجد ، جزيرة العماير وخاض عليها البحر فانهزم أهلها في سفنهم واستولى محمد بن معيقل على ما كان في تلك الجزيرة من الأموال وقتل من أهلها عدة رجال .

البحرين

في شهر محرم من عام ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م سار الامام سلطان بن احمد صاحب مسقط في كثير من السفن ونازل أهل البحرين واستخلصها من يد آل خليفة .

فقصد آل خليفة الدرعية فامدتهم بجيش كثيف ساروا به الى البحرين وقاتلوا صاحب مسقط واخرجوه من البحرين واسترجعوها من يده بعد ان قُتل الكثير من رجاله .

عمان

أول من آمن من أهالي عُمان بالدعوة هم الجواسم وذلك في عام ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م فعقدت الدرعية معهم معاهدة لتكسبهم الى جانبها . وقد اوجس الامام سلطان بن احمد صاحب مسقط خيفة من توسع نفوذ الدعوة بعد ان خرجت قواته من البحرين . وفي عام ١٢١٨هـ ١٨٠٣ م قصد الامام سلطان ابن احمد مكة ليفاوض الشريف غالب بن مساعد للانضمام اليه ضد الدرعية ، وقد صادف أثناء وصوله الى مكة دخول الأمير سعود بقواته اليها ففت ذلك في عضده فاتفق مع الأمير سعود على ان يدفع للدرعية مبلغاً سنوياً من المال

مقابل حمايتها له ، فوافق الأمير سعود على ذلك ، ولكن الامام سلطان عندما عاد الى بلاده نكث العهد .

البريمي

وكانت قوات الدرعية قد أحالت الأمر في البريمي ، بعد ان احتلتها ، الى عهدة ابن عفيصان ثم ولت عليها سالم بن بلال الحرق . فتقدم سالم المذكور نحو عمان وجبي الزكاة من « الظاهرة » والجهات الشمالية فاشتبك مع قوات الامام سلطان بن احمد في « شناص » واحتل « مطرح » ولم يثنه عن احتلال مسقط سوى وفاة الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٨ ﻫ ١٨٠٣ م .

الشام

دومة الجندل

تقع دومة الجندل في الشام وكانت سوقاً للعرب ينزلونها في أول يوم من شهر ربيع الأول من كل عام . وقد ذهب بعض الرواة الى ان التحكيم الذي جرى بين الامام علي ومعاوية ابن أبي سفيان في عام ٣٩ هـ ٦٥٩ م كان قد وقع فيها وتسمى اليوم بالجوف . والجوف تقع شمالي النفود على رأس وادي السرحان .

واصدرت الدرعية في عام ١٢٠٨ هـ ١٧٩٤ م أوامرها الى أمير الوشم محمد بن معيقل ، والى أمير القصيم محمد بن عبدالله آل حسن ، والى أمير جبل شمر محمد بن علي ، بالزحف على دومة الجندل وولت القيادة العامة الى محمد ابن معيقل . فسارت تلك الجيوش الى هناك واستولت على ثلاث بلدان من بلدانها ثم ضربت الحصار على الباقي من بلدانها حتى اخضعتها فأعلنت طاعتها بعد قتال طويل قُتل فيه عدة رجال من الجانبين . وقد قُتل من رجال الدرعية المشهورين عمهوج المعرقب .

غزو القبائل البدوية

قبيلة حرب

سار حجيلان بن أحمد أمير القصيم في عام ١٢٠٧ هـ ١٧٩٢ م بجيش من اهل القصيم واغار على بني عمرو من قبيلة حرب فقتل منهم رجالاً واستولى على بعض ابلهم .

الظفير

ارسلت الدرعية في شهر شعبان عام ١٢٠٩ هـ شباط ١٧٩٥ م جيشاً الى جبهة الشمال لمهاجمة قبيلة الظفير في الموضع المعروف بـ « الحجرة » فنازلهم وقتل منهم رجالاً واستولى على الف وخمسمائة بعير من ابلهم وجميع أغنامهم ثم قفل راجعاً .

نجران

عزا مبارك بن هادي في عام ١٢١٠ هـ ١٧٩٥ م ناحية نجران فأغار على بعض قبائلها ودار بينهم قتال قُتل فيه من اهل نجران نحو ثلاثين رجلاً وأخذ جميع اموالهم .

قبيلة الشرارات

غزا أمير القصيم ، حجيلان بن أحمد ، في عام ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ م بجيش من أهل القصيم وغيرهم ، ارض الشام وأغار على قبيلة الشرارات فلم يصمدوا أمامه وقتل منهم نحو مائة وعشرين رجلاً وأخذ من الابــل نحو خمسة آلاف بعير وأغناماً كثيرة .

جبهة الحجاز

سار عبدالله بن محمد بن معيقل صاحب بلد شقراء في عام ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م بأهل الوشم وانضم اليه بعض القبائل من السهول ومطير والعجمان وقد بلغت ركائبهم ستمائة جمل ، فهاجموا قبائل عتيبة وهم في ارض « البعث » الجبل المعروف في زلبة فوقع بينهم قتال شديد وكانت الهزيمة على جيش عبدالله وخسروا من ركائبهم مائة جمل وقُتل من الجانبين عدة رجال .

لم تثن هذه الهزيمة عزم عبدالله فلما عاد الى الوشم جهز جيشاً آخر من اتباعه واستنفر اهالي سدير وقبائل قحطان ومطير وبني حسين والدواسر والسهول وغيرهم ، وتقدم بهم الى الحجاز ، فاغار على بني هاجر وهم في « الحرم الراقي » الواقع بين الذنائب والشعل ووقع بينهم قتال كانت الدائرة فيه على بني هاجر فقتل منهم عدة رجال وعلى رأسهم رئيسهم ناصر بن شري واستولى عبدالله بن معيقل على جميع اموالهم من الابل والغنم وارسل اخماسها الى الدرعية .

مهاجمة تربة

لم تجد الدرعية ما قام به عبدالله بن معيقل على قبيلة بني هاجر كافياً لتأديب القبائل الحجازية التي كثيراً ما كانت تتجاوز بمضايقاتها على القبائل النجدية ، فسيرت جيشاً في شهر ذي القعدة عام ١٢٠٩ هـ ١٧٩٤ م أسندت قيادته الى الأمير سعود وامرته بمهاجمة « تربة » بلد البقوم ، فحاصر الامير سعود تربة حصاراً شديداً وقطع كثيراً من نخيلها ثم خرج أهل البلد لقتاله فقتل منهم عدة رجال

وقُتل من جيش الأمير سعود محمد بن عيسى بن غشيان . ثم صالحه اهل البلد فرفع الحصار وقفل راجعاً الى الدرعية .

الشريف غالب يشمر الاردان

اراد الشريف غالب بن مساعد صاحب الحجاز ان ينتقم لقبائل الحجاز من تلك الهجمات ، فجهز في عام ١٢١٠ هـ ١٧٩٥م جيشاً كبيراً اسند قيادته الى الشريف فهيد، وقد ضم هذا الجيش كثيراً من قبائل الحجاز. فسار الشريف فهيد على رأس هذا الجيش وهاجم هادي بن قرملة رئيس بوادي بني قحطان (الموالية للدرعية) وهو يومئذ على « باسل » الماء المعروف في عالية نجد، فدار قتال بين الطرفين كانت الدائرة فيه على هادي بن قرملة ومن معه من الجحادر من قبيلة قحطان . وقد قتل من هذه القبيلة نحو ثلاثين رجلاً وفر الباقون رجالاً ونساءً وأطفالاً بعد ان فقدوا الكثير من ابلهم وخيولهم واموالهم الأخرى .

فلم تشأ الدرعية ان تترك هذه الحادثة تمر دون ان تثأر لها ، فأصدرت أوامرها الى محمد بن معيقل صاحب شقراء ليسير بأهل الوشم وغيرهم لمهاجمة قبيلة عتيبة التابعة للحجاز وهم في « مران » الماء المعروف دون مكة الواقع في ناحية « حرة كشب » قرب بلد الطائف . فهاجمهم واستولى على كثير من ابلهم وانعامهم .

ولم تكتف الدرعية بهذا وحسب بل جهزت جيشاً اسندت قيادته الى الأمير سعود وسيرته لمهاجمة قبائل الحجاز . فاغار هذا الجيش على قبائل عتيبة ومطير وهم في الحرة ورئيسهم ابو محيور العتيبي ، فدارت معركة بين الطرفين كان النصر فيها الى جانب الأمير سعود . وقد قتل في هذه المعركة « ابو محيور » رئيس عتيبة ، و « القدح » احد رؤساء مطير ، وثلاثون رجلاً سواهم . واستولى الأمير سعود على كثير من اموالهم ومواشيهم .

وقد قُتل من جيش الأمير سعود عدة رجال منهم قائد خيالته « سبيل بن مضيبر » من قبيلة عنزة . وكان ذلك في آخر شهر جمادى الثانية من هذا العام كانون الأول ١٧٩٥ م .

اهتم الشريف غالب لهذا الأمر اهتماماً كبيراً وأمر بجمع قوات كبيرة وولى الشريف ناصر بن يحيى قيادتها وأمره بالخروج من مكة لمهاجمة هادي بن قريملة رئيس قبائل قحطان الموالية للدرعية .

فلما شعرت الدرعية بمسير هذا الجيش اصدرت أوامرها الى محمد ابن ربيعان رئيس قبائل عتيبة ، والى فيصل الدرويش رئيس قبائل مطير ، والى ربيع بن زيد الدوسري رئيس قبائل وادي الدواسر ، والى قبائل السهول ، وسبيع ، والعجمان ، وغيرهم ، بالذهاب الى مناصرة هادي بن قريملة والدفاع عن قبيلته . فاجتمعت تلك القبائل لدى هادي وهو يومئذ قرب الماء المعروف بـ « الجمانية » الواقع في عالية نجد وأخذ الجميع أهبة الاستعداد لمقابلة جيش الشريف ناصر .

ولما وصل الشريف ناصر بجيشه وعسكر على ماء « الجمانية » التحق به بعض قبائل الحجاز فالتقت الجموع على ذلك الماء ودار بينهم قتال شديد كثرت فيه القتلى من الجانبين . وعندما رأى هادي بن قريملة شدة القتال حمل بطائفة من قبيلته على مقر قيادة الشريف ناصر وصدقوا القتال فولت جيوش الشريف ناصر منهزمة وهو على رأسها بعد ان فقد من جيشه نحو ثلاثمائة قتيل وترك الكثير من امواله واسلحته غنيمة لجيوش الدرعية .

وعندما بُشرت الدرعية بهذا النصر لم تشأ ان تهيء الفرصة لخصمها لجمع شتاته وتحشيد فلوله فاصدرت أمرها الى محمد بن معيقل لملاحقة فلول ذلك الجيش المنهزم فادرك منهم بني هاجر وهم على الماء المعروف بـ « القنصلية » قرب بلد تربة ، فاغار عليهم وأخذ جميع اموالهم واسلحتهم بعد ان قتل منهم نحو اربعين رجلاً .

وعندما حل عام ١٢١١ هـ ١٧٩٦ م اصدرت الدرعية أوامرها الى ربيع بن زيد امير وادي الدواسر للزحف بقواته على حدود الحجاز ، فصدع زيد بما امر وهاجم قبائل شهران الحجازية وقتل منهم نحو خمسين رجلاً واستولى على كثير من ابلهم وانعامهم .

الصلح مع شريف مكة

تحقق للشريف غالب صاحب مكة ان تكرر الحرب مع الدرعية لا يجديه نفعاً طالما ان الخسائر تتكرر عليه ، فعقد العزم على مفاوضة الدرعية لعقد صلح معها ، فارسل رسله الى الدرعية يطلب اليها الصلح وارسال وفد من قبلها ليناظر علماء مكة ويشرح لهم حقيقة الدعوة التي تدعو اليها ، فلبّت الدرعية طلبه واوفدت الى مكة وفداً على رأسه احد كبار علمائها المدعو الشيخ محمد بن ناصر بن معمر . وكان الشيخ محمد هذا مشهوراً بحسن المناظرة وقوة البرهان وسعة الاطلاع في العلوم الدينية .

ودخل ذلك الوفد مكة معتمراً فطاف وسعى ونحر . ثم قابله الشريف غالب بالاكرام وجمعه ببعض علماء مكة ودارت بينهم مناظرات استمرت عدة ليال بحضور الشريف غالب .

وكانت تلك المناظرات تنحصر في مسألتين اساسيتين :

أولاهما : قتال الموحدين .

وثانيتهما : دعوة الأموات .

وكان الوفد النجدي يدلي ببيان حجته على ضوء القرآن وأحاديث الرسول الصحيحة وأقوال الأئمة وأتباعهم المتقدمين . وبعد جدال طويل خضع علماء مكة لحجته وأقرّوا بصحّة قتال الموحدين .

ولكنهم انكروا وجود ما ذكر من مظاهر الشرك بدعوة الأموات وجحدوا

وجود ذلك في البلاد الاسلامية .

ومن اعجب ما صرح به كبير علماء مكة للوفد النجدي وهو احد المنتخبين لتلك المناظرة وكان حنفي المذهب حيث قال : « اني لا اقرّ ما قاله علماء المذهب سوى ما قال به امامي ابو حنيفة لاني مقلد له فيما قال ، فلا اسلم لسوى قوله حتى ولو قلتم : قال رسول الله او قال الله تعالى ، لان ابا حنيفة اعلم مني ومنكم بقول الله ورسوله » .

وانتهت تلك المناظرة دون جدوى ، ولكن بالرغم من ذلك فقد عقد الشريف غالب صلحاً مع الدرعية .

نكث

الشريف غالب للصلح

اغتنم دعاة الدعوة والمؤمنون بها الصلح الجاري بين مكة والدرعية واتخذوه فرصة حسنة لبث الدعاية بين القبائل المتاخمة في الحجاز لادخالهم في سلك الدعوة بالسلم ، وقد اثمرت هذه الطريقة ثمراً طيباً وصارت تلك القبائل تتهافت للإيمان بالدعوة .

فلما شعر الشريف غالب بان انضمام تلك القبائل الى الدعوة معناه تقلص نفوذه وتحديد سلطته قرر القيام بتأديب من ينضم منها الى الدعوة متناسياً صلحه مع الدرعية .

وفي عام ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ م اعلنت بعض بوادي قحطان ايمانها بالدعوة فأغضب الشريف غالب ذلك فسيّر عليها حملة في شهر شوال آذار ١٧٩٨ م فادركتهم دون بيشة في محل يدعى « عقيلان » وقاتلتهم فكانت الغلبة لقحطان فانهزم جيش الشريف بعد ان قُتل منه نحو خمسين رجلاً .

ولما وقفت الدرعية على ما قام به الشريف غالب من نقض الصلح

لم تجد ما يحول دون القيام بنشر الدعوة في نطاق اوسع بين قبائل الحجاز ، فأوعزت الى ربيع بن زيد المخاريم أمير البوادي بالذهاب الى بيشة والحنينة ليدعو سكانهما الى الإيمان ، فلما دعاهم ربيع ابوا الانقياد للدعوة طوعاً فضرب عليهم الحصار ، عندئذ اعلنوا انقيادهم وايمانهم واستعملت الدرعية سالم ابن محمد بن شكبان اميراً عليهم وذلك عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م .

فلما بلغ الشريف غالب ذلك سير عليهم قوة عسكرية ولى قيادتها الشريف فهيد بن عبدالله فحاصرت أهل بيشة وقطعت قسماً من نخيلهم ثم دار بينهم قتال قتل خلاله عدد من اهل بيشة . وكان للشريف غالب بطانة في بيشة فمالوا معه ، عندئذ اضطر الباقون من اهـــل البلد ان يعلنوا العودة الى حكم الشريف ورفض طاعة الدرعية .

ثم سار الشريف فهيد بقواته الى رينة ليصدها عن الدعوة فصمد له أهلها وقاتلوه فقتل من الطرفين عدة رجال .

وكانت قبيلة البقوم (من الازد) الحجازية تشدد المضايقة على القبائل الداخلة في طاعـــة الدرعية . فأصدرت الدرعية أمرهـــا الى هادي بن قريملة بالزحف على تلك القبيلة فهاجمها هادي المذكور وقتل منها عدة رجال . ثم عاود الكرة عليها بعد شهرين فقتل منها بعض الرجال وغنم الكثير من ابلها واغنامها ثم سار وفد من البقوم الى الدرعية وأعلن الطاعة والانقياد للدعوة .

فاغتدى حمود بن ربيعان ومن معه من عتيبة وعربان الحجاز بالبقوم فأرسلوا وفودهم الى الدرعية لتعلن الطاعة والإيمان بالدعوة .

موقعة تربة

هال هذا الأمر الشريف غالب وازعجه فاهتم له كثيراً وأمر بتجهيز جيش من مكة وما حولها ، وكان ذلك الجيش يتكون من اشراف مكة وكبرائها ومن

ثقيف والمصريين والمغاربة وكثير من العبيد وتولى هو قيادته وقصد به هادي بن قريملة ومن معه من قحطان وغيرها فدار بينهم قتال فاستولى هادي بن قريملة على جملة من اثقال الشريف غالب .

ثم ارتحل الشريف غالب ونزل الخرمة على الماء المعروف بـ« القنصلية » قرب تربة ونزل هادي بن قريملة رينة .

وكانت الدرعية يومئذ قد ارسلت غزواً للعراق تحت قيادة الأمير سعود . فلما بلغها مسير الشريف غالب الى تلك النواحي كرهت ان ترجعه من غزوه فأوعزت اليه بارسال بعض من الجيش الذي كان معه الى تلك النواحي ليكون عوناً لها ، ثم ارسلت الدرعية الى هادي بن قريملة ومن لديه من قبائل قحطان ، والى ربيع بن زيد أمير البوادي ومن معه من الدواسر وغيرهم ، جيشاً من القبائل ومن المدن وأمرتهم ان يجتمعوا ويكونوا في وجه الشريف غالب .

فلما اجتمعت تلك الجيوش اشتبكت مع جيوش الشريف غالب في معركة طاحنة كانت الدائرة فيها على الشريف وجيوشه فانهزموا هزيمة نكراء خسر فيها الشريف الفاً ومائتين وعشرين قتيلاً منهم اربعون رجلاً من شرفاء مكة من اشهرهم الشريف مسعود بن يحيى بن بركات ، وابن أخيه الشريف هيازع ، وعبد الملك بن ثقبة ، وسلطان بن حازم ، وحسن الياس وغيرهم من الوجوه ، وثمانون رجلاً من ثقيف ، ومن المصريين مائتان ، ومن المغاربة ثمانون ، وفُقد من العبيد قتلاً وسبياً مائة وخمسون . واستولوا على اموالهم وسلاحهم واخذوا ما كان معهم من الابل والامتعة التي اخذوها من قحطان وغيرها .

معاودة الشريف غالب لطلب الصلح

بعد هذه الهزيمة المحزنة شعر الشريف غالب ان من الخير له ان يطأطىء رأسه

ويطلب الصلح من الدرعية على الشروط التي تمليها عليه . فعفت الدرعية وصفحت وقدمت اليه شروطاً عادلة واضحة وهي كالآتي:

(١) الاتفاق على رسم حدود فاصلة بين نجد والحجاز .

(٢) تعيين تابعية القبائل المرابطة على الحدود لكل من الطرفين .

(٣) السماح لأهالي نجد بدخول مكة لاداء فرائضهم .

(٤) معاملة أولئك الحجاج معاملة حسنة طيبة .

وبعدأ مداولات ومفاوضات أقرت تلك الشروط وتم عقد الصلح بين الدرعية ومكة وذلك في عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م .

وبدأ حجاج نجد يفدون على مكة في موسم عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٩ م وكان على رأسهم في هذا العام نفر من كبار علماء نجد منهم الشيخ علي والشيخ ابراهيم ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وابراهيم بن سرحان صاحب شقراء .

وفي عام ١٢١٤ هـ ١٨٠٠ م حج اهل نجد واهل الاحساء ومعهم نساؤهم واولادهم . وكانت حجة حافلة كان على رأس اولئك الحجاج الامير سعود ومعه جمع من الخيل والجيش فحجوا واعتمروا وعادوا .

انتقاض الصلح مرةً ثانية

وفي عام ١٢١٥ هـ ١٨٠١ م عزم الأمير عبد العزيز ان يحج بالناس ، فخف اكثر اهل نجد كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً لمرافقته ورافقه ابنه الامير سعود . ولما قطعوا بسيرهم مسافة سبعة ايام شعر الامير عبد العزيز بمرض آنس منه ضعفاً اعجزه عن مواصلة السير فأشار عليه ولده الأمير سعود بالعودة حرصاً على راحته . فلما قارب الدوادمي رجع الامير عبد العزيز الى الدرعية وحج الامير سعود بتلك الجموع وحمل معه الى الشريف غالب هدايا

عظيمة تتكون من الخيل والنوق فقابله الشريف غالب بالاكرام . فنزل الحاج النجدي في عرفات ولم يدخل بتلك الجموع الى مكة الا بعد ايام الموقف، وكاد يقع بعض الاصطدام في منى بين اتباع الشريف غالب والحاج النجدي الا ان الشريف غالب تدارك الأمر قبل استفحاله وساعده على ذلك الحجاج الشيوخ النجديون من ناحيتهم .

ولما دخل الامير سعود بالحاج النجدي الى مكة كان الشريف غالب قـــد احتاط لذلك واتخذ في اعالي الجبال عند مداخل مكة بعض البروج وحصن جميع المداخل برجال من اتباعـــه . ففرق الامير سعود في مكة العطاء والصدقات بكثرة وكر راجعاً الى دياره .

ولكن الشريف غالب لم يثبت على صلحه طويلاً، فقد اتصلت به الأنباء ان المبشرين بالدعوة ودعاتها قد انتشروا في جنوب الحجاز فانضم اليها كثير من قبائل الحجاز وعلى رأسهم ابن بشار شيخ « محايل سعدي » واحمد بن زاهر شيخ (بارق) . فغضب غالب وكلف وزيره في القنفذة ان يجهز عليهم حملة فكانت مقتلة عظيمة هزمهم فيها وزير الشريف غالب في القنفـــذة وذلك عام ١٢١٧ هـ ١٨٠٢ م . غير ان هذا النصر الذي حـــازه الشريف غالب لم يستطع ارجاع تلك القبائل عن ايمانها، وقد عادت للعصيان، فاستأنف الشريف قتالهم . ثم دخلت قبائل بني كنانة وغيرها من اهل (حلي) في جنوب الحجاز بالدعوة فقاتلهم الشريف في شهر رمضان من هذا العام وقد ظفر جيشه بأغنامهم وابقارهم فأخذها واعتبر تلك القبائل مرتدة عن الدين فسباها وباعوها بمكة بيع الرقيق .

وتتابع العصيان من القبائل على الشريف غالب في جنوب مكة وجنوبها الشرقي، فظل غالب ينتدب سراياه من الجيش لقتالهم حتى بلغ عدد المواقع ما يزيد على ثلاثين موقعة باء اكثرها بالفشل .

عندئذ اتهم الشريف غالب الدرعية بأنها هي التي تحثّ تلك القبائل على خلع طاعته وعدّ ذلك تحدياً منها لشروط الصلح، فكتب اليها كتاباً ارسله اليها مع وفد من وجوه مكة وعلى رأسهم صهره الوزير عثمان المضايفي. فأكدت الدرعية لذلك الوفد ان لا صلة لها بما يحدث من عصيان تلك القبائل وايّدت للوفد بالادلة القاطعة صدق ادعائها، فاقتنع الوفد وعاد ليبلغ مكة الخبر. ولكن الشريف غالب لم يقتنع بذلك واصرّ على اتهام الدرعية ونقض الصلح معهما ومنع اهالي نجد من اداء فرض الحج فكان الاحتكاك وكان التنافر وبذلك عاد الأمر بين مكة والدرعية إلى ما كان عليه من التنابذ والقتال.

وقعة العبيلة

فجهز الشريف غالب قواته وامرها بالمسير الى العبيلة (الواقعة بين تربة والطائف) وامرها بمقاتلة القبائل التابعة للدرعية، فنصحه عثمان المضايفي بعدم الاقدام على ذلك الامر فلم يعره انتباهاً واتهمه بممالأة الدرعية، وزجره بكلمات اثارت غضب عثمان وثقل عليه ما وجهه له الشريف غالب من الاتهام ففارقه واعلن طاعته للدرعية ونزل ببلدة العبيلة وجمع حوله كثيراً من قبائل الحجاز ثم ارسل الى حامية الطائف، وكان عليها الشريف عبد المعين (اخو الشريف غالب)، يطلب منها الانضمام الى الدعوة، فشعر الشريف عبد المعين بدنو الخطر فاستدعى بعض القبائل ليهاجم بها عثمان المضايفي ومن معه. ونشط الشريف غالب في مكة فجمع جموعه من القبائل لمساعدة أخيه في الطائف. ثم سار الاثنان في جموعهما الى شرقي الطائف قاصدين العبيلة وذلك في شهر رمضان ١٢١٧هـ كانون الثاني ١٨٠٣ م فحاصروا عثمان المضايفي في حصن كان هناك فلم يقدروا على دكه بمدافعهم فأقاموا حوله الى هلال شهر شوال ٢٥ كانون الثاني ١٨٠٣م ثم رفعوا عنه الحصار ثم عادوا وحاصروه مرة ثانية فدار بينهم قتال ارتدت فيه القبائل التي كانت مع عثمان عن القتال بعض الشيء ثم استأنفت الهجوم فظفرت فانسحب الشريف غالب بقواته وتحصن بالطائف.

احتلال الطائف

فاستنجد عثمان المضايفي بمن يواليه من القبائل النجدية فهب لنجدته سالم بن شكبان بأهل بيشة وقراها ، ومسلط بن قطبان بأهل رينة وقراها ومن كان معه من سبيع ، وحمد بن يحيي بأهل تربـة ومن معه من البقوم ، وهادي بن قرملة ومن معه من قحطان ، وسار اليه غيرهم من عتيبة فاجتمعت هذه الجموع عند عثمان المضايفي وعندئذ شعر عثمان بأن في استطاعته الزحف على الطائف واحتلالها فقاد هذه الجموع في ٢٥ شوال ١٩ شباط الى الطائف حيث كان الشريف غالب متحصناً بها متأهباً ومستعداً لحربهم . فحاصرته قوات عثمان وبقي محصوراً وبدأت القبائل تتفرق من حوله واضطرب الامر عليه . فنازلته قوات عثمان المضايفي فلم يستطع الصمود لمقابلتها طويلاً ، وقد بلغه وهو مشتبك بالقتال أن قوات من الدرعية قد زحفت على مكة فأخلى الطائف وانسحب الى مكة فزعاً مرعوباً . وبخروجه من الطائف تداعت قوة جيشه المعنوية فترك بعض المكلفين بحراسة الحصون حصونهم ، فتمكنت قوات الدرعية من اقتحام الطائف واحتلالها دون دفاع يذكر الا ما قام به بعض اهالي المدينة من المقاومة البسيطة التي أُخمدت بعد ان قتل منهم نحو مائتي قتيل في الأسواق والبيوت . واستولت قوات الدرعية على ما كان في المدينة من الأسلحة والذخيرة والأموال . وكان ذلك في شهر ذي القعدة الموافق شهر آذار .

ثم ضبط عثمان البلد وسُلمت له جميع نواحيه وبواديه فأقرّته الدرعية على امارة الطائف وما يتبعها .

فتح مكة

بعد ان تم احتلال الطائف وجدت الدرعية ان الطريق امامها الى مكة مفتوح ، فجهزت جيشاً أسندت قيادته العليا الى الامير سعود وامرته بالمسير

الى فتح مكة . فسار الامير سعود عـلى رأس ذلك الجيش ونزل السبلة (قرب الزلفى) فأقام عليها اياماً اجتمع عليه خلالها كثير من القبائل ثم رحل منها وقصد الحجاز . فلما وصل الطائف انضم اليه عثمان المضايفي ومن كان معه فزحف بتلك القوات الجرارة وقصد مكة .

وكان ذلك في موسم الحج وكانت مكة مزدحمة بالحجاج فنزل الامير سعود بقواته بالعقيق (قرب الريعان) منتظراً انتهاء موسم الحج لكي لا يزعج الحجاج ويرعبهم .

وكان قد تجمع في مكة كثير من الحاج الشامي والمصري والمغاربة وامام مسقط فهمّ هؤلاء الحجاج بالخروج لقتاله ثم عدلوا عن ذلك الرأي .

وبعد انقضاء ايام الحج وانصراف الحجاج عن مكة طلب الشريف غالب من الحاج المصري والشامي مساعدته لقتال الامير سعود ، فرفضوا طلبه وغادروا مكة كما غادرها من كان فيها من الحامية العثمانية التابعة لجدة . فوجد الشريف غالب نفسه وحيداً في مكة وان لا طاقة له على البقاء والصمود امام تلك القوات العظيمة فتخلى عن مكة وتوجه الى جدة ، وترك الأمر في مكة الى اخيه الشريف عبد المعين .

فكتب الشريف عبد المعين كتاباً الى الامير سعود يعرض له طاعتـه واستعداده لتسليم مكة على ان يستبقيه في شرافتها . وحمل اليه هذا الكتاب بعض علماء الدين في مكة وهم الشيخ محمد طاهر سنبل ، والشيخ عبد الحفيظ العجمي ، والسيد محمد بن محسن العطاس ، والسيد ميرغني .

فاجتمع هذا الوفد بالامير سعود في معسكره في وادي السيل ، بين الطائف ومكة ، فقبل الأمير ما عرض عليه الشريف عبد المعين وزود الوفد بكتاب امان عام لأهل مكة ضمنه موافقته على بقاء الشريف عبد المعين في شرافة مكة . وهذا نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من سعود بن عبد العزيز

الى كافة اهل مكة والعلماء والاغاوات وقاضي السلطان.

السلام على من اتبع الهدى.

اما بعد :

فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله « قُلْ يا أهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا الى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإنْ تَوَلَّوْا فَقُولوا اشْهَدُوا بِأنَّا مُسْلِمُونَ » (١) فأنتم في وجـه الله ووجه امير المسلمين سعود بن عبد العزيز واميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له واطيعوا ما اطاع الله والسلام .

وعلى اثر وصول وفد العلماء بكتاب الامان في ٧ شهر محرم ١٢١٨ ﻫ ٣٠ نيسان ١٨٠٣ م صعد المنبر في الحرم الشريف الشيخ حسين مفتي المالكية في مكة وقرأ كتاب الأمان على ملأٍ من الناس .

وفي ٨ محرم اول ايار المصادف يوم السبت ، دخل الامير سعود مكة على رأس جيشه محرماً وهم رافعون أصواتهم عالياً بالتلبية والتكبير والتهليل خافضون رؤوسهم من خشية الله ، ورايات النصر ترفرف فوق رؤوسهم وقد رُسمت في اعاليها كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » فطافوا وسعوا ، ثم مضوا الى المحصب حيث أعدت الضيافة والموائد في بستان الشريف غالب ، ودعي الناس بعد ذلك الى اجتماع عام في المسجد الحرام فاجتمعوا زرافات ووحداناً وكان في مقدمتهم الشريف عبد المعين ومفتي مكة الشيخ عبد الملك

(١) سورة آل عمران آية ٦٤ .

القلعي . فألقى الامير سعود خطاباً طويلاً اوضح فيه مبادىء الدعوة للتوحيد .

ثم دعا الناس لاجتماع آخر طلب منهم فيه ان يهدموا القباب المقامة على بعض القبور فهُدمت .

وكانت العادة ان يصلي بالجماعة الحاضرة احد الأئمة من اهـل المذاهب الأربعة ثم يتلوه غيره فأمر بابطال تلك العادة وان لا يُصلي في المسجد الا امام واحد ، فصار يصلي الصبح الشافعي ، والظهر المالكي ، وهكذا بقية الاوقات ، ويصلي الجمعة مفتي مكة عبد الملك القلعي الحنفي .

وامر بتدريس كتاب «كشف الشبهات» في المسجد الحرام في حلقة عامة يحضرها العلماء والاهلون ففعلوا .

ومكث الامير سعود في مكة اكثر من عشرين يوماً كتب خلالها كتاباً الى السلطان سليم في اسطنبول هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من سعود بن عبد العزيز

الى السلطان سليم

« اني دخلت مكة ، وامنت اهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشباه الوثنية والغيت الضرائب الا ما كان منها حقاً وثبّت القاضي الذي وليته انت طبقاً للشرع الاسلامي . فعليك ان تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء الى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور فان ذلك ليس من الدين في شيء » .

الزحف على جدة

كان الشريف غالب أثناء مدة مكوث الامير سعود في مكة يراسله لعقد الصلح، وكان غرضه من تلك المراسلة كسب الوقت لتحصين جدة والاستعداد لقتاله، فلم تخف نواياه على الامير سعود، فزحف الامير سعود بجيشه على جدة فوجدها محصنة تحصيناً قوياً وقد حفرت حولها الخنادق فضرب عليها الحصار عدة ايام فلم يفز منها بطائل فتركها وعاد الى مكة ومنها قفل راجعاً الى الدرعية.

استرداد مكة

وبعد انسحاب الامير سعود عن حصار جدة كانت بعض القبائل في عسير قد اخلصت في طاعتها للدعوة فحاولت فتح جدة وحاصرتها فأرسل زعيمها عبد الوهاب ابو نقطة الى الشريف عبد المعين في مكة يطالب منه ان يزوده بالمؤونة خشية اطالة الحصار، فأرسل اليه الشريف عبد المعين ما طلب ولكن تلك القبائل لم تستطع عمل شيء يذكر فانسحبت من محاصرة جدة.

اما الشريف غالب فلما علم بارتحال الامير سعود عن الديار الحجازية خرج بجيشه من جدة وقصد مكة فعسكر في وادي فاطمة واحتله ثم انتقل الى الزاهر ومنها توجه الى مكة فتحصن بعض الجيش المحافظ من قبائل نجد في قلعة اجياد والبعض الآخر في بستان الشريف غالب بالمحصب. فدخل الشريف غالب مكة دون معارضة من اخيه عبد المعين واحتلها وارسل بعض جنده لحصار قلعة جياد وبستان المحصب. ودام الحصار نحو خمسة عشر يومـاً ثمّ فرّ بعض المحاصَرين من تلك القلعـة وذلك البستان بعدما هدمت المدافع بعض جدرانهما فاقتحمهما جند الشريف غالب واستسلم لهم من بقي فيهما من جند الدرعية.

ثم زحف جند الشريف غالب بعد ذلك الى الطائف فحاصر فيها عثمان المضايفي ومن كان معه من جند الدرعية ففشل الحصار وخرج عثمان المضايفي زاحفاً الى (السيل) ثم الى «الزيمة» ثم الى «المضيق». وفي اثناء زحفه وافت الأنباء من الدرعية باغتيال الامام عبد العزيز. وبوفاته بويع ولده الامير سعود بالامامة والملك. وحوادث الامام سعود خارجة عن موضوعنا.

جبهـــة العراق

حملة ثويني على الأحساء

انكشف للدولة العثمانية ان الامر في الدرعية ليس على ما كانت تظن، فان القوة التي كانت كامنة فيهـــا قوة مرهبة استطاعت اكتساح الاحساء وانهارت امامها قوات مكة وعجز اشرافها عن الوقوف امام تيار الدعوة، فهال الدولة العثمانية الامر واخذت تفتش من جديد لفتح جبهة قتال اخرى مع الدرعية.

وكان ثويني يومئذ معتقلاً في بغداد ويطمع في ان يوليه سليمان باشا امارة المنتفق، فعفا عنه سليمان باشا ونحّى ابن اخيه حمود بن تامر عن امارة المنتفق وولاه عليهـــا وعهد اليه بتجهيز حملة على نجد بعد ان جهزه بعساكر نظامية وجميع ما يلزم من سلاح ومال ومعدات الحرب بما فيها المدافع وذلك عام ١٢١١ هـ ١٧٩٦ م.

ولما عاد ثويني الى البصرة استنفر جميع رعاياه من المنتفق وانضم اليه اهالي الزبير وجميع قبائل الظفير وجميع بني خالد تحت قيادة رئيسها براك بن عبد المحسن، ولم يتأخر منهم الا عشيرة المشاهير.

فارتحل ثويني بهذه الجموع وعسكر على الجهراء (الماء المعروف قرب الكويت) فأقام عليها نحو ثلاثة اشهر يستدعي العشائر حتى اذا ما تكاملت جيوشه سيّر قسماً منها بالسفن من البصرة ومعها الكثير من الذخيرة والأطعمة وامرها ان توافيه في ناحية القطيف. وتقدم هو ومن معه عن طريق البادية ونزل الطف.

موقف الدرعية

من جبهة العراق

ان الحملة التي قام بها ثويني على القصيم عام ١٢٠١ هـ ١٧٨٧ م (بتوجيهات الدولـــة العثمانية) دعت الـــدرعية ان تستعد لمجابهة ما سيداهمها من جهة العراق ، ففتحت حائل واخضعتها لسلطتها لكي لا تجعل منها ثغرة للعدو .

ثم رأت ألاَّ تقف مكتوفة اليدين امام هذا العدوان الذي أثارته عليهـــا الدولة العثمانية من العراق ، فقررت تجهيز حملة قادها الامير عبد العزيز وهاجم بها الحدود الجنوبية للعراق من ديار المنتفق واستولى على كثير من اموالهم وسلاحهم .

ولما بلغ الدرعية ما بيتته لها الدولة العثمانية على يد ثويني وسارت إليها بتلك الجيوش اللهامة كانت الدرعية يومئذ قـــد ابتدأت تغص بالالوف من الوفود والقبائل والعشائر وقد ازدهرت تجارتها وكثرت اسواقها وتجلت سيادة الموقف لها في نجد وكان جيشها قد اصبح اسرع حركة وادق تنفيذاً واشد صلابة من قبل فاستنفرت جيوشها فاجتمع لهـــا منه الكثير من أهل العارض والخرج ووادي الدواسر والافلاح والوشم وسدير والقصيم وجبل شمر فأسندت قيادتهُ الى محمد بن معيقل فسار محمد المذكور بذلك الجيش وعسكر بقرب قرية (الماء المعروف في الطف) .

ثم جهزت الدرعية جيشاً آخر من مطير وسبيع والعجمـــان والسهول وغيرهم واسندت قيادته الى حسن بن مشاري بن سعود وسيرته الى الاحساء وامرته ان يرابط على آبار المياه ويحتلها ليصد جيوش ثويني عن الورود .

ثم سيرت جيشاً ثالثاً اسندت قيادته الى الامير سعود ليكون رداً للجيشين السابقين . فقاد الامير سعود ذلك الجيش ونزل الدهنا في روضة التنهات

واقام فيها عدة ايام ثم ارتحل منها وعسكر على الماء المعروف بـ« حفر العتك » .

ولما بلغ هذه الجيوش مقدم ثويني الى تلك الجهات تحرك الجيشان المرابطان في «قرية» وفي الاحساء واجتمعا في شمال الاحساء على المياه المعروفة بـ« ام ربيعة وجودة » وتولى قيادتهما العامة حسن بن مشاري .

مقتل ثويني

اما ثويني فبعد ان حشد جنده ترك الطف وقصد الاحساء ووصل الماء المسمى بـ« الشباك » (وكان الخلل قد تسرب الى جيشه وانفض من حوله كثير من القبائل البدوية) .

وحينما نزل ثويني الشباك وضُربت خيا ، انفرد في مجلسه ولم يكن معه سوى رجلين او ثلاثة من خواصه فأقبل عليه عبد من عبيد جبور بني خالد يدعى طعيس وكان يحمل بيده رمحاً وفي طرفه حربة فطعنه بها بين كتفيه طعنة نجلاء اردته قتيلاً في الحال وقُتل ذلك العبد على الاثر وذلك في ٤ محرم ١٢١٢ هـ ٣٠ حزيران ١٧٩٧ م .

وحُمل ثويني الى خيمته ميتاً وقد اخفى اصحابه خبر موته عن الجيش وسلموا قيادة ذلك الجيش الى أخيه ناصر .

ثم ذاع خبر موت ثويني فتفرق اكثر ذلك الجيش وانسحب من تبقى منه وانشق براك على ذلك الجيش وانحاز الى جانب قائد جيش الدرعية حسن ابن ثنيان لسابق اتفاق بينهما .

ولما علم الاميرسعود بانسحاب ذلك الجيش تتبع آثاره وقتل من ظفر به منهم وغنم مدافعهم واستولى على الكثير من اموالهم واستمر في طلبهم الى بلد الكويت ثم تركهم وعاد الى الاحساء فخرج اهلها لاستقباله ، وجددوا له البيعة واسند سليمان باشا رئاسة المنتفق الى حمود الثامر خلفاً لثويني .

الحملة على العراق

لم تشأ الدرعية ان تغفر لبغداد حملتها التي قامت بها على نجد بقيادة ثويني ، فجهزت جيشاً كثيفاً اسندت قيادته الى الامير سعود وامرته بالحملة على العراق ، فاخترق الامير سعود حدود العراق وتوغل في حملته حتى مدينة سوق الشيوخ (مقر امارة المنتفق) وقاتلها وقتل منها الكثير وانهزم من سكانها اناس فغرقوا في نهر الفرات وذلك في شهر رمضان ١٢١٢ هـ شباط ١٧٩٨ م . ثم تركها وتقدم الى مدينة السماوة الواقعة على سيف البادية . فوافته عيونه مخبرة اياه بوجود قبائل كثيرة من شمر تحت قيادة رئيسها مطلق بن محمد الجربا ومعهم من قبائل الظفير وآل بعيج والزقاريط مجتمعين على الابيض (الماء المعروف قرب السماوة) فأرسل الامير سعود ثلة من جيشه وامرها بمهاجمة تلك القبائل فحصل بينهم قتال كثرت فيه القتلى وقـد خسرت شمر في هذه المعركة زعيمها مطلق المذكور قتله خريم بن لحيان رئيس السهول . واستولت قوات الدرعية على كثير من اموال تلك القبائل وامتعتهم . وقُتل من جيش الدرعية خمسة عشر رجـلاً منهم براك بن عبد المحسن رئيس بني خالد ومحمد العلي رئيس المشاهير .

نزول الدولة العثمانية للميدان

بعد مقتل ثويني والتطورات التي حدثت اشتد الامر على الدولة العثمانية واقلقها واخافها ما كانت تلاقيه من صلابة جيوش الدرعية وصمودها في وجه قواتها، ومما زاد من قلقها ومخاوفها تلك الهجمات المتكررة التي جابهتها على الحدود العراقية، فاوعزت الى ممثلها في العراق سليمان باشا للقيام بعمل جديد حازم مثمر يكون فيه الفصل والختام على الدرعية خشية انتشار مبادىء الدعوة في انحاء البلاد العربية ويدك مركز الخليفة العثماني في اسطنبول وينهار من تحته كرسي الخلافة الاسلامية وتعود الخلافة الى اهلها العرب.

فهيّأ سليمان باشا جيشاً كثيفاً يتكون من الجنود النظامية المدربة ومن القبائل الكردية واهل المجر واسند قيادته الى نائبه (كيخيا)[1] علي باشا وامره بالمسير الى قتال الدرعية على ان يبدأ حملته من الاحساء بعد ان جهزه بكثير من السلاح والمدافع ومعدات الحرب الاخرى. فاتجه علي باشا بتلك القوات الى البصرة واستنهض قبائلها فاجتمع اليه الكثير منهم كآل بعيج والزقاريط والقشعم والظفير وشمر والتحق به حمود الثامر بقبائل المنتفق. وبعد ان تجمّعت لعلي باشا هذه الجموع سار بها الى جهة الاحساء في عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م ولما وصلها انضم اليه اهالي المبرز والهفوف وقرى الشرق وجميع نواحيه الاخرى[2].

فضاق الأمر على من كان في الأحساء ولا سيما حامية الدرعية فقرروا

(١) كيخيا محرفة عن اللفظة الفارسية (كدخذا) ومعناه النائب أو المعاون.

(٢) ارتحل كثير من اعيان اهالي الاحساء خلال هذا الحصار الى بلد الزيارة في شبه جزيرة قطر، وكان من ضمن الراحلين احمد بن رزق تاجر المجوهرات الشهير.

الصمود والدفاع الى النهاية فتحصن سليمان بن محمد بن ماجد مع مائة نفر من جنده في قصر المبرز المعروف بـ « صاهود » كما تحصن قائد الحامية ابراهيم ابن عفيصان مع قواته من اهل الخرج في قصر الهفوف .

فضرب علي باشا حصاراً شديداً على قصر المبرز بتاريخ ٧ رمضان ١٣ شباط ١٧٩٩ م وصار يرميه بمدافعه وقنابله ، وحفر حوله انفاقاً وملأها بالبارود واشعلوا فيها النار لينسفوا ذلك القصر فتصدعت بعض اركانه ثم بنوا حوله بروجاً عالية وصاروا يطلقون منها الرصاص على من كان في داخل القصر من الحامية فلم يُغنِ ذلك شيئاً ودام الحصار الى ٧ ذي القعدة ٢١ نيسان وجرت محاولات لحصار قصر الهفوف باءت جميعها بالفشل. فلما طال المقام على جيش علي باشا تفرق من حوله بعض القبائل، وفي اثناء ذلك بلغتهم الأخبار بان الدرعية قد سيرت جيشاً كبيراً لقتالهم فقرروا رفع الحصار عن ذلك القصر والانسحاب عن الاحساء ، ولما ارادوا الانسحاب جمعوا الكثير من خيامهم وطعامهم وبعض معداتهم الحربية واشعلوا فيها النيران ثم ارتحلوا . ولما وصلوا القطار (المحل المعروف عند حويرات الأحساء) خشوا ان تداهمهم قوات الدرعية فدفنوا الكثير من عتادهم في الارض .

قوات الدرعية

تلاحق المنسحبين

أما الدرعية فحينما بلغها زحف علي باشا بتلك القوات على الاحساء جهزت جيشاً كبيراً اسندت قيادته العامة الى الأمير سعود وأمرته بالذهاب الى الاحساء للدفاع عنها . فلما وصل الأمير سعود بتلك القوات الى الاحساء علم بانسحاب علي باشا عنها فقرر الالتحاق بهم ليخيفهم ويقطع عليهم خط الرجعة ، فسبق الجيش المنسحب وعسكر على ثاج (الماء

المعروف في الاحساء) فاقبلت بعد ذلك قوات علي باشا وعسكرت بالقرب منه في « الشباك » فوطد الأمير سعود ومن معه النفس على الثبات لقتالهم حتى النهاية .

ثم زحف علي باشا بجيشه من الشباك ونزل على ثاج حيث كان الأمير سعود معسكراً هناك . ودارت بينهم مناوشات دامت عدة أيام .

فوجد علي باشا ان الحرب مع جيوش الدرعية لا تجدي نفعاً فأخذ يفاوض بالصلح على ان يكف الطرفان عن القتال ويعود كل الى وطنه . فصالحه الأمير سعود على ذلك فعادت الجيوش المهاجمة الى مقرها دون ان تحقق شيئاً من الأهداف التي قدمت من اجلها .

ثم عاد الأمير سعود ومن معه الى الأحساء ورمم حصونه وجعل محمد ابن سليمان بن محمد بن ماجد أميراً عليها .

دخول
قوات الدرعية الى كربلاء

بعد انسحاب الحملة التي قادها علي باشا على الاحساء استضعفت الدرعية قوات الدولة العثمانية التي في العراق فأرادت ان تهاجمها في عقر دارها فجهزت جيشاً من اهالي نجد والجنوب والحجاز وتهامة وغيرهم واسندت قيادته الى الامير سعود وامرته بمهاجمة الحدود العراقية والتوغل فيها ، فسار الامير سعود على رأس ذلك الجيش في عام ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م وهاجم به حدود العراق الجنوبية ثم توغل الى الفرات الاوسط ثم اتجه الى جهة شفاثة (عين التمر) في لواء كربلاء وعسكر هناك .

ولما بلغ بغداد اخبار هذه الحملة سيرت جيشاً كبيراً للقائها ووجهته الى كربلاء، ولكن ذلك الجيش عسكر في المسيب ليستطلع الاخبار .

فلما بلغ الأمير سعود ان الدولة العثمانية سائرة للقائه في مدينة كربلاء اراد ان يفاجئها بالقتال قبل ان تفاجئه، فزحف على مدينة كربلاء وتسلقت جنوده اسوارها قبل طلوع فجر يوم ١٨ ذي القعدة ١٢١٦ﻫ ٢٣ مارث١٨٠٢م وكانت المدينة خالية من الجيش فهب اهلها للدفاع عن مدينتهم ولكنهم لم يستطيعوا الصمود في وجه تلك القوات الهائلة فقتل منهم الكثير في الاسواق والبيوت وقدر عدد القتلى بألفي قتيل واستولت القوات المهاجمة على اموالهم كما استولت على ما كان في داخل القبة المقامة على مرقد الامام الحسين من التحف الثمينة والاحجار الكريمة واخذت النصيبة الموضوعة على مرقد الامام وكانت مرصوفة بالاحجار الكريمة التي لا تقدر بثمن. ولم تلبث تلك القوات في البلدة الا ضحوة ثم خرجت منها قبيل الظهر بجميع تلك الاموال، وارتحلت منها وقصدت الماء المعروف بالابيض فقسمت فيه الغنائم ثم عادت الى الدرعية.

وبعد هذه الحادثة توفي والي العراق سليمان باشا وتولى مكانه آمر العراق الكيخيا علي باشا وذلك عام ١٢١٧ﻫ ١٨٠٢م.

اغتيال الإمام عبد العزيز

احدث هجوم الامام عبد العزيز على كربلاء نقمة الكثيرين من اهالي العراق فصمّم رجـل كردي من مدينة العمادية (الواقعـة في لواء الموصل) يدعى عثمان على الذهاب الى الدرعية لينتقم من الامام عبد العزيز، فترك العراق متنكراً بزي الدراويش، مظهراً النسك والورع، فلما وصل الدرعية ادعى انه قد اعتنق الدعوة وجاء يطلب الاستزادة من درس التوحيد. فلما علم الامام عبد العزيز برغبته في هذا الامر برّه بعطفه واحسن اليه. وكان هذا الرجل يظهر الحرص على الصلاة في مسجد الطريف بالقرب من الامام وفي الصف الذي يصلي فيه الامام عبد العزيز. وكان يستبطن تحت ثيابـه خنجراً. وفي يوم ١٨ من شهر رجب عـام ١٢١٨ ﻫ ٣ تشرين الاول ١٨٠٣ م مكنته الفرصة من الامام عبد العزيز فوثب عليه وهو ساجد وطعنه في خاصرته بخنجره فسقط من وقته قتيلاً. وكان اخوه عبد الله بجانبه فهجم القاتل ليقتله ايضاً، ولكن عبد الله نهض على قدميه وامسك القاتل بيديه وضربه بالسيف فصرعه على الارض وتكاثر الناس عليه فقتلوه.

مات الامام من ساعته وحمل الى داره لتجهيزه، وكان ولده وولي عهده الامام سعود[1] غائباً في نخل له يسمى «مشيرفة» بضواحي الدرعية. ولما بلغه

---

(١) بويع الإمام سعود بولاية العهد في عهد ابيه عام ١٢٠٠ ﻫ ١٧٨٦ م وام الإمام سعود هي بنت عثمان بن معمر صاحب العيينة.

الخبر جاء مسرعاً الى دار ابيه واجتمع الزعماء واهل الحل والعقد وبايعوه وعزوه بوالده في نفس ذلك اليوم .

صفاته

كان الامام عبدالعزيز معروفاً بالشجاعة ، والاقدام ، صبوراً ، على المكاره كريماً سخياً ، عادلاً لا تأخذه في الله لومة لائم ، ينفذ الحق ولو في اهل بيته ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد . وقد كان يشارك العلماء في البحوث العلمية ويملي النصائح النافعة المرصعة بآيات القرآن والاحاديث النبوية الصحيحة كما كان كثير الخوف من الله كثير العبادة والتهجد والطاعة له . وهو اول من لقب بالامام بين العائلة السعودية .

عدله وحزمه

كان الامام عبدالعزيز حازماً ساهراً على مصالح الرعية والبلاد التي دانت لحكمه يبث الصدقات فيها ، مستقيماً في الحكم ، عادلاً ، كثير الرأفة والرحمة بالرعية ،

وكانت جميع البلاد التي تحت يدهْ آمنة مطمئنة في عيشة راضية ، ولم يقم بين سكانها خصام لزيادة طاعتهم له ، وعمتهم الراحة والاطمئنان ، وشاعت بينهم الاخوة والاستقامة وكان الامام عبدالعزيز كواحد منهم ليس له تمييز فلم يكن بينهم معتد ، ولا سارق ، ولا قاطع طريق ، بحيث كان المسافر يجوب البلاد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ومعه الأموال الكثيرة لا يخشى احداً الا الله . واسقط المكوس ولم يفرض على رعيته من الجباية غير العشر .

عصر الامام عبد العزيز

هناك فرق كبير وبون شاسع بين حالة الدعوة والدولة في عصر الامير محمد بن سعود وعصر ولده الامام عبد العزيز ، فقد كانت الدعوة في عصر الامير محمد بن سعود في دورها البدائي ضعيفة محدودة القوة .

اما في عصر الامام عبد العزيز فقد انطلقت وتوسعت وصار لها كثير من الانصار والمؤيدين والمؤمنين وتوسع نطاقها توسعاً كبيراً . وازدادت قوتها وتجمع لديها الخيل والسلاح والرجال المتمرسون للحرب والفوها وصاروا يتسابقون الى ورود المعارك والانغماس في نيران الحروب في سبيلها .

ويمكن لنا ان نعتبر عصر الامام عبد العزيز عصر توسع وانطلاق، فقد تم للامام عبد العزيز بعد جهاد طويل متوال في اعلاء كلمة الله واخلاص العبادة لله وتنفيذ احكام شرع الله اخضاع اواسط الجزيرة العربية فدانت له مدن العارض والوشم وسدير وجبل شمر وغيرها ، ثم اخضع لسلطته الاحساء وعسير وتهامة واستقر سلطانه على شواطىء الخليج . ولم يكتف بهذا بل تجاوزه كثيراً فوصل بحركاته الاصلاحية وحروبه الى حدود الحجاز وتخطاها الى الطائف ومكة المكرمة والمدينة المنورة .

وتحدى الدولة العثمانية وهاجمها من جهة العراق . فصار للدعوة والدولة شأنهما واصبحتا موضع اهتمام الاوساط الدولية والسياسية في العالم في الداخل والخارج .

تم الجزء الاول

(ويليه الجزء الثاني : حقيقة الدعوة الوهابية)

كشف المواضيع

نجد قبيل قيام دعوة
الشيخ محمد بن عبدالوهاب

لمحة موجزة من تاريخ اليمامة (نجد)

قبيلة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
واسرته ومولده ونشأته

رحلات
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الشيخ محمد بن عبدالوهاب
في حريملا

الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في الدرعية

الأمير محمد بن سعود
مؤسس الدولة السعودية الاولى

رفع رايات الجهـــاد

منفوحة وحكامها آل شعلان

نهاية العيينة وامرائها
آل معمر

منطقة الوشم

منطقة سدير

منطقة الخرج

انتشار الدعوة وتوسع نطاق الفتوح في عصر الامام عبد العزيز

منطقة الخرج

منطقة القصيم

غزو القبائل البدوية

جبهة العراق

اغتيال الامـــام عبد العزيز

المصادر والمراجع

اسم الكتاب	اسم المؤلف
ابراهيم باشا	ترجمة محمد بدران
الاتجاهات المدنية في الاسلام	جب
اثر الدعوة الوهابية	محمد حامد الفقي
اخبار مكة	ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقي
الخليج العربي	الاستاذ قدري قلعجي
اربعة قرون من تاريخ العراق	لونكريك ترجمة الاستاذ جعفر الخياط
الاخبار الطوال	للدينوري
الاسلام في القرن العشرين	الاستاذ عباس محمود العقاد
الاصنـــام	للكلبي
الاغاني	لابي الفرج الأصفهاني
الامارات السبع	
الوان	الدكتور طه حسين
البلاد العربية السعودية	فؤاد حمزة
الجزيرة العربية	مصطفى الدباغ

اسم الكتاب	اسم المؤلف
خلاصة الكلام	السيد زيني دحلان
الدور الفاخر في اخبار العرب الأواخر	محمد بن بسام التميمي
الرحلة الحجازية .	للبيّوني
سمط النجوم العوالي	للعصامي
السيرة النبوية	ابو محمد عبد الملك بن هشام
الاسلام في نظر الغرب	مريلمغردكانتول
الشرق الاسلامي في العصر الحديث	حسين مونس
العبر في المبتداء والخبر	عبد الرحمن بن خلدون
العراق بين احتلالين	الاستاذ عباس العزاوي
العرب في التاريخ	برنارد لويس
العرب في سورية قبل الاسلام	دوسو
العصور القديمة	جيمس هنري برستد ترجمة داود قربان
العقد الفريد	ابن عبد ربه
العقيدة والشريعة في الاسلام	غولد تسيهر
الفتوحات الاسلامية	احمد بن دحلان
القرآن الكريم	كتاب الله
الكامل	لابن الأثير
الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب	المغيري
اكتشاف جزيرة العرب	جاكلين بدين ترجمة الاستاذ قدري القلعجي
المحمديات	جب
المذاهب الاسلامية	ابو زهرة
المغازي	محمد بن عمر الواقدي
النهضة الحديثة في جزيرة العرب	الدكتور محمد عبد الله ماضي

اسم الكتاب	اسم المؤلف
بهجت الاخوان في ذكر الوزير سليمان	محمد بن سليمان الرحبي
تاريخ آداب اللغة العربية	جرجي زيدان
تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد	ابراهيم بن صالح بن عيسى
تاريخ البلاد العربية السعودية	الدكتور منير العجلاني
تاريخ التمدن الاسلامي	جرجي زيدان
تاريخ الجزيرة العربية	حافظ وهبة
تاريخ الدولة السعودية	امين سعيد
تاريخ الدولة العثمانية	محمد فريد
تاريخ الرسل والملوك	محمد بن جرير الطبري
تاريخ سينا	نعوم شقير
تاريخ الشعوب الاسلامية	كارل بروكلمان
تاريخ مصر الحديث	جرجي زيدان
تاريخ ملوك آل سعود	الامير سعود بن هذلول
تاريخ مكة	احمد السباعي ، (طبعة ثانية)
تاريخ المماليك في العراق	
تاريخ العراق بين احتلالين	الاستاذ عباس العزاوي
تاريخ العرب المطول	فيليب حتّي
تاريخ العرب العام	سيديو
تاريخ العرب قبل الاسلام	جرجي زيدان
تاريخ الكويت السياسي	حسين خلف الشيخ خزعل
تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاصرها	صلاح الدين المختار
تاريخ نجد	حسين بن غنام
تاريخ نجد	السيد محمود شكري الالوسي

اسم الكتاب	اسم المؤلف
تاريخ نجد	سنت جون فلبي ترجمة عمر الديراوي
تاريخ نجد وملحقاتها	امين الريحاني
تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والحديث	محمد بن عبد الله آل عبد القادر الانصار الاحسائي
حاضر العالم الاسلامي	لوثروب ستودار بتعليق الأمير شكيب ارسلان
حياة محمد	الدكتور محمد حسين هيكل
حياة محمد	شنكتون ارفنج تعريب الدكتور علي حسين الخربوطلي
دائرة المعارف	فريد وجدي
دائرة المعارف البريطانية	
دائرة المعارف الاسلامية	
زاد المعاد في هدي خير العباد	شمس الدين الدمشقي
زعماء الاصلاح في العصر الحديث	الاستاذ احمد امين
سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب	امين سعيد
سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	احمد عبد الغفور العطار
صبح الاعشى في صناعة الانشاء	القلقشندي
صفة جزيرة العرب	للهمداني
عبد العزيز	الدكتور كوبرت فون ميكوسى ترجمة امين رويحة
عبد العزيز آل سعود	منوا ميشانر
عجائب الاثار في التراجم والأخبار	الجبرتي
عشائر العراق	الاستاذ عباس العزاوي
عشائر الشام	احمد وصفي زكريا

اسم الكتاب	اسم المؤلف
عنوان المجد في تاريخ نجد	عثمان بن بشر
عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد	ابراهيم الحيدري
فتوح البلدان	البلاذري
قاموس الاعلام	خير الدين الزركلي
قلب جزيزة العرب	فؤاد حمزة
لمع الشهاب في حياة محمد بن عبد الوهاب	حسن الربكي
مثير الوجد في معرفة انساب ملوك نجد	رشيد بن علي الحنبلي
مجالى الاسلام	ريغورا ترجمة حيدر بامات
محاضرات عن الحركات الاصلاحية ومركز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث	جمال الدين الشيال
محمد بن عبد الوهاب العقل الحــر والقلب السليم	عبد الكريم الخطيب
مختصر تاريخ العرب	سيد امير علي
مدينة الرياض	الشيخ حمد الجاسر
مروج الذهب ومعادن الجوهر	المسعودي
مرآة الحرمين	ايوب صبري
مشاهداتي في جزيرة العرب	احمد حسين
معجم البلدان	ياقوت الحموي
معجم القبائل العربية	عمر رضا كحالة
معجم ما استعجم	البكري
نبذة تاريخية عن نجد	الامير رضا بن فهيد الرشيد

اسم الكتاب	اسم المؤلف
نبذة من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	احمد عبد الغفور العطار
يقظة العرب	جورج انطونيوس

المجلات

مجلة المشرق
مجلة المقتطف سنة ٢٧ صفحة ٢٩٥
مجلة المقتطف سنة ٣٠ صفحة ٦٩٩
مجلة الأبحاث
مجلة العرب
مجلة لغة العرب

كشوفات

الاماكن والمدن ـ والقبائل والاسر

واسمـــاء الاعــلام

كشف

الامـــاكن والمدن

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(هـ)

(ي)

كشف

القبائل والأسر والعائـــلات

كشف

أسماء الأعـــلام

لم نتعرض لذكر الأسماء الواردة في الصفحات
من ٣٤٤ الى ٣٤٩ ومن شاء فليراجعها في محلها

ذ

ر

ز

ص

كشف

باسماء سور وارقام آيات القرآن الكريم الواردة في هذا الكتاب

كشف

باسمـــاء الكتب الواردة في هذا الكتاب

تصحيحات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧	٤	رتس بن	رئس بني
٢٧	١٩	(حاشية) مار	ماء
٣٧	١٢	جود	اجود
٥٠	١٩	الك	مالك
٨٩	١٤	تدعو مع الله احداً	مكررة الصواب (حذف الاخيرة)
١٢٥	٤	عن ام الد دار	الصواب حذفها
١٤١	٤	جالي	رجال
١٨٥	٥	تقري	تقرير
٢٠٧	١٢	يالدرعية	بالدرعيه
٢٠٩	٢	مينس	منيس
٢٥٥	١٩	بن آبريم	ابن ابراهيم
٢٥٨	٤	داحس	دحيس
٢٦٢	٨	الزلازل	الزلال
٢٨٠	١٦	سعود	عبدالله
٢٨٨	١٢	نفجان	نعجان
٣٠١	١٦	عبد العزي	عبد العزيز
٣٠٢	٦	ضاص	ضاحي

